

مسرحيات يحيى حقي المترجمة

كنوك

تأليف: جول رومين

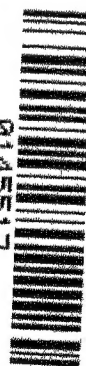
الطائر الأزرق

تأليف: موريس ميتزلينك



دارالمعارف

0145517



Bibliotheca Alexandrina

مِسرَمِيَّاتٌ عَجَبِيَّةٌ
المُترجمة

كنوك أو انتصار الطب

تأليف: جول رومين

الطائر الأزرق
الحديقة من عالم السحرة

تأليف: موريس ميترلينك

١٨٦٩ - ١٩٤٢



University of Alexandria Library (GOAL)



دارالمعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ح.م.ع.

كنوك أوانتصار الطب

تأليف: جول رومين

«متلت هذه المسرحية لأول مرة في
باريس على مسرح كوميدي سانزليزيه يوم
١٥ من ديسمبر ١٩٢٣ بح إدارة حاك
هبرنو، وتولى لويس جوفيه الإخراج
والديكور. وقام بأداء أدوار النساء: كوتان
لامبير - إرمابيرو - إيزا رينار - ماج
بيرويه - ي تيسيران. وقام بأدوار الرجال:
لويس جوفيه - أ. هيرو - انفرييف -
جولتيه، بن دانو - ساليس - مامي -
سانت أيل...»

مقدمة

مسرحية كنوك.. والهزلية الجيدة

بقلم: الدكتور محمد مندور

مسرحية «كنوك أو انتصار الطب»، هي بإجماع النقاد وأساتذة الأدب خير ما كتب مؤلفها الكاتب الفرنسي المعاصر «حيل رومان»، بل هي المسرحية التي يقوم عليها الجانب الأكبر من مجد مؤلفها، فيها عرف وذاع صيته في العالم كله، وذلك بالرغم من أنه ساعر وفصاص وفيلسوف لا كاتب مسرحيات فحسب، وكل ذلك بالرغم من أن كثيراً من أساتذة ونقاد الأدب المسرحي وبخاصة في العالم الأنجلوسكسوني بسمون هذه المسرحية فارس Farce أى هزلية، فهي تسميه - إذا صح إطلاقها على هذه المسرحية الجيدة - جديره بأن تجعلنا نغير حكمنا العام على هذا النوع من المسرحيات الذي ننظر إليه دائماً نظرة تضعه في أسفل السلم بالنسبة للأنواع الأخرى من المسرحيات، فلهزلية، بمعناها الدارج، مسرحية لا تستهدف إلا الإضحاك، ولما يؤدي فيها

الضحك وظبفه جاده ويكفيها أن تسرى عن مساهديها، وذلك في حين تعمر مسرحية كنوك بالحفايق النفسية والاجتماعية العميقة مغلفه في روح السخريه المرة والتهكم اللاذع اللذين يمتاز بهما مسرح حيل رومان، وإن يكن وقائع المسرحية تبدو مبالغاً فيها إلى حد يكاد يبعدها عن الواقع، وبالتالي عن المعقولة وإمكانية الحدوث وهما شرطان يتوفران عادة لما نسميه الملهاة النضدية أو الكوميديا الاجتماعية، وهذه فضية سننظر فيها نظرياً وتطبيعياً بعد أن نقدم أولاً المؤلف چيل رومان إلى الفراء.

ولد لويس فاريجول رومان وشهرته جبل رومان في قرية سان حوليان سناتيل بفرنسا سنه ١٨٨٥، ولا يزال حياً حتى الآن، وبعد إتمامه لمرحلة التعليم العام فاز في مسابقة مدرسة المعلمين العليا وهي مدرسة لا يتلقى فيها الطلبة دراساتهم العليا ولا يحصلون منها على درجات علمية، بل يدرس طلبتها في الجامعه مع غيرهم من الطلبة، وما هي إلا بمسابقة قسم داخل يقيم فيه الطلبة المتفوفون الذين يجتازون مسابقته بعد إعداد أنفسهم لهذه المسابقة على إثر حصولهم على البكالوريا والانتها من مرحلة الدراسة الثانوية، وهم مقيمون في هذه المدارس مجاناً، بل ويمتحنون مكافأه شهرية، وفي هذه المدارس مكاتب كبيرة يستفيد بها طلبتها. واجتياز مسابقه مدرسة المعلمين العليا أمر شاق، ولذلك يعتبر الفائزون في مسابقتها صفوة السبان وبطل كل واحد منهم، يعتز طول حياته بقبوله فيها. وبعد أن حصل جبل رومان

على ليسانس الدولة في الفلسفة من السوربون، أخذ يعد نفسه للتقدم لمسابقه الأستاذية (الأجرجاسيون)، وهي مسابقة ضخمة عتيفة تعدها الجامعة كل عام ليتقدم إليها الطلبة بعد التحضير لها لمدة عامين كاملين. والغاية منها هي اختيار السبان النابغين الذين يصلحون للتدريس بالمدارس الثانوية، ومن يفور في هذه المسابقة لا يعتبر مدرساً، بل يعتبر أستاذاً بكل معاني الكلمة. ولقد فاز حيل رومان في هذه المسابقة سنة ١٩٠٩ فأصبح بذلك أستاذاً في الفلسفة.

ومع ذلك لم ينظر حيل رومان حصوله على لقب الأستاذية لكي ينادى بمذهب فلسفي اجتماعي جديد سماه مذهب «الكله» Unanisme الذي أعلنه منذ سنة ١٩٠٣ وهو مذهب أو منهج يرمى إلى تصوير الروح الموحدة الى محرك كل مجتمع بسرى، وقد أوحى إليه بهذه الفكرة تعاليم أساتذته علم الاجتماع الذين تلقى عنهم العلم في السربون. من أمال رائد علم الاجتماع الحديق العالم الكبير «دركايم» وزملائه من كبار الأساتذه مثل: «ليهى بربل» وغيره.

وبالرغم من دراسة حيل رومان للفلسفه بفروعها المختلفة وتخصصه فيها، فإن مواهبه السعريه والأدبية، فد أخذت تظهر منذ وقت مبكر، إذ رأيناه يشارك مع عدد من سبان جيله الأدباء والسعراء أمال «سنفير» و «ديهاميل» و «فيلدراك»

و«أركوس» في تأسيس ما يعرف في تاريخ الأدب الفرنسي المعاصر: بـ«دير كورتيل»، ولهذا الدير قصة أدبية تاريخية بالغه الطرافة خلدها أحد أعضاء الدير وهو رينيه أركوس في صفحات شعرية جميلة نثبتها هنا لطرافتها بالرغم من سبق نسرنا لها في المقدمة التي كتبناها لترجمتنا لكتاب «دفاع عن الأدب» لمؤلفه جورج ديهاميل.

يقول رينيه أركوس: «كنا في أوائل خريف سنة ١٩٠٦ في يوم أحد مطير عندما اكتشفنا - فيلدراك وزوجته وأنا - الدار الى أصبحت «الدير»، داراً محوطة الطلاء لم يسكنها أحد منذ سنين ولكنها جليظة المظهر بشرفاتها وواجهتها ذات الطوب الأحمر ونوافذها الخضراء. كانت محاطة ببستان أشعت جمع أشجاراً من كافة العناصر، وبأقصى البستان حديقة فواكه فيها عدد كبير من الأشجار (لقد اتخذنا من الفواكه غذاءنا صيفاً بأكمله)، ثم حشائش وكوخ، وطرق عمت مسالكها الأعشاب المسرفة. وكانت مئات من الطيور قد آوًت إلى هذا المنزل المهجور منذ زمن طويل. وبعد هذه الزيارة بخمسة عشر يوماً كان عقد الإيجار الذي جعلنا سادة «الدير» قد وقع. وهذه الوثيقة الحزينة التي لا تزال بين يدي تحمل خمسة إمضاءات لمؤسسي الدير: رينيه أركوس، جورج ديهاميل، ألبير جريز، هنري مارتان، شارل فيلدراك، ولقد أضفنا في قلوبنا اسم «لينار» الطباع الذي علمنا مهنتنا والذي قاسمنا حتى النهاية أيام نعيمنا وأيام بؤسنا.

وكان من أول حرصنا عليه أن «سمرنا» على المدخل
 «يافضه» كان المارون يستطيعون أن يفرءوا عليها أبياب ربليه:
 هنا. ادخلوا. ادخلوا على الرحب والسعة
 ادخلوا تجدوا مأوى وحصنا.
 يقى من الخطأ الأليم الذى طالما احتال
 بأسلوبه الكاذب فسمم العالم.
 ادخلوا لندعم هنا الإيمان العميق.
 ونحت هذه المقطوعة كتبنا المقطوعة الأخرى التى تقول:
 هنا لا تدخلوا أيها المتزمتون
 أيها القروء العتاق.
 أيها الأقدار المنبجعون.

وهنرى مارتان، السياسى الساب الذى كنا قد تعرفنا إليه
 والذى أعجبهته مشاريعنا، هو الذى حصل لنا على أدوات الطباعة
 ووضعها تحت تصرفنا. وفيلدراك الذى كان متزوجاً وأباً لأسره
 أقى بعائلته كلها ووضع كل منا فى غرفة الانتظار - التى كانت
 غرفتنا المشتركة - أعز ما يملك من أناث.

نم تعلمنا مهنتنا، مهنة الطباعة، فى سرعة أدهست «لينار»،
 والمجلدان الأولان اللذان حملتا سارتنا كانا. «أساطير ومعارك»
 لخرج ديهاميل، «مأساة الأمكنة»، لرينييه أركوس. ولقد نشر
 «الدير» ما يقرب من عشرين مجلداً، ثم إن روبير دى مونتسكيو

لكى يظهر لنا عطفه، عهد إلينا بدوان سعر له «مارسفلورا»، ولكنه طلب إلنا الكبر إذ حملنا على إعاده طبعه أكثر من مرة، وفي النهايه ظهر أن هذه الصففه كانت من أسوأ الصففات الى عهدناها.

وكان الكبر من الفنانين السبان يأتون إلى الدر ضوفاً بضاحه كورنبه، كانوا يأتون يوم الأحد جماعات. لقد أصبح دارنا هدفاً للنزّهة وكان يزورنا أيضاً أشخاص عجبون، كان من بينهم رجال ذوو فمضان حمراء وأخرى سوداء، ونباتيون وكائنات من هنا وهناك، ونساء دميمات ذريبات اللسان يدعوننا إلى أن نعيش وفقاً للمذهب. أى مذهب؟ ذلك ما لم نعلمه فط على وجه التحقيق. وأراد أحد الإسراقيين أن يحملنا على بناء عدة أكواخ خشبية بيستاننا، بلا ريب لكى نربى فيها جيلا من التلاميذ! وذاب صباح أتنا على دراجة ساب قوى عضلات الأرجل ذو عينين فى لون السماء هو حيل رومان الذى كان إذ ذاك طالباً بـ مدرسة المعلمين العليا (النورمال)، أتى حاملاً مخطوطة «الحياة الكليه» Vie unanime التى قرأناها فى نفس المساء بصوت مرتفع. يالها من حماسه! وإن تكن الصياغة، ونريه الدبوان، قد حملتا بعضنا، من لحظة إلى لحظة، على أن يقطب حاجبيه، إلا أننا أحسنا جميعاً أن ساعراً قوى الأصالة، نادر البكورة قد ولد. وحمل الربيع إلى «الدير» مستأجرين جددًا: مرسير ووزوجته

(أتنا من موسكو حيب نزوجا)، وبرتولدمان، ودومار، وألبر
دوبان وزوجه، وبعض الأصدقاء الآخرين. وكان الموسيقيون
يأتون لبلعبوا فيه موسيقاهم، والمصورون ليعرضوا لوحاتهم،
والسعاء لسمعوا شعرهم ينسده مملون ومملات، ولقد أصبحت
إحداهن فيما بعد (بلانس ألبان) زوجة لديهاميل، ودامب المغامرة
أربعة عشر شهراً. وبعد ستاء آخر فاس اضطررنا إلى أن نفترق،
وأن نترك «الدير» الذي لم نعد نستطيع أن نعس فيه.

بجب أن بعزى الفصل إلى حداتنا قبل كل سىء. لقد كان
ينفصنا النظام، إذ كنا لاننصت لغر هوانا. سم إننا كنا نتابع
غايات مختلفة، غايات لم نكن قد انتهينا كلنا إلى تحددها على
وجه دقبق.

بقيت لدى كلمات فلسفة هي: أن الدير لم يكن فط مدرسه
شعريه. لقد كان مجرد جماعة من الرجال يريدون بعملهم أن
يعيشوا معاً في حباه حرة، وإذا كنا قد أظهرنا عندئذ عطفاً نحو
كل السعاء والكتاب الذين لاحوا لنا موهوبين، فإن ذلك لم يكن
لعرض خفى في أن نجندهم تحت راية ما. لم يكن لنا مذهب
مسترك، بل لقد كان يتفق أحياناً أن سخر بعضنا من بعض، بل
أسطيع أن أقول مع قلدراك أوديهاميل، أنه قد لاح لنا أن فلاناً
من رفاقنا كان ينكلم ويكذب بلغة غريبه عن لغتنا.

لقد أظهر النفاذ كثيراً من القربات الدقيقه بن قلدراك

ورومان وديهاميل وبينى، ولن يخطر ببال أحد منا أن ينكرها. بل إنها بلا ريب قد امتدت إلى شعراء آخرين: جوف وسنمير، وديرتان... إلخ، ولكنه لم تكن هناك مدرسة أصلاً، لقد كنا جمعاً نبغض أسند البغض روح التجنيد.

ورينيه أركوس على حق فيما يقرره من أن جماعه الدير لم تكون مدرسة أدبية متفقه فيها بينما على فلسفة إنسانية أو فنه، وذلك بالرغم من سيطرة شخصية: جيل رومان، ومحاولة فرضه مذهب الكلية على الجماعة كلها، ولقد أوضحت في مقدمتى لكتاب «دفاع عن الأدب» كيف أن جورج ديهاميل ملا، كان نفر كل النور من فلسفة حيل رومان، وبخاصه عندما كانت تتطو إلى السلوك الأخلاقى والاجتماعى على نحو ما يحس من بعض عبارات حيل رومان الخارجه مثل قوله: «لا تفر من المزاوجه، بل احذر أن تكون أحد اثنين على نحو دائم» أو «إن الأسرة والزواج أحجار عره تقوم فى سبيل الكلية». ومع كل ذلك. فإن طرف النفيض من ناحيه الفلسفة الأخلاقية الاجتماعية وهما جورج ديهاميل، وحيل رومان، هما اللذان اكتسبا شهرة عالمية واسعه بضخامه إنتاجهما وجودة الكثير منه.

ونقصر حديثنا هنا على حيل رومان، فنذكر أن مؤلفاته الكبيرة تتوزع بين ثلاثة فنون أدبية كبيرة:

١ - القصة الطويلة مثل: «الفريه الى بعث» سنة

١٩٠٦، و«سلطات باريس» سنة ١٩١١، و«موت إنسان» سنة ١٩١١، و«الأصدقاء» سنة ١٩١٣، و«دونو جوتونكا» سنة ١٩٢٠، وثلاثية: «الروح أو لوسيين» سنة ١٩٢٢، و«إله الأجساد» سنة ١٩٢٨، و«عندما السفينة...» سنة ١٩٢٩، ثم سلسلة: «الرجال الطيبون» التي تعتبر أشهر قصصه.

٢ - دواوين شعر مثل: «روح الناس» سنة ١٩٠٤، و«الحياة الكلية» سنة ١٩٠٤: ١٩٠٧، و«أناسيد وصلوات» سنة ١٩١٣، و«أغنية عسر سنوات» من سنة ١٩١٤: ١٩٢٤، وقد نشرها سنة ١٩٢٨ كما ألف مع سنقيير سنة ١٩٢٣ كتاباً عن «نظم الشعر»، عرض فيه منهجه في موسيقى الشعر التي يراها في تكرار صوت بسيط قد يكون صائتاً أو صامتاً وليس من الضروري أن يأتي في آخر البيت.

٣ - سلسلة من المسرحيات مثل: «الجيش في المدينة» سنة ١٩١١، و«كوميدير العجوز» سنة ١٩٢٠، و«السيد تروهاديك مأخوذاً بالدعارة» سنة ١٩٢٢، و«كنوك أو انتصار الطب» سنة ١٩٢٣، و«زواج السيد تروهاديك» سنة ١٩٢٥، و«البراقه» سنة ١٩٢٥، و«الديكتاتور» سنة ١٩٢٥، و«ديميترىوس» سنة ١٩٢٦، و«أميديه» سنة ١٩٢٦، و«حان سيئ الصراحة» سنة ١٩٢٦، وفي سنة ١٩٢٩ اشترك مع ستيفان زفايج في اقتباس مسرحية «فولوني» عن الشاعر الإنجليزي بن جونسون، وهي

المسرحية الى عرض على جمهور القاهرة باسم «عبيد الذهب»، ثم مسرحيه «حان موس» سنة ١٩٣٠، و«دولوجو» سنة ١٩٣١، و«الملك المفتح» في نفس العام.

وأما في مجال التفكير الفلسفي فله فضلاً عن نظريه «الكله»، نظريه أخرى تقول إن بعض الأشخاص يستطيعون أن يبصروا دون الاسعانه بالأعين. وقد بسط هذه النظرية في كتابين سمى أحدهما: «الرؤية الخارجة عن الحدفة» أي اللاحدفة، وسمى الآخر «حاسة الرؤية بلا أعين».

ويجمع النقاد على أن تفوق جيل رومان الحق، إنما كان في مجال المسرح، وذلك بفضل روحه الفكاهة اللاذعة، وسخريته الناقذة في نقد الأخلاق، كما يجمعون على أن مسرحيه «كنوك أو انصار الطب»، هي رائعتة الفذة التي عرف بها في العالم أجمع، ومن الواضح أن الروح الفكاهة اللاذعة لا بواتيها من السعر، وبخاصه إذا كان صاحبها مكوناً تكويناً فلسفياً محمله على التحليل النظري الذي لا يتسع له عادة وعاء السعر، وقد تصلح له الفصه، ولكن مجاله الحق هو الحوار المسرحي، وهو ما نبغ فيه حيل رومان، أكثر من نبوغه في فن الفصه أو في فن السعر، حيث يغلب على دواوينه التفكير الفلسفي الجاف، بل المنعسف أحياناً فضلاً عن التثريه التي تذهب بطلاوة السعر وجماله.

كنوك وفن الهزليات

نعفد الإجماع على أن هذه المسرحية من الروائع العالمية، ومع ذلك لاحظ أن الأساتذة، والنفاد الأنجلوسكسونيين سموها هزله Farce، على نحو ما ورد في الموسوعة الأبعد لأكسفورد المعروفة باسم: المرشد إلى الأدب الفرنسي Companion to Grench Literature، فإلى أى مدى ينطبق عليها هذا الوصف؟.

نلخص هذه المسرحية فى السحرية اللاذعه من الطب والأطباء، وهو موضوع من مواضيع الكوميديا التقليدية وبخاصه منذ عصر مولبر الذى طالما سخر من الأطباء من مرضى الوهم، ولكن مسرحية «كنوك» لا ننفذ واقعاً فعلياً أو ممكن الوجود، بل تفترض فروضاً مسرفة وإن يكن هدفها النهائى طبعاً، هو نقد حل بعض الأطباء لجمع المال من طريق الإلهام بالمرض.

فالدكتور باربالد عمل فى عياده بقريه «سان مورس» سنين طويلة فد بلغ الربع قرن، ومع ذلك لم يصب نجاحاً، ولا جمع روة مما اضطره إلى البحث عن مسر لهذه العيادة لكي ننصل للعمل فى مدينة كبره هى ليون، واهتدى إلى كنوك لبعه هذه العيادة، بل وببعه أيضاً السارة العتقة الى كان يستخدمها فى نفلايه بالريف. وبحس من احتال باربالد على إفناع كنوك

بصلاية السيارة المستهلكة وتفضيلها على الساراب الجديده الى يزعم أنها مصنوعة من الصفيح - نحس بأن بارباليد هو الآخر رجل محتال، بل وأن زوجته وسائق عربته يتآمران معه في هذا الاحتيال، وتبدأ المسرحية ذات الفصول اللاله بمشهد العربه العتيقة وقد ركبها الدكتور بارباليد وزوجته وكنوك ليصعدوا الجبل إلى قرية سان موريس، وكلما أصاب السيارة عطل اجتهد بارباليد وزوجته في إيهام كنوك بأن السائق يريد إراحة السياره بعض الوقت، بل ويحاولان صرفه عن ملاحظة ما يجريه فيها السائق من إصلاح، حتى إذا وصلوا إلى القرية الجبلية، سلم بارباليد العيادة إلى كنوك وحرر معه عقد البيع للعيادة والسياره، على أن يدفع كنوك ثمنها أقساطاً على فترات محددة.

وفي القرية يعلم كنوك أن سبب فشل بارباليد يرجع إلى أنه لم يكن يتكالب على مهنته، بل كان ينفق الكثير من وقته للنزهه، أو في ألعاب التسلية بفندق القرية، كما كان يهون على المرضى خوفهم، ويصف لهم أبسط الأدوية وأرخصها ويدعوهم إلى النفه بقدرة الجسم على المقاومة الذاتية حتى ضج صيدلى القرية من كساد بضاعته، بل وانصرف أهل الناحية جميعاً تقريباً عن الطبيب وعيادته، مما دعا كنوك إلى أن ينتهج نهجاً مضاداً استخدم فيه كافة الحيل والوسائل الجهنمية لابتزاز المال، فانتدأ بأن استدعى الصيدلى وأفنعه بأن العمل سينشط في صيدليته وأوصاه بأن يجلب إليها الأدوية الغاليه الثمن كما استدعى المسيو برنار

معلم الفرية واتفق معه على أن يزوده بمجموعه من الأمراض على أن يعرضها في محاضرات يلقيها بمفر المدرسه على الجمهور عن سقى الأمراض وبخاصه الأمراض المحلية، موضعاً المعلومات الى يقدمها إليه كنوك بالصور التي يعرضها بالفانوس السحري. واستدعى أيضاً منادى المدينة لكي يكلفه بأن يطوف بالفريه والمرى المجاورة معلناً أن طبيب الفريه الجديد، قد قرر أن يفتح عيادته مجاناً يوم السوى من كل أسبوع وهو يوم الانين لفحص جميع سكان المنطقة وطمأنتهم على حالتهم الصحية. وما إن أتم كنوك ترتيباته الجهنمة حتى أخذ جميع أهل المطفه يتوافدون على عيادته للفحص المجاني يوم الانين. وابتداءً من هذه اللحظة تمر أماً طائفه من المصاد المضحكة اللاذعة التي برى فيها عدداً من الرجال أو النساء يدخلون عياده كنوك وهم أصحاء، أو على الأقل بادی الصحه ويخرجون منها مرضى أو مؤمنين أنهم مرضى بعد أن أوهمهم كنوك بكل ذلك وأمرهم بأن يخرجوا من عيادته إلى منازلهم ليأووا في فراشهم على أن يعودهم فيه، ويطب لهم، حسب يتولد في نفوسنا إحساس واضح بأن أهل الفريه وضواحيها قد لرموا جميعاً الفراس، بل وبحل موعد القسط، ويصل الدكتور بارباليد إلى سان موريس لسلم من كنوك هذا القسط، ويعلم بارباليد وهو في الفندق بالنجاح الفظيع الذى أحرره كنوك حتى صعب على بارباليد أن يحذ غرقه خالبه بالفندق الذى يحول إلى سبه مستسفى، لولا توسط كنوك لدى

إدارة الفندق. ويندهس باربالد مما يرى وسمع، ولكنه لا يكاد يلقى بكنوك ويدور بيها الحذب وسنمغ إلى فلسفه كنوك الى بزعم أن الأصحاء لسوا إلا مرضى غافلين حى ساوره هو الآخر السك فى أنه مريض، ولكن كنوك بعذر بكره اعماله ومواعده عن فحص باربالد فوراً ويعده بإجراء هذا الفحص بعد الظهر. وهنا تنتهى المسرحيه، أى بعد أن أسعربا المؤلف بأن كنوك لم ينجح فى إلزام جميع أهل القرية وصواحبه فراس المرض فحسب، بل ونجح فى إيهام الدكتور باربالد نفسه بأنه مريض غافل عن مرضه.

وسخصية «كنوك» هى الى تعطى المسرحيه طابع الهزليه.

فنحن نعلم منذ الفصل الأول ومن الحوار الذى مجرى بين كنوك والدكتور باربالد، أن كنوك لم يدرس الطب فى جامعه، ولم يحصل على مؤهل، وإنما زاول المهنة احتشالاً وها هو الحوار السق اللاذع الذى نعلم منه ذلك:

الدكتور : هذا كلام غير مفهوم.

كنوك : بالعكس هى مسأله فى غايه البساطه، ومنذ عشرين سنه مضت تخليط مضطراً عن دراسة الاداب واشغلت بائعاً فى قسم «الكرفنات» فى مجر كبير بمرسيليا، ثم فعدت عملى وأخذت أسكع فى المساء وقرأب إعلاناً عن سفينه حمولتها ١٧٠٠ طن مسافره

إلى الهند بطلب مسرفاً صحياً، ولا تسترط أن يكون
حاصلاً على لقب دكتوراه، فماذا تفعل لو كنت
مكاني؟

الدكتور : لا أفعل شيئاً بطبيعته الحال.
كنوك : أفهم هذا منك، فأب لا نعسى مهنة الطب، أم أنا
فقد ندمت، وإذا كنت أمتت الموافق المريبه - فقد
أعلنتهم منذ دخولي فائلا: «أيها السادة كنت أستطيع
أن أزعم لكم أنني دكتور ولكني في الواقع لست
دكتوراً، بل أصرح لكم بما هو أدهى - إنني
لا أعرف في أي موضوع سأكتب رسالي»، فكانت
إجابتهم أنهم لا نمسكون بلقب دكتور، وأن موضوع
رسالي لا همهم في سىء، فرددت على الفور: مع
الاعتراف بأنني لست دكتوراً فإنني أود - لأسباب
ننعلو بالكرامه وحسن النظام - أن بطلق على في
السفينة لقب دكتور»، فقالوا إن هذه المسألة طبيعیه،
ومع ذلك لبت مدى ربع ساعه أشرح لهم الحجج التي
زحرحني عن التمسك بالصدو والأمانه وحملتني على
المطالبة بلقب لاحق لي فيه ولا يرضاه ضميري.
وهكذا أطلت الحديد حتى لم يبق أمامهم سوى بلب
دقائق لللب في تحديد مرتبي.

الدكتور : ولكن أصحيح أنه لم يكن لديك أى إلمام بالطب؟

كنوك : افهمنى ! إننى كنت منذ طفولتى أقرأ بسغف فى الصحف كل إعلان عن علاج طبى أو دواء، وإذا اشترى أبواى علبة حبوب أو زجاجة دواء سائل، نزعَت الورقة الملفوفة عليها وقرأت سرحها لطريقة الاستعمال، فما بلغت التاسعة من عمرى حى كنت أحفظ عن ظهر قلب نصوصاً طويلة عن عوارض الإمساك، وأستطيع الآن أن أتلو عليك من الذاكرة نص خطاب بديع أرسله الأرملة : م.ع. من مدينه بورج عام ١٨٩٧ إلى المعمل الأمريكى الذى ينتج دواء ضد الإمساك اسمه : «الأعشاب السحريه الأكيدة المفعول». أريد؟!..

الدكتور : لا تتعب نفسك إننى أصدقك.
وإذن فكنوك لس طبيباً بل محتالاً، ابدأ سلسلة احتيالاته باللعب على لفظه دكتور لوهم أنه طبيب، وإن لم يحصل على درجه الدكتوراه. وهذا هو جانب الهزل فى المسرحية، ولكن أبيع لنا ذلك تسمية المسرحيه كلها فارس Farce ؟ ولبست المسأله مسألة اصطلاح أو خاتة نضع فيها هذه المسرحيه أو ننقلها إلى خاه أخرى، بل مسألة فنيه هامة، لأن وصف مسرحيه بأنها هزليه يخرجها من الأدب الرفيع إلى الأدب الرخيص. وللب فى ذلك بوضوح أولاً مدلول لفظه هرله وباريخ فى الهزليات فى إيجاز. لعد اصطلاحنا فى لعبا العريه احدثه على رحمه لقصه

كوميديا بلفظة ملهاة، وأما لفظه فارس Farce فنفتوح ترجمتها بلفظة هزليه، مميّزاً لها عن الملهاة أى عن الكوميديا.

ولفظه فارس Farce، معناها الاستمافى فى اللغة الفرسيه «الحسو» الذى يحسب به ورو العنب أو «الكوسه» مثلاً؛ وقد تطرقت هذه اللفظه إلى لغة المسرح منذ القرون الوسطى إذ أطلقت على مناهد هزليه كانت تعرض فى فترات الاستراحه بين كل فصل وآخر من فصول المسرحيات الدينيه الى كان منتسره فى القرون الوسطى، وسيئاً فسيئاً أخذت تلك المساهد الهزليه تستقل بذاتها لتكون فناً مسرحياً قائماً بنفسه، وبذلك نساب المسرحيه الى تسمى الآن بالفارس، أى الهزليه، وهى مسرحيه لا هدف لها عبر الإضحاك. وفى الغالب تعتمد فى ذلك على النكات اللفظيه والحركات البهلوانيه والمواقف غير المعقوله الخاليه من كل دلالة. وفن الهزله كبيراً ما يصعب تمييزه فى تاريخ الأدب الدرامى عن أنواع أخرى من المسرحيات الفكاهيه الخفيفه، السطحيه الهدف، مثل ما عرف فى إيطاليا، وانتقل منها إلى البلاد الأوربيه الأخرى باسم الكوميديا الفسيه، وهى كوميديا كان الممثلون يربجلونها؛ ومن أشهر هؤلاء الممثلين السيد «بنطلون» والسيد «سكاراموش»، ثم نوع آخر ازدهر فى أحد وديان فرنسا وعرف باسم هذا الوادى وهو فن «الموديل». والآن هل نعتبر مسرحيه «كنوك» كوميديا نقد اجتماعى وأخلاقى؛ أى «ملهاة» أم نعتبرها هزليه لا تستهدف غير

الإضحاك بالوفائع والموافف غبر المعقولة التى نضع معها كل هدف اجتماعى أو أخلاقى.

الوافع أن هذه المسرحية الرائعة ننضمّن سخّصات وأحداثاً يبدو بعيدة عن واقع بلد محضر مما يمرّ بها من الهزله، ولكننا نلاحظ من جهة أخرى أن ما يبدو عريباً فيها قد يكون مجرد تجسيم ومبالغه لواقع يستحق النقد والسخرية، وهى فوق كل ذلك تتضمن فلسفه نفسية واجتماعية لاشك فيها، فمن الناحية النفسية، نحس فيها بتحليل دقيق لفدره الإنسان على إيهام غيره وإيهام نفسه، بل إن فكره كنوك الأساسية التى يسميها رسالته لنيل الدكتوراه، قد لا تخلو من صدق، وهى زعمه، بأن الأصحاء مرضى عاقلون، فهذه حقيقة كبراً ما تشهد بها تجارب الحياه وإن يكن التعميم يفسدها، كما يمكن أن يفسد كافة الأحكام، والمسرحيه فوق ذلك ننخللها الفلسفه الاجتماعيه التى يلفها جيل رومان عن أساتذة علم الاجتماع فى السوربون كدور كام ولبى بريل وغبرهما، ففيها دراسه وتحليل لروح القطع عند الجماهر وكف بمكن استهواؤها بأيسر الطرق الاحتمالية وبخاصة بالمحاضرات المصوره الى ألقاها برنار معلم القرية عن الأمراض وأعراضها وعواقبها ومضاعفاتها، وكل ذلك فضلاً عن إظهار المؤلف لأخطار سهوة جمع المال على المجتمع عندما يتضافر الجسعون أمنال كنوك وصيدلى القرية على ابتزاز أموال الناس بإيهامهم أنهم مرضى، وإن يكن المؤلف قد بالغ فى سطوة هذا

الإلهام الذى أُلهم أهل الناحية كلهم فراس المرض، وكأن حل رومان ينتقد الاتجار بالطب ويكاد يلعب الأنظار إلى ضروره تأسمه.

وأما من الناحية الفنية الخالصة، فالمسرحية محكمة البناء، وسخصاتها دفعه التصوير، وحوارها خفيف براق، بالرغم من عمق المعاني النفسه والاجتماعيه والأخلاقه الى يحملها، وفي كل هذا مايرفع المسرحيه إلى مستوى الأدب الجاد بحيث نستطيع أن نخلص إلى أننا سواء جارينا الأنجلوسكسوبين فاعسرنا هذه المسرحيه من نوع الهزليات الجيده، أو جارينا الفرسيين فاعسرناها ملهاه من نوع الكوميديا النفسه الاجتماعيه، فإننا على أية حال لا نستطيع أن ننكر النجاح الجماهيري الضخم الذى حازته منذ أن عرض أول مره على كومبيدا السانرليزيه سنه ١٩٢٣ وفام بإخراجها وتمثل دور كتوك فيها، الممثل والمخرج الفرنسى العالمى الصب: لويس حوفه. ومنذ ذلك التاريخ احييت هذه المسرحيه مكاناً ثابتاً فى رصيد أى روبروار للكثير من المسارح العالميه فى كافة بلاد العالم.

محمد مندور

شخصيات المسرحية

| | |
|-------------------------|--------------------|
| حان | * كنوك |
| مدام بارباليد | * الدكتور بارباليد |
| مدام ريمى | * موسكيه |
| السيدة ذات اليا ب السود | * برنار |
| السيدة ذات النياب | * منادى البلدة |
| البنفسجية | |
| الخادمة | * فتى قروى -الأول |
| صوت ماريت بين حسد | * فتى قروى -الثانى |
| من أهالى البلد | * سيبون |

الفصل الأول

«بحرى حوادث هذا الفصل داخل أو حول سياره من طرار قديم جدًا يرجع لسه ١٩٠٠ - ١٩٠٢، هيكل صخم (هى فى الأصل من طرار «فتون مردوح» وحولت فيما بعد إلى طراز يشه «الطوريد» بفضل إضافه ألواح معدنيه عليها) مستلزمات السياره من النحاس كبره الححم ومقدمها حيث المحرك على شكل صدوى صغير؛ وتتحرك السياره من مكاهها فى أثناء بعض مشاهد هذا الفصل ويكون التحرك من حوار محطه صغيره للسكه الحديد ثم تصعد بعد ذلك فى طريق جبل . »

المشهد الأول

كنوك - الدكتور بارباليد - مدام بارباليد - جان

الدكتور بارباليد : أهذا متاعك بتمامه يا زميلى العزيز؟
 كنوك : نعم هذا كل ماعى يا دكتور بارباليد.
 الدكتور : سيضعه حان بجانبه، المقعد الخلفى يسعنا نحن
 الثلاثة بسهولة، السياره فسيحه والكراسى
 الصغيره الإضافيه مريحه، ستان بن هذه
 السياره والسيارات الحدينه القمبئه.

كنوك : [يلتفت إلى حان وهو يصع الصندوق] خذ بالك من هذا
الصندوق فقد وضعت فيه أجهزة سهلة
الكسر.

[يبدأ جان في تكوين متاع كنوك]
مدام بارباليد . هذه سيارة سأخسر عليها طويلا إذا غلبتنا
الحماقة وبعناها.

[كنوك يتأمل السيارة دهشة]
الدكتور : لأنها في الحقيبة طوربيد ومع طراز الفيتون
المزدوج القديم.

كنوك : نعم.. نعم..

[يحتفى المعد الأمامى كله تحت أكوام المتاع]
الدكتور : انظر إلى متاعك كيف اتسع له المقعد وبقيت
لجان جلسته المطمئنه، بل ليتك جئ بمتاع
أكر لتدرك أن هذه السيارة تعنى بكل
المطالب.

كنوك : هل بلدة سان موريس بعيدة؟
الدكتور : على بُعد أحد عشر كيلومتراً، ولا يخفى عليك
أن بعدها عن السكة الحديد هذا القدر نعمة
كبيرة لأنه يستبقى إخلاص المرضى لطبيهم
فلا يزوغون منه لالتماس العلاج في عاصمة
الإقليم.

- كنوك : ليس بينها إذن وبين المحطة عربة نقل؟
الدكتور : نعم هناك عربة نقل ولكنها في حالة يرسى لها،
بحيث يحب إليك المسى بدل الركوب.
مدام بارباليد : السيارة هنا لا غنى عنها.
الدكتور : بخاصة للأطباء.
[كنوك متمسك بمسلك مهدب متحفظ]
حان : (إلى الدكتور) هل أدير المحرك؟
الدكتور : نعم يا بنى!
[جان يهكم في معالجة السيارة يفتح عطاء المحرك، ويفك
الوجهات، ويصب النربس إلح إلح]
مدام بارباليد : [إلى كنوك] إن المناظر الطبيعیه على جانبى
الطريق جميلة، وقد سبق للكاتب زيناثيد
فلوريو أن وصفها في قصه من أحسن قصصه،
فد نسيب اسمها، [ترك السيارة وتقول لروحها-]
ألا ترى أن يكون لك الكرسي الصغير
الأمامى وهكذا يجلس الدكتور كنوك إلى
جانبى ليتملى من المناظر الى نمر بها؟
[كنوك يجلس إلى يسار مدام بارباليد]
الدكتور : السيارة فسيحة بقدر كاف والمقعد الخلفى يتسع
لجلوس بلانه براحة، غير أنه محسن للراكب
أن بملك حركته ليتمتع برؤيه المناظر من حوله

[يقترب من حان] كل شيء على ما يرام ؟ هل
 فرغت من صب البنزين ؟ وفي السلندين
 الانين ؟ لعلك لم تس أن نظف اللوحبها
 فليلا، فهذا أحوط بعد مسوار طوله أحد عشر
 كيلومتراً، ولف « الكاربوراير » بقطعه من
 القماش أو ينديل كبير فإنه خبر من هذه
 الخرقه [يقول وهو يكر راحاً] بدع ! بدع ! [يصعد
 إلى السيارة] إني أجلس على الكرسي الأمامي
 الصغر الفسيح، ومع ذلك فهو بمنايه فوسل
 رحب يفرد ويطوى.

مدام بارباليد : سظل الطريق سوا إلى صعوده حتى نبليغ سان
 موريس، والذهاب إليها على الأقدام وبهذا
 المتاع كله عذاب عظيم، أما بالسباره فهو معه
 ساحرة.

الدكتور : كنت يا زميلي العزيز في الأنام الخوالى أداغب
 آله السعير، ونظمت أنسودة من أربعة عشر
 بيتاً تتغنى بجمال الطبيعة في هذه الأرحاء إلى
 ستتكشف لنا، والمصبيه أننى نسينها :

وفيعان تنوه العين فيها
 يرفرف فوفها علم الجمال
 [جان يدير المانيقلا بجهد المسمي]

مدام باربالد : يا ألبرت لك منذ سنين إصرار على رواية هذا البيت وفيه كلمه «فيعان» بدلا من كلمه «أغوار» كما كان فى الأصل.

الدكتور : صحيح، صحيح، [يسمع صوت انفجار] الق سمعك ما زمبلى العزيز' إلى المحرك لتبين كيف أنه مطواع لا يحرن، فما احتاج إلا إلى لفه أو لفتين من المانيغلا حى «شفط» البنزين، ثم ها أنت تسمع صوب انفجاره مرة ومرة أخرى، هيا هيا، فإذا بنا نسير..
[حار تحتل مقعده وتتحرك السيارة وتتنازع المناظر شيئا فشيئا]

الدكتور : [بعد فتره صب] صدقنى يا خَلْفى العزيز [يدق على كتف كوك]، نعم فقد صرت من هذه اللحظة خلفاً لى، صدقنى حين أقول لك إنك أبرم صفقة طيبة، نعم، فجميع مرضاى هم منذ هذه اللحظة زبائنك، حى ولو صادفنا ونحن نقطع الطريق مريض ولمحنى برغم أن السيارة ترق أمامه بسرعه خاطفه وطلب إلى أن أعالجه فإننى سأتنحى وأقول له رافعا صوى: «أخطأت مفصداك يا سيدى، فهذا هو طبيب البلد [يشير سسانته إلى كوك] ولن أخرج عن

مخبئي [تتوالى امحارات المحرك] إلا تلبية لدعوة
أصولية منك للاستراك معك في كونسولتو
لتغليب رأى على رأى [امحارات أخرى من المحرك]
من حسن حظك أنك وقعت على رجل يسخلى
عن عمله لا لشيء إلا للتلذذ لتحفيق نزوة
طافت برأسه.

مدام بارباليد : لقد أقسم زوجي أن يختم حياته العملية في
مدينة كبيرة.

الدكتور : إنني أستهي أن أنحنى أودع الجمهور للمرة
الأخيرة من فوق مسرح كبير، وهذا مني
غرور فيه سوء من السخف. أليس كذلك؟
إنني أحلم بباريس، ولكن فد أقنع بليون.
مدام بارباليد : وذلك بدلا من أن يجمع له هنا نروه مضمونة في
طمأنينه وهدوء.

[كنوك يتأملها تارة، ويستغرق في أفكاره تارة، ويلقى بطرة
إلى المشاهد من حوله تارة أخرى]

الدكتور : لا تسرف في السخرية مني يا زميلي العزيز،
فإنما بفضل هذه النزوة التي طاف برأسى قد
أتيج لك أن ترث عيادتي لقاء تعويض زهيد.

كنوك : أهذا حكمك؟

الدكتور : إنها الحقيقة السافرة.

- كنوك : على كل حال فأنا لم أساوكم قط.
- الدكتور : حقاً لقد أحببت فيك برفعك عن اللجاجة، وأعجبني منك جداً أنك بدأت المفاوضة بالمراسلة أولاً حتى إذا تم الاتفاق على جميع التفاصيل جئت بنفسك، وهكذا أبرمت الصفقة، كما بدا لي، على طريقة كرام الناس، أو قل على الطريقة الأمريكية. حقاً أهنتك على هذه النعمة التي هبطت عليك، فالعبادة لها دخل نابت لا يتعرض لأزمات مفاجئة.
- مدام بارباليد : وليس بجانبك منافس آخر لك.
- الدكتور : والصيدى الوحيد لا يجاوز قط حدود مهنته..
- مدام بارباليد : وليس هنا شيء يغريك بإتفاق النفود.
- الدكتور : لن نجد وسيلة هو واحد تستنزف جيبيك.
- مدام بارباليد : في ستة أسهر تكون قد اقتصدت ضعف ما أنت مدين به لزوجي.
- الدكتور : وسأرضى أن تدفع هذا الدين على أربعة أفساط في السنة. آه! لولا الروماتيزم الذى تعاني منه زوجنى لهمت أن أعدل عن الصفقة.
- كنوك : مدام بارباليد مصابة بالروماتيزم؟
- مدام بارباليد : نعم، مع الأسف.

- الدكتور : الجوهنا جو صحى جداً بصفه عامه، ولكنه
لا يلائم زوجى بصفه خاصه.
- كنوك : هل فى البلد كبير من المصايين بالروماتيزم؟
- الدكتور : لك أن تقول إنه المرض الشائع عندنا.
- كنوك : هذا أمر فى نظرى يثير غاية الاهتمام.
- الدكتور : نعم عند من يريد التخصص فى دراسة
الروماتيزم.
- كنوك : [بهده] كنت أفكر فى الزبائن.
- الدكتور : حاسا وكلا، فكما أنت لا بخطر ببالك أن
تستدر المطر بقرع أجراس الكنائس، فكذلك
أهل البلد هنا، هيهات لهم أن يخطر ببالهم طلب
النساء من الروماتيزم بالذهاب إلى الطبيب!
- كنوك : ولكن هذا شيء يؤسف له.
- مدام بارباليد : انظر يا دكتور! هذا المنظر أمامك كم هو
بديع.. كأننا فى سويسرا.
- [انفجارات متعالية من المحرك]
- جان : [يمس فى أذن الدكتور بارباليد] يا دكتور! المحرك
«عطلان» يلزمنى أن أفك ماسورة البنزين.
- الدكتور : [لجان] طيب.. طيب.. [للآخرين] كنت بالفعل
أريد أن أقترح عليكم التريث هنا لحظه.
- مدام بارباليد : ولماذا؟

الدكتور : [يصوب لها نظرات ذات معنى] هذا المنظر الجميل..

ألا.. ألا يستحق أن نقف عنده؟

مدام بارباليد : إذا كنت تريد التريب فالمنظر المرتفع أكثر

جمالاً.. [السيارة تقف ومدام بارباليد تدرك حقيقة الأمر]

الدكتور : لا ضير أن نترتب هناك أيضاً قليلاً نترتب، ولم

لا؟ نترتب مرتين، وثلاث مرات، بل أربع

مرات كما نحب ونهوى. من حسن الحظ لسنا

في سباق [موحها الكلام لكنوك] هل انتبهت

يا زميلي العزيز إلى هذه السيارة كيف وقفت

بتؤدة وانصياع، فزمام سرعتها وأنت تفودها

يظل دائماً في يدك، وهذه مسألة هامة جداً في

الطرق الجبلية [يستطرد وهم ينزلون من السيارة]

ستنضم يا زميلي العزيز في وقت أسرع مما تظن

إلى صفوف أنصار السفر بالسيارات، ولكن

حذار من سارات اليوم الرديئة إنها حطام

مصنوع من الصفيح لا من الصلب.

كنوك : إن لم بنحدي مرض الروماتزم فقد يسعفني

بدلاً منهم مرضى الالتهاب الرئوي ومرضى

النزلات السعبية.

الدكتور : [إلى جان] اغتنم عزمنا على الوهوف ونظف

ماسورة البنزين [إلى كنوك] ماذا تقول؟

التهابات رئوية ونزلات شعبية؟ هذه أمراض نادرة عندنا، فالجو هنا قاس كما تعلم، إذا ولد الطفل ضعيفاً هزياً مات قبل أن يبلغ الشهر السادس من عمره، ولا يعرض على الطبيب. بطبيعة الحال، أما إذا جاوز الأطفال منطقة الخطر نبوا فتية صحتهم كالحديد. بعيت أمراض القلب والسل، ولكن المصابين بهذه الأمراض يعيشون في غفلة عنها لا يستيقظون قط للخطر الجاثم عليهم، فإذا ما بلغوا الخمسين من العمر تخطفهم الموت في لمح البصر.

كنوك | : لا تقل لى إن جيبك امتلأ من معالجة أموات فارقوا الحياة بغتة؟

الدكتور : كلا بطبيعة الحال [يبحث فى سره عن نقيه كلامه]
فلا تزال هناك أولا حالات الأنفلونزا، لا أقصد حالات الأنفلونزا العادية التى لا يابه لها المرضى بحال من الأحوال، بل لعلهم يرحبون بها لأنها تعينهم فيما يزعمون على طرد سموم الجسد كلا، إنما أعنى الأنفلونزا حيث تتفشى كوباء فى العالم كله.
كنوك : ينبغى إذن أن أنتظر الدورة القادمة للأنفلونزا

الدكتور : العالميه! هل أمل إبليس في الجنه!
: لا عليك! فهذا الذى بحدك قد عاصر منها
وباءين، الأول فى شتاء ١٨٨٩ - ١٨٩٠
والثانى ١٩١٨.

مدام بارباليد : فى سنة ١٩١٨ كان عدد الموتى هنا يزيد نسبياً
على عدد الموتى فى المدن الكبيرة [لروحها]
أليس كذلك؟ لقد قمت بنفسك بمقارنه
الإحصائيات.

الدكتور : نعم، كانت نسبة الوفيات عندنا تفوق كثيراً
نسبة الوفيات فى بلاد ومانين مقاطعة.

كنوك : وهل لجئوا إلى الطبيب؟
الدكتور : نعم وبخاصه فى نهاية الوباء.
مدام بارباليد : وزاد دخلنا عند حلول عيد القديس ميسيل
عند موسم حصاد القمح.
[يرحب جان تحت العربيه]

كنوك : ماذا تعنين؟
مدام بارباليد : الزبائن هنا لا يدفعون أجر الطبيب إلا فى
هذا العيد بعد أن يبيعوا القمح.
كنوك : ما معنى هذا الكلام؟ أهو التفويم اليونانى أم
التفويم الخيالى؟

الدكتور : [وهو يتتبع شطره منه بين الحين والحين عمل جان محب

السيارة] لم هذه الهواجس يا زميلي العزيز؟ إن
عيد القديس ميشيل هو يوم مرموق بين أيام
السنة وموعده آخر سبتمبر.

كنوك : [يعدل لهجته] ونحن الآن في أوائل أكتوبر!

يا للداهية!.. أما أنت فعد أحسنت على الأقل
اختيار الوقت الذي تبيع فيه عيادتك [عشى بصع
خطوات وهو يهكر] ولكن لنفرض أن جاءك زبون
لتسكف عليه، أفلا يدفع لك أجرك من فوره
قبل انتهاء الزيارة؟

الدكتور : كلا، إنه يدفعه في عيد القديس ميسيل هذه هي
العادة.

كنوك : حتى ولو جاءك لزيارة واحدة عارضه بحبت
لن تراه بقية العام؟

الدكتور : في عيد القديس ميشيل.
[كنوك يتأملها وهو صام]

مدام بارباليد : على كل حال فإن الناس هنا في أغلب الأمر
لا يفصدون الطبيب إلا مرة واحدة.

كنوك : ماذا؟

مدام بارباليد : نعم.. هذا هو الواقع.

[الدكتور بارباليد تصنع شرود الذهن]

- كنوك : وماذا تفعل مع المرضى المواظبين؟
- مدام بارباليد : أى مرضى مواظبين؟
- كنوك : الذين يواظبون على التردد على الطبيب عدة مرات فى الأسبوع أو عدة مرات فى الشهر..
- مدام بارباليد : [إلى زوجها] أسمعنا ما يقوله الدكتور؟ يتحدث عن زبائن مثل زبائن القصاب أو الحجاز.. إنه سأن كل طبيب جديد فى الكار بخدعه الأوهام..
- الدكتور : [يصع يده على دراع كنوك] صدقنى يا زميلى العزيز، إن المرضى هنا هم أحسن صنف من الزبائن.. أعنى الصنف الذى لا يجور على استغلالك.
- كنوك : استغلالى؟ أمزح؟
- الدكتور : دعنى أوضح الأمر، أريد أن أقول إنك لن تقع تحت رحمة نفر من المرضى قد يتم سفاؤهم بن يوم وآخر فإذا خسرهم أفلس، أما إذا اعتمدت على الجميع فكأنك لا تعتمد على أحد.. أفهمت؟
- كنوك : بمعنى آخر لم يبنى لى إلا أن أصطاد السمك وكان ينبغى أن أحضر معى «سنار»، وكميه لا بأس بها من الديدان، ولكن ربما أجد كل هذا فى بلدكم [يسبر صبع خطوات وهو يفكر، يمترب

من السيارة الرنه ويتأملها، ثم يلتفت التفتاته عبر كامله [بدأت المسألة تتبين بجلاء شديد، يا زملي العزيز.. إنك، لقاء آلاف من الفرنكات معدودة هي باقبة في ذمى دينا لك على، هد تنازلت لى عن عيادة زبائنها يسبهون سارك هذه نعام السبه [يربت على السيارة نحنو] إذا قدرت قيمة هذه السيارة بنسعة عسر فرنكا فإنها لن تكون غاليه، وإذا قدرتها بخمسة وعشرين فرنكا فإنها تباع بأكثر من دمنها [يتأملها بنطره هواه السيارات] وإذا كنت أحب أن أظل سمحا في معاملاتي فأنى أعرض عليك نلابن فرنكا ممنا لها.

الدكتور : بلابن فرنكا لهذه السيارة؟ إننى لا أفرط فيها ولو بسته آلاف.

كنوك : [وقد طهرت عليه دلائل الأسف] كنت أتوقع ذلك، [يتأمل السيارة الرنه من حديد] إذن لن أستطيع شراء سيارتك.

الدكتور : سأبيعها، ولكن على لأقل لو أنت عرض على تمنا معفولا..

كنوك : يا للأسف! كنت أريد أن أحولها إلى صندوق [يعود] أما فيما يتعلق بعادتك فإننى أتنازل عنها

دون ندم عليها إن كاس الصففة لم تتم بعد.
الدكتور : اسمح لى أن أهول لك يا زميلى العزيز إنك
ضحية أوهام كاذبه.

كنوك : بل الأفرب إلى عفى أننى ضحيتك أنت،
وليس من عادى التأوه والتفجع، وإذا ضحك
علىّ إنسان فلا ألومن إلا نفسى.

مدام بارباليد : ضحك عليك.. دافع عن كرامتك يا صديقى..
دافع!

الدكتور : كل ما أوده أن أجنب الدكتور كنوك
الاسترسال فى الأوهام.

كنوك : أما أفساط الدين فعيها أنها تدفع كل نلاه
سهور فى بلد كل مريض فه ربون سنوى،
ينبغى لى أن أجد مخرجاً، على كل حال
لا داعى لانزعاجكم، فإننى أكره أن أكون
مدينًا، وألم الدين أفل على العموم من ألم
اللمباحو أو ألم «خراج» فى الإلية..

مدام بارباليد : ماذا؟ إذن أنت لا تريد أن تدفع لنا الأفساط
فى مواعيدها المتفق عليها؟

كنوك : إننى متلهف على سداد الدين يا مدام... ولكن
لا سلطان لى على التفويم، ولا أستطيع أن
أرحزح عيد العديس جوزيف عن موعدة.

- مدام بارباليد : القديس ميسيل..
- كنوك : القديس ميسيل..
- الدكتور : ألبس عندك مال مدخر؟
- كنوك : ولا سنتيم، فإنى أرتزق من عملى أو على الأصح أتلهف على أن أرتزق منه، وإنى أكره هذا الطابع الأسطورى فى زبائن العيادة الى أفلحهم فى بيعها إلى، خصوصاً وكنب أريد أن أعاملهم بوسائل حديثة جداً إتفكر بعد لحظة وكأنا محاط بمسه فى الواقع أن المسكلة واحدة وإن استبدلت وجهاً بوجه.
- الدكتور : إذن أنت يا زميلى العزيز ترتكب حماقة مزدوجة حين تسارع إلى اليأس قبل الأوان، وهذا شأن كل مستجد فى المهنة لم يتزود بعد بالنجارب، لا ريب أن مهنة الطب حفل خصب، ولكن خيراته لا تثبت عفواً ومن تلقاء ذاتها، إنها أحلام سبابك التى رسمت لك الصورة بألوان زاهية نوعاً ما.
- كنوك : يا زميلى العزيز كلامك هذا محسو بالأخطاء، فأولا أنا أبلغ من العمر أربعين عاماً، فإن كانت لى أحلام فهى ليست أحلام السباب.
- الدكتور : ليكن، ولكنك لم تمارس مهنة الطب فقط.

- كنوك : وهذا خطأ آخر :
- الدكتور : ماذا؟ ألم تفل لي إنك لم تتخرج من كلية الطب إلا في الصيف الماضي؟
- كنوك : نعم وقدمت رسالة من انتنن ولبابن صفحه فولسكاب عنوانها: «علامات تمام الصحة» فناع كاذب مخادع»، ووضعت تحت العنوان كلمة مأثورة أسندتها إلى كلود برنار هي «الأصحاء هم مرضى غافلون».
- الدكتور : إذن فنحن متفهمان يا زميلي العزيز..
- كنوك : على أن رسالتى أصابت كبد الحقيقة.
- الدكتور : لا.. على أنك لا تزال في أول السلم.
- كنوك : عفواً إن سهادنى حدينه ولكن لى خبرة بمهنة الطب ترجع إلى عشرين سنه مضى.
- الدكتور : ماذا؟ هل كنت معاون صحة؟ هذه الوظيفة قد ألغيت منذ زمن طويل..
- كنوك : كلا بل منسباً للكلية.. حاملاً لسهادة البكالوريا..
- مدام باربالد : لم توجد قط بكالوريا في الطب..
- كنوك : بكالوريا في الآداب يا سيدى..
- الدكتور : كنت تمارس مهنة الطب إذن بدون سهاده وفي الخفاء؟

كنوك : كلا بل نهراً جهاراً، لا في بلد في أفاصي
الربف بعيد عن العمران، بل في منطقته
مساحتها سبعة آلاف كيلومتر تقريباً..

الدكتور : هذا كلام غير مفهوم.

كنوك : بالعكس هي مسألة في غاية البساطة، فمنذ
عشرين سنة مضت تخليت مضطراً عن دراسة
الآداب واشتغلت بائعاً في قسم « الكرافات »
في متجر كبير بمرسلييا، ثم فعدت عملي
وأخذت أتسكع في المناء، وقرأت إعلاناً عن
سفينة حمولتها ١٧٠٠ طن مسافرة إلى الهند
تطلب مسرفاً صحيحاً ولا تشتترط أن يكون
حاصلاً على لقب دكتور، فماذا تفعل لو كنت
مكافى؟

الدكتور : لا أفعل شيئاً بطبيعة الحال..

كنوك : أفهم هذا منك فأنت لا تعسف مهنة الطب،
أما أنا فقد تقدمت، وإذ كنت أمفت الموافف
المريية فقد أعلنهم منذ دخولى فائلا: «أيها
السادة! كنت أستطيع أن أزعم لكم أننى
دكتور، ولكنى فى الواقع لست دكتوراً، بل
أصرح لكم بما هو أدهى، إننى لا أعرف فى أى
موضوع سأكتب رسالتى». فكانت إجابهم

أنهم لا يتمسكون بلفب دكتور، وأن موضوع رسالتي لا يهمهم في شيء، فرددت على الفور: «مع الاعتراف بأنني لست دكتوراً، إلا أنني أود لأسباب تتعلق بالكرامة وحسن النظام أن يطلق على في السفينة لقب دكتور». فقالوا إن هذه مسألة طبيعية، ومع ذلك لبست مدى ربع ساعة أسرح لهم الحجب التي زحزحتني عن التمسك بالصدق والأمانة وملتني على المطالبة بلفب لا حق لي فيه ولا ير ضاه صمبر، وهكذا أطلت الحديد حتى لم يبق أمامهم سوى بلاب دفاثق للبت في تحديد مرتبي.. : ولكن أصبح أنه لم يكن لديك أي إلمام بالطب؟

الدكتور

: أفهمني! إنني كنت منذ طفولي أقرأ بسفغ في الصحف كل إعلان عن علاج طبي أو دواء، وإذا اشترى أبواي علبة حبوب أو زجاجه دواء سائل، نزعت الورقة الملفوفة عليها وقرأت سرحها لطريف الاستعمال، فما بلغ التاسعة من عمري حتى كنت أحفظ عن ظهر قلب نصوصاً طويلة عن عوارض الإمساك، وأستطيع الآن أن أتلو عليك من الذاكره نص

كنوك

خطاب بديع أرسلته الأرملة م.ع. من مدينه
بورج عام ١٨٩٧ إلى المعمل الأمريكى الذى
ينتج دواء ضد الإمساك اسمه «الأعساب
السحرية الأكيدة المفعول». أتريد؟

: لا تتعب نفسك إننى أصدقك..

الدكتور

: كان لهذه النصوص الفضل فى أنها جعلتني منذ
سن مبكرة آلف لغة الطب، ولكن فضلها
الأكبر أنها كشفت لى من الطب عن حقيقة
معناه وحقيقة أهدافه، هذه الحقائق التى تخفيها
تعليم الطب فى الجامعة تحت زخرف من
المصطلحات العلمية الجوفاء، وأستطيع أن
أقول لك إننى حين بلغت الثانية عشرة كنت
قد مت لى فطنة صادقة بالطب هى التى تعتمد
عليها اليوم طريقتى فى العلاج..

كنوك

: لك طريقتك فى العلاج؟ يسوقنى أن أعرفها..
: إننى لا أفوم بدعاية، إذ النتائج وحدها هى
التي تتكلم، وها أنت ذا اليوم تبغنى عياده هى
باعرافك أنت، صفر فى صفر.

الدكتور

كنوك

: عفواً. صفر فى صفر؟

الدكتور

: عد بعد سنة فسترى ماذا سأكون قد فعلت
بها، سبكون أمامك البرهان القاطع،

كنوك

وإذ يجعلني أنت أبدأ من الصفر فإنك
بضعف عندي متعة التجربة.

حان : سيدي.. سيدي ! [يتحه إليه الدكتور بارباليد] أظن
أنه بحسن أيضاً أن أفك «الكاربوراتير»..
الدكتور : أسرع.. أسرع [يعود] لما رأيك حدينا فد
طال، طلبت إلى السائق أن يباشر الآن تنظيف
«الكاربوراتير» كما يفعل مرة كل شهر.

مدام بارباليد : ولكن كيف ستر وجهك في هذه السفينة؟
كنوك : قضيت الليلتين السابقتين لإبحاري وأنا أفكر
وأندبر، ثم أتاحت لي الخدمة ستة أسهر في
السفينة أن أتحقق من صحة فهمي لمهنة الطب
ووجدت أن ما أفعله مطابق لما يحدث في
المستشفيات.

مدام بارباليد : أكان عليك أن تعني بأناس كبيرين؟
كنوك : طاقم السفينة وسبعة من الركاب كلهم رقيقو
الحال، في مجموعهم خمسة ونلانون نفراً.

مدام بارباليد : عدد لا يستهان به.
الدكتور : وهل حدثت وفيات؟
كنوك : ولا مرة واحدة، فالوفاة ضد مبادئ، فأنا من
أنصار تفليل الوفيات.

الدكتور : هذا سأنا جميعاً..!

كنوك : أنت أيضاً؟ ما كنت أظن ذلك، اعتمدى أن
واجبنا في كلمتين أن نعمل على استبقاء
المريض وألا يصرفنا عن ذلك أى إغراء.

مدام بارباليد : في فول الدكتور نصيب من الحق.
الدكتور : والمرضى؟ هل كان هناك مرضى كثيرون؟
كنوك : خمسة وبلابون
الدكتور : يعنى كل فرد في السفينه؟
كنوك : نعم كلهم جميعاً.
مدام بارباليد : وكيف كانت تسير السفينه إذن؟
كنوك : كان العمل بالتناوب.

[الحطه صب]

الدكتور : اصدقنى الآن.. أحققاً أنت يا دكتور؟ فإنهم
لا يسمحون هنا بمزاولة الطب إلا لمن نال
السهادة وستجر علينا المتاعب، فإذا لم تكن
حقاً دكتوراً فمن الخير أن تصارحننا بذلك
فوراً..

كنوك : أنا حقاً دكتور فعلاً وفانوناً، إذ أننى حين رأيت
أن نجربتى هد أيدت طريقتى في الطب لم يصبح
لى من تلهف إلا على أن أرسى هذه الطريقه
على دعائم ثابتة وفي نطاق واسع، ولم أجهل أن

الحصول على الشهادة إجراء سكرى لا مفر منه.

مدام بارباليد : ولكنك قلت لنا إنك حديث عهد بدراسة الطب..

كنوك : لم أستطع أن أنتظم فى دراسة الطب فى ذلك العهد الذى تحدث عنه، فقد اضطرت من أجل كسب العيس أن أستغل بعض الوقت بتجارة الفول..

مدام بارباليد : ما هذا؟

كنوك : الفول السودانى.. [تندو من مدام بارباليد حركة]، كلا يا سيدتى.. اطمئنى.. لم أكن بائعاً يحول بسله فى يده، لقد أسست مكتباً رئيسياً، يقصده باعة الفول السودانى لسراء حاجتهم، ولو نفيت فيه عسر سنوات لكنت أصبحت مليونيراً، ولكنى لم أجد فى هذا العمل أفل متعة، وكل مهنة فى الأعم إن طال بها العهد تبع على الملل، وقد تبين هذا بنفسى، أما المهنة الوحيدة التى لا تبع الملل حقاً هى الطب أوريا السياسة أو البورصة، ولم أجرب هذه المهنة بعد..

مدام بارباليد : وفى نيتك أن تطبق طريفتك هنا؟

كنوك : إذا لم تكن هذه نبيي لأطلف سافى للريح
وهرب، وهيهات لك أن تلحقى بي، كتب
أفضل بطبيعته الحال أن أطبق طريفى فى مدينة
كبيره..

مدام باربالد : [لروحها] ها أنت ذا راحل إلى مدنه ليون
فلماذا لا تلمس بعض الإرسادات من
الدكتور، فإنك لن نغرم شيئاً..

الدكتور : ولكن يبدو أن الدكتور كنوك لا يريد أن
يفضى بطريفته..

كنوك : [إلى الدكتور باربالد بعد مرهه من التمكن] أحب أن
أخدمك، وها أنذا أقدم إليك الاقتراح السالى:
بدلاً من أن أدفع لك دينى نقداً فى يوم علمه
عند الله، فإنى أدفعه لك عيناً، بأن أبفك معى
نمانيه أيام أدربك فيها على طريفى..

الدكتور : [ممتعاً] أنت مغزح يا صديقى العزيز، لعلك أنت
الذى سكتب لى بعد نمانيه أبام نسألنى
المشورة والنصح.

كنوك : لا داعى لهذا التأجيل ففى حسابى أن أفتبس
منك اليوم بعض إرسادات نكون لى نافعة
جداً.

الدكتور : أنا نخت أمرك يا زملى العزيز.

- كنوك : هل فى مدينتكم قارع طبل ؟
- الدكتور : معنى «المنادى العمومى» الذى يدق الطبل ويبلغ الناس ما عنده ؟
- كنوك : هو بعينه..
- الدكتور : نعم لدينا هذا المنادى العمومى تكلفه البلدية بأن يذيع تعليماتها ولا يلجأ إليه من الأفراد إلا رجل ضاع منه كبس نفوده، أو صاحب متجر يصفى بضاعته القديمة من فخار-أو صنى.
- كنوك : فهمت ! وكم يبلغ عدد سكان سان موريس ؟
- الدكتور : ثلاثة آلاف وخمسمائة على ما أظن، أما إذا ضمنت إلى البلدة ضواحيها فالعدد ستة آلاف تقريباً..
- كنوك : وعدد سكان المركز كله ؟
- الدكتور : ضعف هذا العدد على الأقل..
- كنوك : وهل السكان فقراء ؟
- مدام بارباليد : لا بالعكس هم من ميسورى الحال بل من الأغنياء، فهناك ضياع واسعة، وكثير من الناس يعيشون على موارد أملاكهم.
- الدكتور : وكلهم على درجة فظيعة من السخ والنصير..
- كنوك : وهناك مصانع ؟

- الدكتور : عدد قليل جداً..
- كنوك : والحركة التجارية؟
- مدام بارباليد : ليست الدكاكين هي التي تنقصنا..
- كنوك : وأصحابها.. هل تجارهم هي شغلهم الساغل؟
- الدكتور : كلا فإن أغلبهم يستغل بالتجارة لزيادة دخلهم
- أو على الأخص لخلق وسيلة يسجلون بها
- أوفات فراغهم.
- مدام بارباليد : والعادة أن الزوجه يحرس الدكان على حين
- يخرج الزوج يتسكع باحثاً عن تسليه..
- الدكتور : أو العكس.
- مدام بارباليد : أعترف بأن الزوج في الغالب هو الذي يهجر
- الدكان، ذلك أولاً لأن النساء لا يعرفن أين
- يذهبن، على حين أن الرجال أمامهم أن يذهبوا
- إلى الصيد بالبندقية أو صيد السمك، وفي
- الشتاء يذهبون إلى المقهى.
- كنوك : وهل النساء متمسكات بالتفوى؟
- الدكتور : [بارباليد يأخذ في الضحك] هذا سؤال له أهميته
- عندي.
- مدام بارباليد : كيرات منهن يذهبن للصلاة في الكنيسة
- كنوك : وهل للدين دور كبير في مشاغلهن اليومية؟
- مدام بارباليد : ياله من سؤال عجيب!

كنوك : بديع جداً [يفكر] أليس هناك رذائل جسيمة؟

الدكتور : ماذا تعنى؟

كنوك : أفيون.. كوكايين.. ندوات سمر وعريضة، سذوذ

جنسى.. تعصب سياسى..

الدكتور : إنك تخطئ بين أسياء مباينه، إننى لم أسمع قط

عن أفيون ولا ندوات سمر وعريضة،

أما الساسه فهى تسغل أهل البلد كغيرهم من الناس.

كنوك : ولكن هل فيهم من يهرى جلد أبويه لتغليب

رأيه فى قانون الانتخاب مثلاً أو قانون ضريبة

الإيراد؟

الدكتور : لم يصلوا إلى هذا الحد والحمد لله.

كنوك : والخيانة الزوجيه؟

الدكتور : أفندم؟

كنوك : هل تتفسى عندكم فوق الحد؟ وهل يسغل

أمرها الناس سغلاً سديداً؟

الدكتور : أسئلتك عجيبه، فبلدنا منل أى بلد آخر فيه

رجال نخونهم زوجانهم، ولكن عددهم معقول.

مدام بارباليد : أولاً إن الخثانه الزوجية غر مسوره إذ أن

الناس يتفانون فى مرايهه بعضهم.

كنوك : أليس لديكما معلومات أخرى عن المذاهب

الدينية؟ عن الخرافات؟ عن الجمعيات
السرية؟

مدام بارباليد : بعض نساء بلدتنا الفارغات استغلن في وقت
من الأوقات بتحضير الأرواح.

كنوك : آه.. آه..

مدام بارباليد : يجتمعن عند زوجة الموني وتنكلم الروح
بحركة من المنضدة.

كنوك : مصيبة.. هذا سيء كرية.

مدام بارباليد : ولكنهن فسا. أظن فد أفلعن عن عادتهن
كنوك : آه أحسن.. وهل يوجد كذلك مسغلون

بالسحر أو بالعلاج الروحاني؟ مثلاً فلاح
تفوح منه رائحة الأغنام يزعم أنه يشفى
الناس بالرفى والتعاويذ؟

[چان يشاهد من الحس والآحر وهو يدير المانملا حتى تنهر
أفاسه ثم يحف عرفة]

الدكنور : ربما كان هذا موجوداً فيها مضى أما اليوم فلا..

كنوك : [تحلى عليه مظاهر التحفز ويحك كما يكف وهو يمشى]

خلاصه القول أنه قد آن للعصر الطبى أن
بسرق [يفترب من السيارة] يا زميلي العزيز أمن
الفسوة على هذه السيارة أن سألها بذل مجهود

جديد؟ إننى متلهف على بدء إقامى فى سان
موريس.

مدام باربالد : يا لها من لهفه مفاجئه!
كنوك : من فضلكم! فلنصل إلى بلدتكم المتربعه فوق
قمه الطريق.

الدكتور : أى عامل قوى أصبح يجذبك إليها إذن؟
[كنوك يتسنى حينه ودهاناً فى صمت]

كنوك : يا زملى العزيز.. بخيل إلى أنك قد فوت عليك
فى تلك البلده فرصه بديعه، وإن اقتبس
أسلوبك أقول: إنك حصدت السوك بعرو
الجبين بدلاً من السمار الطيبه، كان ينبغى لك
أن ترحل وأنت غارق فى الذهب ومتربع على
أكداس من الأوراق المالهه، وأنت يا سيدى
تحلبن بعقد من اللؤلؤ من بلانه فروع،
وكلا كما فى سياره فخمه [يشير إلى السياره الرنه]
لا فى هذا التأير التاريخى لأول حبو للنبوغ
العصرى.

مدام باربالد : أتمزح يا دكتور؟
كنوك : لو كان مزاحاً لكان فاسياً يا سيدنى.
مدام باربالد : إذن فهذا كلام فظيع.. هل سمعت يا ألبر
فوله؟

الدكتور : أدركت أن الدكتور كنوك رجل بحري وراء السراب وأنه فوق ذلك هوائي لا يفر له قرار.. تتلاعب به الأحاسيس متباينه في غاية الغلو، فهو يرى تارة أن العياده لا تساوى ولا صولدى، وتارة أنها من الذهب [يرمع كفيه إلى أعلى].

مدام بارباليد : وأنت أيضاً، إنك مستبد برأيك، ألم أقل لك أكبر من مره إنك لو عرفت كبف تعالج الأمور لكانت لنا في سان موريس حباه أفضل من التي عسناها.

الدكتور : طب.. طب.. إننى سأعود بعد ثلاثة أسهر عند حلول المسط الأول من الدين، وسترى ماذا يكون حال الدكتور كنوك..

كنوك : وهو كذلك.. ارجعوا بعد ثلاثة أسهر، وسنجد حينئذ فسحة من الوقت نتبادل فيها الحديث، أما الآن فإني أناشدكم أن نرحل فوراً.

الدكتور : [إلى جان بتهيب] هل أنت مستعد؟
حان : [بصوت حافت] أما عن نفسي فأنا مستعد ولكني لا أظن أننا سنفلح هذه المرة بمجهودنا وحده أن نحرك السيارة.

الدكتور : [نفس الهمهمة] وكيف؟

حان : [يهر رأسه] يلزمنا رجال أسد هوة منا.
الدكتور : وما فولك لو حاولنا دفعها؟
حان : [وهو غير واثق] ربما.
الدكتور : أنا واثق أننا نستطيع، فأمامنا عسرون متراً في
طريق منبسط، وسأتولى عجله الفياحه، وتفوم
أنت بدفع السيارة.
حان : فليكن.
الدكتور : نم تعمد إلى الففز إلى سلم السيارة في اللحظة
الماسبه.. فهمت؟.. [يعود الدكتور للآخرين] إذن
هيا اركب يا زمبلى العزيز، سأتولى، أنا فياحه
السيارة إذ أن جان - لأنه عملاق - يريد من
فبيل اللهو والتسلله أن تطلع بنا السياره بغير
عون من «المانفيل» طلعه ممكن أن نسميها
«أوتوماتيكيه» مع أن فوه العضلات تفوم
بعمل السراره الكهربائيه، وكلا الفوتين في
الحق من نوع واحد تقريباً..
[جان يميل على مؤخره السيارة يدفعها]

الفصل الثاني

[في المسكن الذى كان يقيم فيه الدكتور ناربالد من قبل، وقد أنهه الدكتور كنوك ترتيب مؤلف منصدة مقاعد. دولاپ كتب سير لويج سوره . حوض للغسيل.. وعلى الحدران رسومات علم التشريح]

المشهد الأول

كنوك - المنادى العمومى

كنوك : [وهو حالس يجيل نظره فى الحجرة ثم يكتب] أنت
المنادى العمومى ؟
المنادى : [وهو واقف] نعم يا سيدى..
كنوك : نادى بقلب دكتور.. وتكون إجابتك : نعم
يا دكتور أو لا يا دكتور..
المنادى : حاضر يا دكتور..
كنوك : وجبن تتاح لك فرصة التحدث عنى مع الناس
فلا يفوتك أبداً أن تكون عبارتك هكذا:
الدكتور قال.. الدكتور فعل.. هذه مسأله

- تهمنى، وبأى عبارة كنتم تتحدثون عن الدكتور
بارباليد إذا جاءت سيرته؟
- المنادى : كنا نقول: رجل طيب، ولكنه ليس حجة في
الطب..
- كنوك : ليس هذا ما سألتك عنه، هل كنتم تقولون:
الدكتور؟
- المنادى : كلا.. كنا نقول مسيو بارباليد أو «أبو
كسوره»!
- كنوك : وما معنى «أبو كسوره»؟
- المنادى : هذا وصف اشتهر به بين الناس ولكن لم أفهم
قط سببه.
- كنوك : وهل كان رأيكم فيه أنه ليس على درجة كبيرة
من البراعة في مهنته؟
- المنادى : أما عن نفسى فاعتقادتى أنه كان على درجة
لا بأس بها من البراعة، وبقية الناس
لا يعترفون.. بذلك.
- كنوك :عجيبة!
- المنادى : وكان إذا قصده إنسان لم يجد..
- كنوك : لم يجد ماذا؟
- المنادى : يجد عليه، ففى تسعين فى المائة من الحالات
يصرف المريض بفوله: «عارض تافه»

وستكون يا صديقي من غد في أتم صحة وعافية..

: حقا؟

كنوك

المنادى

: أو لا يلقي باله إلى حديث زائره مردداً «طيب.. طيب..» أو «نعم. نعم.» ثم ينطلق في التحدث ساعة كاملة عن مسألة أخرى، كأن يتحدث مثلاً عن سيارته..

: كأنما يقصده المريض ليسمع هذا الحديث؟
: ثم يصف دواءً زهيد الثمن يكون أحياناً شرب سائل معرّق، وأنت مدرك أن الذى يدفع ثمانية فرنكات أجر استشارة الطبيب لا يرى له أن يصف له دواءً زهيد الثمن؟ إن أشد الناس غباءً ليس فى حاجة لاستشارة طبيب من أجل أن يصف له احتساء فنجان من البابونيك..
: يحزننى ما أسمعك منك ولكن استدعيتك لأستفسر منك عن شىء. هو الأجر الذى كنت تتقاضاه من الدكتور بارباليد حين يكلفك

كنوك

المنادى

كنوك

بإذاعة إعلان له؟

: [بمراة] إنه لم يكلفنى قط بإذاعة إعلان له..

المنادى

: ماذا تقول؟ حتى ولا مرة واحدة فى بحر ثلاثين عاماً؟

كنوك

- المنادى : ولا إعلان واحد في تلاين سنة أقسم لك..
كنوك : لا بد أنك نسيت؛ لا أستطيع أن أصدقك.
وباختصار ما هى تعريفه الأجور؟ [يهص من
مقعده ممسكاً ورقة في يده]
المنادى : ثلاثة فرنكات للجولة القصيرة.. وخمسة
فرنكات للجولة الكبيرة، وقد تحسب أن
الأجر مرتفع، ولكنه عمل يتطلب جهداً كبيراً،
وعلى كل حال فأنى أنصح سيدي...
كنوك : الدكتور..
المنادى : إنى أنصح الدكتور إذا هان عليه دفع زيادة في
الأجر في حدود فرنكين انبن أن يختار الجولة
الكبيرة فهى أكثر بركة من الأخرى..
كنوك : ما هو الفرق بينهما؟
المنادى : في الجولة الصغيره أنادى خمس مرات أمام
البلدية وأمام مكتب البريد وأمام فندق المفتاح
وفي الميدان الكبير، وعند مدخل السوق،
أما في الجولة الكبيرة فإنى أقف وأنادى إحدى
عشرة مرة سأعدها لك..
كنوك : فهمت! سأختار الجولة الكبيرة، فهل أنت
خال من الشغل هذا الصباح؟
المنادى : على الفور إن شئت..

كنوك : إليك إذن نص الإعلان [ساوله الورفه]
 المنادى : [يتأمل النص] إننى أفك الخط، ولكنى أفضل أن
 تفراه لى.. لأول مرة.

كنوك : [يمرأ النص يتمهل، والمادى ينصت متحمناً إبعاع التلاوه طبعاً
 لأصول مهته]: «الدكتور كنوك خليفة الدكتور
 بارباليد يهدى تحياته إلى أهالى مدينة ومركز
 سان موريس ويتسرف بإحاطتهم علماً أنه
 استجابة لرغبته فى فعل الخير والقضاء على
 هذه الزيادة الموجيه للقلق فى نفسى مختلف
 الأمراض فى منطقة كانت معروفه بطيب
 مناخها...»

المنادى : هذه حقيقة صارخة..
 كنوك : ... فإنه يعلن أنه يتبرع بالكسف مجاناً على
 المرضى من أهل المركز كل يوم اثنين من
 الساعة التاسعة والنصف إلى الساعة الحادية
 عشره والنصف.. أما إذا كان المريض لس
 من أهل المركز فإن أجر الاستشارة سيظل
 كالمألوف: سمانه فرنكات..».

المنادى : [يتناول الورفه باحترام] حفاً إنها فكرة جميلة..
 فكرة ستكون موضع تقدير، فكرة فاعل خير
 [يعر من لهفته]، ولكنك تعلم أن اليوم هو يوم

الانبن، فإذا أذعت هذا الإعلان هذا الصباح
فلن نغضى خمس دقائق حتى يتقاطر الناس
إليك..

كنوك : بهذه السرعة؟ أتظن ذلك؟
المنادى : لعلك لم تنتبه إلى أن يوم الانبن هو يوم
السوق ونصف أهل المركز مجتمعون به وسيبلغ
الإعلان هذا الحسد الضخم ولن تعرف من
سدة الزحام عليك رأسك من رجلك..

كنوك : سأبذل جهدي وأحسن التصرف...
المنادى : بفت مسألة أخرى.. إن يوم السوق هو اليوم
الذي يتيح لك أكبر فرصة للظفر بزبائن،
وكان الدكتور بارباليد لا يجد زبوناً إلا في هذا
اليوم [ثم يقول له نأله] فإذا كسفت عليهم مجاناً..
كنوك : لا يغيب عليك يا صديقي أن الذى أريده قبل
كل شيء هو أن يألف الناس معالجة أبدانهم،
وإلا لو كان المال مطمعي لكنت فتحت عيادى
في باريس أو نيويورك..

المنادى : آه.. لقد وضعت أصبعك على العله، فإن الناس
هنا لا يهتمون بالعلاج اهتماماً كافياً..
كنوك : ألاحظ يا صديقي أن لك منطفاً حكيماً.
المنادى : [وقد ملاء الرهو] أوه.. بالطبع إن لى منطفاً حكيماً.

مع أننى لم أنل من التعليم ما كنت أستحقه،
ولكن هناك كثيراً من المتعلمين يهزمون عند
الجدل أمامى، وحضرة العمدة - وإن كنت
لا أريد ذكره - عنده عن ذلك الخبر اليقين،
دعنى أفص عليك كيف حدث ذات يوم
يا سيدى..

: يا دكتور.

كنوك

المنادى

: [بشوة] يا دكتور.. كيف حدث ذات يوم أن
كان مأمور المركز بنفسه موجوداً فى البهو
الكبير المخصص لعقد الزواج فى دار العمدة،
ويمكنك أن تستوى من صحة الوقائع ممن
حضر من كبار القوم مثل حضره نائب المأمور
وإن كنت لا أريد ذكره أو مسيو ميكالون..
فإذا بى...

: فإذا بحضره المأمور فد أدرك من فوره أنه
بإزاء رجل فذ، وأن منادى البلد هو مناد يحسن
إقامة الحجة بما لا يحسنه أناس وإن كانوا لم
متهنوا مهنته إلا إنهم يسمخون بأنوفهم ادعاءً
بأن مقامهم يعلو فوق مقامه بكنبر، ثم إن
الذى انعقد لسانه وارتبك لم يكن إلا حضرة
العمدة نفسه..

كنوك

المنادى : [فى سعادة كبيرة] هذه هى الحقيقه بعينها، فلا حاجه إلى تغيير كلمه واحده فيها، ويكاد المرء يقسم إنك موجودًا حينئذ بيننا، محتبًا فى ركن صغبر..

كنوك : إننى لم أكن موجودًا هناك يا صديقى..
المنادى : إذن لابد أن يكون قد روى لك القصة إنسان ذو مقام [تصدر من كوك حركة تنم عن تحبط دبلوماسى]، ولن تستطيع أن تنزع من رأسى أنك تحدثت فى هذا الموضوع مع حضرة المأمور..

كنوك : [يفع بالاشتيا ثم يهص] إذن فإننى معتمد عليك يا صديقى اعتمادًا كبيرًا.. ألبس كذلك ؟

المنادى : [بعد تردد متوال] إننى لن أستطيع أن أملك المجرى للعيادة مبكرًا، وإذا ملكته فسيكون بعد فوات المواعيد، فهل لك أن تسدى إلى جمىلا يدل على طيبه قلبك كسف على فورًا..؟

كنوك : هيه.. بشرط أن تسرع فلبدى موعد مع مسيو برنار المدرس، ومسيو موسكيه الصيدلى، وينبغى أن أقابلها قبل مجىء الزبائن، مم تشكوا؟

المنادى : انتظر حتى أفكر [يصحك] .. بعد أن أتناول

عسائي أحس أحياناً بسىء يسبه الأكلان هنا
[يضع يده على أسفل طئه] سىء يسبه الدغدغة أو
الخرسة..

كنوك : [ودد استغرى فى تفكير عميق] احترس، حذار من
الخلط، ينبغى أن تقول لى هل هى دغدغة أم
خرشة !

المنادى : إنها خربشه [يفكر] ولكنها مصحوبة بدغدغة
بسيطة أيضاً..

كنوك : أرنى الموضع بالضبط.
المنادى : هنا..

كنوك : أين هنا هذه ؟

المنادى : هنا.. أو قد يكون هنا.. أو قد يكون بين
الموضعين..

كنوك : فى الوسط بين الاثنين غمماً ؟ أم يكون أبعد
قليلاً إلى اليسار ؟ هنا حيث أضع أصبعى ؟

المنادى : يجوز

كنوك : هل تسعر بألم حين أغرز أصبعى ؟

المنادى : نعم.. يخيل إلى أننى أسعر بألم..

كنوك : آ... آه [يفكر وقد انعقد حينه دلالة على التوجس]

أفلا تسعر بهذا الأكلان يزداد عن المألوف إذا
أكلت رأس عجل مطبوخ بالخل ؟

المنادى : إننى لا أكل لحم الرأس أبداً، ومع ذلك بخيل
إلى أننى لو أكلته لزاد الأكلان عن المألوف
كنوك : آه.. آه هذا سىء مهم جداً آه.. آه.. كم
عمرک؟

المنادى : ما بين واحد وخمسين وانبن وخمسين.
كنوك : ولكن لأيهما عمرک أقرب؟ لواحد وخمسين أم
لانبن وخمسين؟

كنوك : [يرتك قليلاً] أهرب إلى البانية والخمسين إذ
سأتم السنة فى نوفمبر القادم..

كنوك : [يضع يده على كتفه] با صديقى.. باسر عملك
اليوم كعادتك وفى المساء ارعد فى فراشك
مبكراً وابقى فيه غداً لا تبرحه، وسأمر عليك
لأفحصك ولن أتماضى أجراً منك أنت، ولكن
لا تنفل، هذا الخبر لإنسان، إنه إكرام منى
لك..

المنادى : إنك طيب جداً يا دكتور، ولكن هل على
خطيرة؟

كنوك : إنها لم تصبح بعد خطيره جداً، ولكن فداً آن
أوان علاجها.. هل تدخن؟

المنادى : [يخرج منديله] كلا.. بل أمضغ التبغ.
كنوك : ممنوع مضغ التبغ منعاً باتاً.. هل نحب التبغ؟

- المنادى : إننى أسربه باعتدال..
- كنوك : ممنوع سرب النبيذ ولو فطره واحده.. هل أنت متزوج؟
- المنادى : نعم يا دكتور [المادى يسمح عرقه].
- كنوك : ينبغي التزام منتهى التعقل فى هذه الناحية. فهم؟
- المنادى : هل أستطيع أن أكل؟
- كنوك : اليوم ما دمت تؤدي عملك، فلك أن تسرب شيئاً من الحساء، وغداً سنتدبر وضع قائمة صارمة بالمنوعات، وإلى ذلك الحين عليك أن تتبع ما قلته لك..
- المنادى : [يسمح عرقه مره أخرى]. ألا يكون من الخير في رأيك أن ألزم الفراش من فوري؟.. إننى حفا لا أشعر بأن حالى طبيعية..
- كنوك : [يفتح الباب]. حذار من هذا، ففي حالتك هذه لا يحسن الرقاد فى الفراش ما بين طلوع الشمس وغروبها، فباشر عملك كأن لم يطرأ عليك سىء، انتظر بهدوء حتى يجيء المساء.
- [المادى يرح والدكتور كنوك يشيعه].

المشهد الثانى

كنوك - المدرس برنار

كنوك : صباح الخير يا مسو برنار، عسى ألا أكون
قد أزعجتك كثيراً بدعوتك للمجىء إلى هذه
الساعة..

برنار : كلا.. كلا.. فقد ملكت دقائق قليله من وفنى إذ
أن مساعدى يتولى مرافبه التلاميذ فى الفسحة.

كنوك : كتب أتوفى إلى تبادل الحديث بيننا، فلدينا مهام
كبيرة ينبغى أن نتشارك فى حملها، مهام عاجله،
ولست أنا الذى يضحق بهذه المعاونة الجليله
التي كنت تسديها إلى سلفى.

برنار : أية معاونة؟

كنوك : أحب أن أهول لك إننى لست بالرجل الذى
يفرض آراءه على الغير أو يهدم من الأساس
كل ما بناه الآخرون من قبل، فستكون أنت
فى البدء مرسدى ودليلى..

برنار : لا أتبهن مغزى كلامك..

كنوك : لنترك الآن كل سىء على ما هو عليه، نم

نتناوله بالحسن فما بعد إن لزم الأمر [كنوك

جلس].

: ولكن..

برنار

: في مجال الإرشاد الصحي أو المحاضرات

كنوك

السعبيه أو الندوات الصغيره الى نعهدها معاً،

ستكون طريفك هي طريقي ومواعيدك

مواعيدى..

: المسأله يا دكتور أننى أخسى ألا أكون قد

برنار

أدرك الهدف الذى ترمى إليه بهذه

التلميحات كلها..

: أود أن أقول بكل بساطة إننى راغب فى إبقاء

كنوك

الصلة بيننا كامله لا عس حتى خلال الفرة

التي أنسغل فيها بترتيب عيادى..

: لا بد أن فى كلامك معنى أنا عاجز عن فهمه..

برنار

: عجباً.. ألم تكن على صلة دائمه بالدكتور

كنوك

بارباليد؟

: كنت أقابله بين الحين والآخر فى مفصف فندق

برنار

المفتاح أو كان يحدث أن نلعب البليارد معاً..

: هذا النوع من الصلات ليس هو موضوع

كنوك

كلامى..

: لم تكن بيننا صلاب سواها..

برنار

كنوك : عجباً.. عجباً.. كيف إذن كنتما تتفاسمان عبء الإرساد الصحى بن الأهالى ونسر الدعاية الصحيه بين الأسر؟ ولغير ذلك من الأمور؟ إننى أعنى جماع المهام الى لا يستطيع المدرس والطبيب النهوض بها إلا بعمل مشترك بينهما..

برنار : لم نتسارك أبداً فى سىء..
كنوك : ماذا؟ هل فضل كل منكما أن يعمل مستقلاً؟
برنار : المسأله أبسط من ذلك، فهذه أسباء لم نفكر فيها فط لا أنا ولا هو، وهذه هى أول مره أسمع فيها مثل هذا الكلام فى سان موريس.
[تدو على كوك كل علامات الدهشة المروحة بالأسف]

كنوك : آه.. هذه أنباء أوكد لك أننى لو لم أسمعها من فمك أنت لما صدقتها أبداً..
[فتره صم].

برنار : يؤسفنى ما سببته لك من خيبه الأمل.. ومن الإنصاف أن تسلم بأنه لم يكن فى وسعى أنا اقتراح وضع خطه مطابقه لرأيك حى لو جالت فكرنها فى رأسى وحنى ولو لم يلتهم عملى فى المدرسه كل وقتى..

كنوك : بالطبع! كنت تنتظر دعوه فلم نجتك.

برنار : ما قصدي إنسان لخدمة إلا بذلت جهدي في أدائها.

كنوك : أعلم هذا يا مسيو برنار.. أعلم هذا [فترة صت] ما أبأس أبناء هذا البلد نفضت منهم الأكف، فلا يبصرهم أحد بوسائل العلاج والوفايه.

برنار : هذا هو الواقع.
كنوك : أراهن أنهم يسربون الماء دون أن يسغل بالهم أن في كل حرفة لهم بلايين البلايين من البكتريا..

برنار . آه . هذا محمى.
كنوك : ألداهم على الأقل علم بالميكروبات؟
برنار : أسك في ذلك كبيراً.. أن بعض الناس هنا يعلمون هذه الكلمة ولكنهم يتصورون أنها اسم لبعض أنواع الذباب..

كنوك : [وهو يهص] هذا فطيع.. صدفنى يا عزيزى مسيو برنار إتنا لن نستطيع فى زمانه أيام أن نصلح أنا وأنت آبار سنين، عديده من.. من عدم المبالاة ولكن ينبغى لنا مع ذلك أن نعمل شيئاً..

برنار : لا مانع عندى، إنما أحسى ألا أنفعك كبيراً.

كنوك

: يا مسبو برنار.. سبق لسخص بك جد خبر
أن كسف لى عن عيب جسيم فى طبعك وهو
التواضع فما بجهل إنسان غرك أنك هنا
صاحب رأى مطاع بفضل سمو مكانتك
الأدبيه ونفوذك الشخصى، وأرجو أن تغفر لى
مجاهبتك بهذه الحفيفة، فما يتاح لعمل جدى
نافع أن يتم هنا إلا بفضلك.

برنار

كنوك

: أنت ببالغ با دكتور.
: إذن اتفقنا، أستطيع وحدى أن أعالج المرضى،
ولكن المرض ذاته من الذى يعينى على
محاربتة مطاردته، منذا الذى يبصر إخواننا
المساكن هنا بالخطر الذى يهدد أبدانهم فى كل
لحظة، ومنذا الذى يعلمهم، أنه لا ينبغى تأجيل
طلب الطبيب إلى حين طلوع الروح؟

برنار

كنوك

: لا أخالف رأيك فبهم، إنهم فى غاية الإهمال..
: [حساس بترديد شيئاً مشيناً] لنبدأ من البداية، لدى
هنا نص محاضرات عديدة مكتوبه بلغة بسيطة،
وملحق بها بيانات مسوفاة وصور على زجاج
وفانوس سحرى، فتتولى أنت بخبرتك تنظيم
الانتفاع بهذا كله وكخطوة أولى إليك بنص
كامل لمحاضرة لذيدة عن التيفويد تتحدث

عن تسنرها تحت علامات خادعه لا تنبيه لها
 المريض وعن مصادرها التي نفوق الحصر
 كالماء والخبز واللبن والمحار والسلطة
 والخضروات والتراب وتنفس المريض.. إلخ..
 إلخ.. وكيف أنها تكمن الأسابيع والسهور دون
 أن تفضحها علامة وكيف أنها نحدد فجأة عللا
 مميته وتجد وراءها مضاعفات خطيره، وهذا
 النص مصحوب بمناظر جميلة، صورته
 للباسلاص في حجم ضخم جداً وصورة ممالة
 من براز المريض، ولغد ملهبة، ومصارين
 مسوية، ليس صوراً بالأبيض والأسود، بل
 هي صور ملونة كما تروم بالوردي والكسنتائي
 والأصفر والأبيض المخضر..

[كوك يمد]

: [وقد تد عليه علامات الانتاس] المسأله أننى رجل
 سريع التأثر وإذا أغرقت نفسى فى هذه اللجه
 فلن أذوق النوم..

برنار

: هذا هو الواجب بعينه، أريد أن أقول إن
 صدمة الصحوه المباغتة هى الى نبقى لنا أن
 تزلزل بها أحساء السامعين، أما أنت يا مسو
 برنار فستتعود عليها، فدعهم هم يأرفون لها

كنوك

[عيل عليه] فخطبتهم أنهم بنامون في أمار
خادع لا يوقظهم منه إلا بعد فواب الوقت
مرض ينزل عليهم كالصاعقه.

: [تتمشى في حسده رعدة، يده على المكتب وطرته متهربه]
إننى لا أمتنع بصحه متبته وفد لى أبواى عنتاً
سديداً في السهر على، واعلم أن الميكروبات
الى بعدمها لنا على الألواح الزجاجية ما هى
إلا صورة، ولكن ألا ترى..

برنار

: [كأنه لم يسمع شيئاً] أما هؤلاء الذين يسمعون
المحاضرة الأولى فلا يتحولون عن برودهم
فقد أعددت لهم محاضره نانیه بعنوان يبدو
بريثاً هو: «حاملو الميكروبات» فيها براهن
واضحه وضوح النهار مدعمة بأمله عن
حالات كانت موضع درس ومرافبه تبين أن
السخص قد بجوس حلال الناس، وجهه
مسرفى، ولسانه وردى، وطعامه مأكول بسهيه
بديعه، ومع ذلك فهو يخفى في تلافيف حسده
ملايين الملايين من الباسلاص في أسد درجات
النشاط بحيب يكفى ما يحمله منها للويوب
مقاطعة بأكملها [ينص] فاعتماداً على العلم
والعمل، أن أسبته في أول قادم أن يكون حاملا

كنوك

الميكروبات، وها أنت ذا مبتلا لا شيء يؤكد لي
أنك لست واحداً منهم..

: [يهص] أنا يا دكتور؟

برنار

: ما أسد عجبي لو استمع إنسان لهذه المحاضرة
النانية البسيطة وبقي بعدها رائئ المزاج..

كنوك

: هل تظن أنني يا دكتور من حاملي
الميكروبات؟

برنار

: ليس بالضرورة أنت، إنني كنت أضرب مبتلا،
ولكنني ها أنذا أسمع صوت المسو موسكيه،
فإلى اللقاء يا عزيزي المسيو برنار، وسكراً
على انضمامك إليّ، هذا الانضمام الذي لم أكن
أسك فيه قط..

كنوك

المشهد الثالث

كنوك - الصبدى موسكيه

: تفضل اجلس يا عزيزي المسبو موسكيه، لم
يسعني الوقت أمس إلا أن ألقى نظره عاجلة
على محويات صيدليتك، ولكن لم أكن في
حاجة إلى مزيد لأتبين أنها صيدلية ممازة في

كنوك

ترتيبها وفي النظام المحكم الذى يسودها، وفي
أخذها بأحدث الأساليب حتى فى أصغر
الأمور.

موسكيه : [فى ثياب متواضعة بل مهملة] يا دكتور أنت رجل
بجامل جداً..

كنوك : هذه مسأله أنا حريص عليها أسد الحرص،
فإنى أعتقد أن الطبيب الذى لا يتاح له
الاعتماد على صيدلى من الدرجة الأولى، هو
بمنايه قائد حيس بمضى إلى المعركة بدون
مدفعيه..

موسكيه : يسعدنى أن أراك تعذر أهمه مهنتى..
كنوك : ويسعدنى أنا أيضاً أن أقول إن مؤسسة
كمؤسستك لاشك أنها تلقى جزاءها وأنتك
تكسب فى السنة خمسة وعشرين ألفاً على
الأقل..

موسكيه : من الأرباح؟ آه.. يا إلهى لو أننى كسبت ولو
نصفها..

كنوك : يا عزيزى مسيو موسكيه، إنك الآن لسب أمام
مندوب مصلحة الضرائب، إنك أمام صديق بل
دعنى أقول إنك أمام زميل..

موسكيه : ستكون إهانة لك لا أرضاها لو عاملتك بحذر

- مستريب، وإنما الذى قلته لك هو الحصفه بعينها
مع الأسف [بعد فترة تريب] إننى أكافح كفاحاً
سديداً لئلا يقتصر مكسبى على عسره آلاف..
- كنوك : ألا تدرك أنها فضيحة؟ [موسكيه يرفع كتفيه بحركه
تدل على الحزن] فإن مبلغ خمسة وعشرين ألفاً
كان فى تقديرى هو الحد الأدنى.. ولبس لك مع
ذلك منافس..؟
- موسكيه : ولا واحد إلا على بعد خمسة فراسخ..
كنوك : إذن ما السبب؟ هل لك أعداء؟
موسكيه : لا أعرف أن لى أعداء.
- كنوك : [يخفص صوته] هل صحيفتك بيضاء لا سودها
هفوة يؤسف لها نتيجة سهو ملا؟ خمسون
جراماً من صبغه الأفيون بدلا من زيت
الخروع، وهذا سهو مبسور وفوعه؟
- موسكيه : عملت عشرين سنة فلم تقع منى هفوة
واحدة.. صدقنى..
- كنوك : إذن.. إذن. إننى أمفت أن أتقدم بفروض
أخرى ولكن سلفى.. هل كان معصراً فى
واجبه؟
- موسكيه : هذه مسألة يختلف فيها الرأى.
كنوك : مرة أخرى أقول لك يا عزيزى مسيو موسكيه

- إن الكلام سيبقى بيننا نحن الانبن سراً..
 : الدكتور بارباليد رجل ممتاز، وكان بينى وبينه موسكبه
 أحسن صله شخصيه..
 : ولكن «روستاته» جميعاً لا تؤلف مجلداً ضخماً؟ كنوك
 : الحفبه نطق بها لسانك أنت.. موسكبه
 : إننى حين أتدبر الآن جماع المعلومات التى كنوك
 جاءتنى عنه أشتاتاً أرانى مدفوعاً إلى التساؤل
 عما إذا كان سلفى يؤمن بالطب..
 : لقد بذلت غاية جهدى بإخلاص فى مبدأ الأمر موسكبه
 فكنت إذا جاء الناس يسكون من أوجاع،
 ورأيت أن حالهم يدعو إلى سوء من القلبى،
 أرسلت بهم إليه، ثم كأن سلامهم كان سلام
 وداع فلا أراهم يعودون إلى أبداً..
 : إن هذه الأخبار لها تأثير على أشد مما كنت كنوك
 أود، إن لنا نحن الانبن يا عزيزى مسيو
 موسكبه مهنتين من أحسن المهن عند الناس،
 أليس من العار إذن العمل على الخط بها قليلا
 قليلا عن قمة عاليه من السلطان والنراء
 بلغتها بفضل جهود أسلافنا، نكاد السفن
 تنطقان بعبارته تخريب مقصود..
 : بلا جدال، وإذا تركنا مسائل المال جانباً فمن موسكبه

الإخلال بالواجب ترك المهنة تنحدر إلى ماهو
دون مستوى السباك والبقال، أؤكد لك
يا دكتور أن زوجي لا تستطيع شراء القبعات
والجوارب الحريرية الى تتباهى بها زوج
السباك كل أيام الأسبوع لا يوم الأحد
وحده..

كنوك : اسكت يا صديقي العزيز، فإننى أتوقع
لكلامك فما هو إلا كأنى أسمع من يقول إن
زوجة رئيس مجلس النواب قد انحدر بها الحال
حتى أصبحت تغسل ملابس بائعة الخبز من
أجل أن تحصل على حاجتها من الأرغفة.
موسكيه : لو كانت مدام موسكيه هنا لأخذها الطرب
لسماع كلامك.

كنوك : فى منطقة مل منطقة مركز سان موريس ينبغي
لنا نحن الانن ألا نستطيع رفع رأسينا من
كره العمل..

موسكيه : هذا حق..
كنوك : إننى أعتبر من حيث المبدأ أن جميع أهالى
المركز هم بحكم وجودهم وحده زبائن يعتمد
عليهم.

موسكه : جميع أهالى المركز؟ أنت تطلب الكندر..

- كنوك : أقول أهالى المركز..
- موسكيه : الواقع أن كل واحد منهم لا بد فاصدنا فى يوم من الأيام فى مناسبة من المناسبات.
- كنوك : زبون مناسبة؟ أبداً.. أبداً.. نريد زبائن منتظمين.. زبائن مخلصين..
- موسكيه : ولكن ينبغى أولاً أن يفترسهم المرض..
- كنوك : يفترسهم المرض؟ هذا فهم عتيق انهزم أمام مقررات العلم الحديث، وما الصحة إلا كلمة لا ضبر مطلقاً من حذفها من قاموسنا، أما عن نفسى فإنى لا أعرف إلا أناساً مصابين بدرجات متفاوتة، بأمراض تتكاثر عليهم بدرجات متفاوتة، وتستد علتها بدرجات متفاوتة، وبطبيعته الحال إذا مضيت تقول لهم إنهم يتمتعون بكامل الصحة فإن تصديفك عندهم هو منى القلب، ولكنك نخدعهم، والاعتذار الوحيد المعقول هو التعلل بكثرة العمل عند رفض قبول زبائن جدد..
- موسكيه : هذه مبادئ جميلة على كل حال.
- كنوك : مبادئ تطابق كل المطابقة مبتكرات العصر الحديث، أمنحها فكرك يامسيو موسكيه

فستجدها وببقة الصلة بمبدأ الأمم المسلحة التي
هي عماد قوة الأمم.

موسكبه : أن رجل فكر يا دكتور كنوك، ومهما فال
أصحاب المذهب المادى، فإن الفكر هو الذى
يفود العالم.

كنوك : [يهص] انصت إلىّ [الانان وافان وكوك يتناول يد
موسكبه] لعلّى أكون رجلا مغروراً لعل الزمن
يخبى لى خيبة أمل مريرة، ولكن بعد سنه فى
مثل يومنا هذا لاقبل ولا بعد، إذا لم تكن قد
كسبت دخلا صافياً فدره خمسة وعسرون ألفاً،
وهو دخل من حفك أن تناله، وإذا لم تفز مدام
موسكبه بما يتطلبه مقامها من أبواب وفبغات
وجوارب فلك أن تصب علىّ لعنانك وسأمنحك
وجهى لتهوى على كل خد بصفعة..

موسكبه : با عزى الدكتور سأكون ناكراً للجميل إذا
لم أفض فى شكرك، وسأكون وضبعا إذا لم
أعك بكل قواى..

كنوك : حسن.. حسن. اعتمد أنى علىّ، كما أعتمد أنا
عليك..

المشهد الرابع

كنوك والسيدة ذات اللوب الأسود

[عمرها خمس وأربعون سنة، تم هيئتها عن سبع أساء الريف،
وعن معاناتها لمرض الإمساك]

كنوك : آه.. ها هم الزبائن نسرفوا [يرفع صوته يحاطب
إسائاً من وراء الباب] إننا عسر؟! ينبغي إبلاغ
القادمن الجدد، أننى بعد الساعة الحادية عسره
والنصف لن أستقبل مرضى غرضهم الكشف
مجاناً، هل أنت ناسيدتى أول من قدم [تدحل
السيدة ذات اللوب الأسود ويفعل الباب] أنت من أهالى
المركز؟

السيدة ذات اللوب الأسود: لا... إننى تابعة للبندر..

كنوك : من سان موريس ذانها؟

السيدة : إننى أسكن فى المزرعة الكبيره الواقعه على
طريق لوسير.

كنوك : والمزرعة هى ملكك؟

السيدة : نعم هى ملكنا أنا وزوجى..

- كنوك : إذا كنتما تزرعانها لحسابكما، فلا شك أنكما
غارفان في العمل إلى الآذان..
- السيدة : وماذا تظن ياسيدى؟.. بمانى عسرة بقره،
وعجلان، وبوران، وحصان، وفرس، وست من
الماعز، وضعفها من الخنازير، هذا علاوة على
الدجاج والبط والحمام..
- كنوك : عجباً.. أليس عندكم خادم؟
- السيدة : نعم بطبيعة الحال.. ثلاثة رجال وامرأة عدا
عمال باليومية في موسم الحصاد..
- كنوك : فلبى معك، لا شك لم بنى لك وقت للاعتناء
بصحتك..
- السيدة : نعم لا أجد الوقت..
- كنوك : بالرغم من أنك مريضة؟
- السيدة : لا يصدق الفول بأننى مريضه، وإنما أسعر
بضعف..
- كنوك : نعم أنت تفولين إنه الضعف، [يقترن بها]
أخرجنى لسانك.. أرى أن سهبك للطعام
ضعيفة..
- السيدة : نعم.. هى كذلك..
- كنوك : أنت تعانين من الإمساك.
- السيدة : نعم بقدر محسوس..

- كنوك : [وهو يحصها] اخفضى رأسك، تنفسي، اسعلي،
ألم يحدث لك في صباح أنك وقعت من على
سلم؟
السيدة : لا أذكر..
- كنوك : [يعالج طهرها بالحس والفرع عليه، ثم يصطع فحاه على
كليتها] ألم تشعرى هنا بألم وأنب تأوين إلى
فراسك في المساء؟
السيدة : نعم في بعض الأحيان..
- كنوك : [وهو ماص في محصها] حاولي التذكر، لا بد أنه كان
سلماً عالياً..
السيدة : جائز جداً..
- كنوك : [لهجته مؤكده] إنه كان سلماً طوله ثلاثة أمتار
ونصف مسنداً إلى الجدار، ووقعت منه على
ظهرك، ومن حسن الحظ أن إلتيتك البسرى
هى الى أصببت..
السيدة : أى نعم..
- كنوك : هل سبق لك اسسارة الدكور بارباليد؟
السيدة : أبداً.
- كنوك : لماذا؟
السيدة : لأنه كان لا يكشف على المرضى مجاناً..
[لحظه صمت]

- كنوك : [جعلها مجلس] هل تدركبن ما بك؟
- السدة : كلا.
- كنوك : [جلس أمامها] هذا أفضل، ولكن هل لك رغبة في الشفاء أم لبس لك رغبة؟
- السدة : نعم لى رغبه فى الشفاء..
- كنوك : الأفضل إذن أن أنبهك فوراً إلى أن العلاج سيكون طويلاً ونفقته كبيره..
- السدة : آه.. يا إلهى.. ولم هذا؟
- كنوك : لأنه لا يمكن فى خمس دقائق شفاء مرض عمره أربعون عاماً..
- السدة : أربعون عاماً؟!
- كنوك : نعم.. أى منذ أن وقعت من على السلم..
- السيدة : وكم سيكلفنى العلاج؟
- كنوك : كم يبلغ نمى العجل الآن؟
- السدة : هذا يتوقف على السوق وعلى حجم العجل، ولكن لا يمكن شراء عجل مملأ العين بأقل من أربعمائة أو خمسمائة فرنك..
- كنوك : ونمى الخنزير السمى؟
- السدة : يبلغ نمى بعضها ألفاً..
- كنوك : إذن سكلفك العلاج عجلىن وخنزيرين تقريباً..

- السيدة : آه.. آه.. نلايه آلاف هرنك تقریباً؟ هذه نكبة
يا إلهي!
- كنوك : إذا كنت تفضلين الحج إلى مكان مقدس طلباً
للسفاء فإنى لا أمانع فى ذلك..
- السده : مل هذا الحج يكلف كسراً أيضاً، لم يكون بلا
جدوى فى أغلب الأحيان.. [هتره صب] ولكن
هل فى شىء جسيم حى يسدعى الأمر كل
هذا العناء؟
- كنوك : [وهو يبالع فى معاملتها بأدب ومحاملة] سأشرح لك
الأمر على السبورة فى دقيقة واحدة [يدهب إلى
السورة ويحط عليها رسماً محيطيًّا] هذا هو قطاع من
نخاعك السوكى وفى صورة إجمالية، أفاهمة
أنت؟ تتبينن هنا مجمع أعصاب توربك، وهنا
عمود كلارك.. هل أنت معى؟ حسناً. فحبنا
سقطت من على السلم نحرك توربك
وكلاركك إلى انجاء عكسى، [يرسم أسهماً تبين
الانجاء] حركة بمقدار ١:١٠ من المللمنر،
ستفولين إن هذه مسافة هنة جدًّا.. طبعاً..
ولكنها انخذا وضعاً سيئاً، نم عندك جذب
مستمر يضغط على مجمع الأعصاب [يمسح
أصابعه].

- السبده : يا إلهى.. يا إلهى..
كنوك : لكن فى علمك أنك لن عموى بن عسة
وضحاها، فأمامك وف..
السبده : آه.. آه.. ما أسوأه من حظ أن سفطت من
على هذا السلم.
كنوك : إنى أتساءل: أليس من الأفضل ترك الحالة
على ما هى عليه، فإن المال كسبه عسر، أما
عن سنى السيخوخة فموفوره وإن كان
مباهجها قليلة..
السده : سأكون صفيعة وأسألك: هل تستطيع إذا
عاجتني بأيسر جهد أفلا أنال السفاء بمن
أقل بسرط أن يكون العلاج بالطبع متفناً؟
كنوك : كل الذى أسطيع اقتراحه عليك هو أن تضعي
نفسك تحت الملاحظة، ولن يكلفك هذا شيئاً
تقريباً وبعد بضعة أيام ستبينين بنفسك كيف
يكون سير المرض ثم تصدرين فرارك..
السبده : نعم هذا هو رأى.
كنوك : حسن.. ستعودين إلى دارك.. هل جئت راكبة؟
السبده : كلا، وإنما سيراً على الأقدام..
كنوك : [وهو حالس على المكتب يكتب الروسته] لا مفر لك
من العور على عربة تعود بك، وبمجرد أوبتك

تأوين إلى فرانك في حجره لا يكون لها أحد غيرك بقدر الإمكان، وأغلفى النوافذ وأسدلى الستائر حتى لا يضايقك النور، وأمنعى أحداً من أن يكلمك. الأكل مده أسبوع مقتصر على السوائل وحدها. تناولى كوباً من ماء فيسى كل ساعتين، وعند الضرورة نصف بسكويته مرة في الصباح ومرة في المساء بعد عمسها في قليل من اللبن ومع ذلك فأنى أفضل الاستغناء عن البسكويت، لا يتأتى لك الفول بأننى وصف لك علاجاً غالباً جداً، وسنرى بعد أسبوع كيف تكون حالتك، فإذا احتفظ بسجاعتك، وأمكنك استعادة فوتك وبساستك، فإن هذا يعنى أن المرض أقل خطراً مما يتصور، وسأكون أول من يطمئنك، أما إذا شعرت على العكس بضعف عام ونفل في الرأس وخمول عند اليقظة، فلن يبفى محل للتردد وحينئذ نبدأ في العلاج. هل اتفقنا؟

: [تنهد] الرأى رأيك..

السيدة
كنوك

: [يشير إلى الروشته] كتبت لك على سبيل التذكير في هذه الروشته كل التعليمات، وسأذهب لزيارتك قريباً [يسلم إليها الروشته ويسيعها ويأدى لم]

وراء الباب يا ماريب ساعدى السيده على برول درحات
السلم وعلى عورها على عره . [يلمح المشاهد وحوه يمر
من الزائن يستقبلون السيده وهى حارحه بحوف واحترام] .

المشهد الخامس

كنوك والسيدة ذات النوب البنفسجى

[عمرها ستون سنه. كافه ما عليها من بياض من لون
بنفسجى، تتوكأ بكرياء على عصا يألفها هواه تسلى الحال]
السيدة ذات النوب البنفسجى : [بلهجه فيها استعلاء] لاسك دهسك
يا دكور مجيئ إلبك.

كنوك : نعم بعض الدهسة يا سيدتى..
السيدة : لك فى الواقع أن تعجب عجباً غير قليل من
أن تأقى لاستساره مجانه سبده زوجها من
أسره بونس وأبوها من أسره لامبوماس.
كنوك : أفضل أن أفول إن فى مجيئها تسريفاً لى..
السيدة : ربما ستفول إن هذه إحدى نتائج الفوضى
السائدة هذه الأيام، فعلى حين نرى عدداً
كبيراً من أوساب الناس وتجار الخناير
يتبخثرون فى العربات الفاخرة ويحتسون
السمنانيا مع الممثلات، إذا بسيدة يجرى فى

عروفيها دم أسره لامبوماس، ونمقد سلاله
أسرتها العريفة بلا انقطاع إلى القرن الثالث
عسر، وكانت مملك في وف ما نصف هذه
البلاد ويربط بصلاب وبنفة مع كافه أسر
النبلاء والأعيان في هذه المفاطعة، ينحدر بها
الحال إلى حد أن تقف في الصف تنتظر دورها
مع الفقراء والفقيراب من أهالي سان موريس،
أعترف با دكتور أن الحال فيما مضى كانت
أحسن من ذلك.

: [وهو مجلسها] نعم مع الأسف يا سدي..
: لا أقول لك إن دخلي فد بقي كما كان من
قبل أو أنني احتفظت بمنزل يعج بسته من
الخدم وباصطبل به أربعة خيول كما كانت
تتطلب مكانه أسرتنا حتى موب عمي، بل إنني
بعث في العام الماضي مزرعة وربتها عن جدي
مساحتها مائة وستون هكتاراً هي مزرعة
ميشويل، وهذا الاسم في فول فسيينا مستق
من كلمة يونانية وأخرى لاتينية تفيد معنى
كراهية الفطر، والسبب أنه لم يعر فط على
نبت واحد من هذا الفطر في المزرعة كلها
كما لو كان بين الأرض وبينه كراهية، والواقع

كنوك
السيدة

أنى لم أصب منها بعد خصم الضرائب ونفقات
التعمير إلا دخلاً ضئيلاً وبالأخص بعد وفاه
زوجى فإن المزارعين عمدوا إلى استغلال
الموقف وأخذوا يلاحقوننى بطلب تخفيض
الإيجار أو تأجيل دفعه، لقد ضمت ذرعاً، كفى..
كفى.. أفلا تعتقد إذن يا دكتور بعد
استعراضى للموقف على مختلف جوانبه أننى
كنت على حق فى التلخص من هذه المزرعة؟
: [لم يقطع عن الإصباح إليها بانتباه] هذا يا سيدى هو
اعتقادى وبالأخص إذا كنت نخبين نبات
الفطر، وإذا كنت من ناحيته أخرى فد أحسنت
توظيف من المزرعة..

كنوك

: أى.. لقد وضعت أصبعك على الجرح الدامى،
فإنى أسأل نفسى ليل نهار عما إذا كنت
أحسنت توظيف نقودى، فإنى أشك فى
ذلك كبيراً، فقد اتبعت نصيحة هذا الموق
الأحمق؛ وإن كان أطيب الرجال، ولكنى أعتقد
أنه أفل فطنة من المنضدة الصغيرة التى تستعين
بها زوجته العزيزة كما تعلم فى تحضير الأرواح،
وفد استريت بالأخص أسهم سرقات مناجم
الفحم، فما رأيك يا دكتور فى هذه الأسهم؟

السيدة

كنوك : هى على العموم أوراق مالية لها هيمنتها، وهى محببه بعض السيء للمضاربين لأن سعرها يتقلب بين ارتفاع غير معقول وهبوط لا تفسير له.

السيدة : آه.. يا إلهى.. إن جلدى يقسعر إذ يخيل إلى أننى استريتها فى ذروة ارتفاع أسعارها وقد وضعت فيها أكثر من خمسين ألف فرنك، وإنه لمن الحماقة لمن لا يملك نروه طائله أن يوظف فى أسهم شركات مناجم الفحم مل هذا المبلغ الذى دفعته.

كنوك : فى الواقع يخيل إلى أن مل هذا التوظيف ينبغى ألا يستأجر بأكر من واحد على عشرة من نروه السخص كلها..

السيدة : آه واحد على عسره لا أكر؟ فإذا كان التوظيف لا يزيد على هذه النسبه فأنت لا تصفه بالحماقة؟

كنوك : بالتأكيد لا..

السيدة : أنت تطمئننى يا دكتور، وفد كنت متلهفة على من يطمئننى، أنت لا تدري أى هم ألفاه فى رعاية ما فى يدى من فرسن، وأهول لنفسى أحياناً: حبذا بهموم أخرى لتطرد هذا الهم

عنى، فإن الإنسان جبل يا دكتور على طبع
يرسى له، فمقدر عليه ألا يفلح في إقصاءهم
إلا بسرط أن محل هم آخر محله، ولعلنا ننع
على الأقل بسىء من الراحة في هذا التغيير
والتبديل، فيأى أود أن أنقطع عن التفكير طول
النهار في المستأجرين والمزارعين والأسهم
والأوراق المالية لأننى لا أسطيع في العمر
الذى بلغته أن أجرب المغامرات الغرامية. آه..
آه.. آه.. ولا أن أقوم برحله حول العالم،
ولكنك تنتظر منى ولا ريب أن أفسر لك لماذا
أخذت مكانى في الصف، أنتظر كسفاً مجانياً.
: مهما يكن السبب يا سيدنى فإنه بلاسك سبب
وجيه.

كنوك

: إليك إذن التفسير، أردت أن أضرب منلا، فقد
وجدت أنك استلهمت يا دكتور فكرة بديعة
نبيلة ولكنى أعلم أهل بلدى، فقلت لنفسى هذا
سوى لم يالفوه، فهم إذن لن يذهبوا، وسبكون
الإعراض هو كل ما يجنيه هذا السيد جزاءً
على كرمه، حينئذ قالت لى نفسى إنهم لو رأوا
سيده زوجها من أسرة بونس وأبوها من أسرة
لامبوماس لا تتردد في افتتاح الكشف المجانى،

السيدة

فإنهم لن يخجلوا من أن يحذوا حذوها على
مرأى من الناس، ذلك أن أقل تصرفاتى
وحركاتى هى موضع المراقبة والتعليق، وهذا
شئ طبيعى.

: إن هذا سعى محمود منك ياسيدى وأسرك
عليه..

كنوك

: [تنهض وكأنها تؤذنه بأنها تصرف] كان لى غاة السرور
يا دكتور أننى تعرفت إليك وأننى ألزم دارى بعد
الظهر كل يوم، ويأتى لزيارنى بعض الأصدقاء
فنجتمع حول براد سائى من عهد لويس
الخامس عشر ورثته عن أجدادى، فسيكون لك
دائماً فنجان معد لك ينتظرك..

السده

: [يحنى أمامها، على حين أنها تتقدم ثانية نحو الباب] أنت
تعلم أننى حقيقة معذبة جداً جداً بسبب
المستأجرين والأوراق المالية، وقد ينقضى
الليل كله دون أن أنام، ياله من إعياء فظيع..
أتعرف يا دكتور حيلة تجلب النوم؟

كنوك

: تعانين الأرق منذ زمن طويل؟

كنوك

: منذ زمن طويل جداً.. جداً..

السيدة

: وهل تحدثت عنه إلى الدكتور باربالد؟

كنوك

: نعم.. مراراً عديدة..

السيدة

- كنوك : وماذا قال لك ؟
- السدة : نصحنى أن أقرأ كل مساء نلاب صفحات من القانون المدنى، إنها كانت دعابة منه، فإن الدكتور بارباليد لم ينظر إلى الأمر نظرة جديده.
- كنوك : لعله كان مخطئاً لأن من الأرفى حالات تنم عن حطر بليغ..
- السيدة : حقاً..؟
- كنوك : قد يكون سبب الأرق راجعاً إلى اضطراب أساسى فى سريان الدم فى عروق المخ وبالأخص إلى عله فى هذه العروق التى تسمى «خرطوم النرجيله» وقد تكون عروف مخك يا سبدنى على هذه الصورة..
- السيدة : يا إلهى... خرطوم النرجيله؟ أىكون للتبغ يا دكتور دخل فى ذلك؟ إنى أستعمل أحياناً السعوط..
- كنوك : هذه مسأله ينبغى فحصها، وقد يأتى الأرق أيضاً من إصابة بالتهاب الأعصاب تؤثر على ماده السنجابية تأثيراً عميقاً متوالياً..
- السيدة : يا لها من حاله فظيعة.. اشرحها لى يا دكتور..
- كنوك : تصورى. أخطبوطاً أو عنكبوتاً صخماً يلتهم مخك على مهل قرصاً وامتصاصاً وتمزيقاً..

- السيدة : أوه [تتهوى في مقعد] من يسمع كلامك معذور إذا
أغمى عليه من سدة الفزع. لاسك أن هذه
هى حالتى فىنى أشعر بها بوضوح، أرجوك
يا دكتور اقتلنى على الفور بحقنة واحدة،
ولكنى أراجع نفسى وأقول: لا تتخل عنى
يا دكتور فقد هويت إلى أعرق درجات
الفزع... [صت] لا بد أنها علة لاسفاء لها أبداً
علة مميتة..
- كنوك : كلا..
- السيدة : هل هناك أمل فى الشفاء؟
- كنوك : نعم.. على مدى الزمن..
- السيدة : لا تخدعنى يا دكتور.. أريد أن عرف الحقيقة..
- كنوك : المسألة كلها تتوقف على انتظام العلاج ومدته..
- السيدة : علاج ماذا؟ أهذه الأشياء التى تنسب خرطوم
الترجييلة أو العنكبوت؟ إذ أسعر بوضوح أنه
العنكبوت..
- كنوك : الشفاء ميسور من هذا وذاك، وما نت لأجرؤ
على أن أمد فى هذا الأمل لمريض من عامة
الناس لايتيح له وقته ولاموارده أن يعالج
نفسه بأحدث الوسائل العملية، أما بالنسبة
إليك فالأمر مختلف..

السيدة : [تهنئ] سأكون بين يديك مالا للطاعة خاضعه

كالجرو الصغير، وسأحمل كل علاج تفرره
وبخاصه إذا لم يؤلنى أماً سديداً..

كنوك : لن نسعرين بأقل ألم إذ أن الأسعه هي الى

سندجاً إليها كوسيله للعلاج، والصعوبه
الوحيدة هي أن يكون لك صبر على متابعة
العلاج بأناه لمدته سنتين أو ثلاث، وأن يكون
بجانبك طبيب يلزم نفسه ألا ينقطع عن مرافقه
تقدمك نحو السفاء وأن يضبط زمن جلسات
الأسعه ضبطاً دقيقاً وألا يوانى عن زيارتك
كل يوم تقريباً..

السيدة : آه.. أما عن نفسي فإن فضيله الصبر

لا تنفصني، ولكنك يا دكتور أنت الذى قد
لا تريد أن تواظب على علاجي طوال المدة
اللازمة لى..

كنوك : لا أريد.. لا أريد.. أنا لا أريد غير ذلك، المهم.

أن أقدر على ذلك، هل تسكنين بعيداً عن هنا؟
: أبداً، بل على بعد خطوتين، فمنزلى أمام المبانى
العمومى..

كنوك : سأحاول أن أخطف رجلى لأذهب إليك كل

صباح فيما عدا يوم الأحد وفيما عدا يوم

الاننن بسبب مواعيد عبادنى.

السيدة : ألا يكون يومان متتالين فتره انقطاع أطول مما
ينبغى، وهكذا أبقى بدون علاج من السبب
إلى النلتاء؟

كنوك : سأترك لك نعلمان تفصيلية دفيه، ومع ذلك
إذا وجدت فى متسع وقنى دفيه فى أمر عليك
يوم الأحد صباحًا أو يوم الاننن بعد الظهر..

السدة : الحمد لله.. الحمد لله.. [تهض] وما الذى ينبغى
لى أن أفعله فورًا؟

كنوك : عودى إلى دارك والزمى حجرة نومك،
وسأذهب إليك غدًا صباحًا، وأتولى فحصك
فحصًا ساملاً..

السدة : ألس لى دواء أتناوله اليوم؟

كنوك : هبه.. نعم [يكتب الروشته بسره] مرى على مسيو
موسكيه واسأل به أن يعد لك فورًا هذه الروشته
الصغيره الأولى..

المشهد السادس

كنوك - وفتيان من أهل الريف

كنوك : [ينادى لمن وراء الباب] مارييت.. يا مارييت،
ما هذا الحشد الغفير [ينظر إلى ساعته] ألم تعلنى
أن العيادة المجانية تنتهى عند الساعة الحادية
عشرة والنصف؟

صوت مارييت : نعم أعلننتهم، ولكنهم يريدون البقاء..
كنوك : من هو صاحب الدور الأول؟ [يتقدم إليه الفتان
وهما يكتمان الصحكات ويتبادلان اللكمات بالكوعين
والعمرات بالأعين ثم يفحران فى ضحكة يكتمانها بوضع اليد
على الفم ومن ورائهما يشاهد الأهالى وهم يحدون فى تصرفاتهما
مضطراً ظريفاً مسلطاً، فتثور بيهم صحة والدكتور كوك يرعم
أنه لا يرى شيئاً] من منكما صاحب الدور؟

الفتى الأول : [ينظر جاساً ويخفى ضحكة متهية] هئى.. هئى.. هئى..
[بحس الاثنين] هئى.. هئى.. هئى!

كنوك : ما أحسبكما متقدمين معاً؟
الفتى الأول : نعم.. هئى هئى! نعم.. نعم [صوت ضحك من وراء
الباب].

كنوك : لا أسطيع فيولكما معاً، فلقع اختياركما على واحد منكما، ثم نخل إلى أننى لم أركما من قبل، فهناك أناس قدما فبلكما..

الفنى الأول : لقد نخلوا لنا عن دورهم، لك أن سألهم. هئى.. هئى.. هئى! [صحكاس مسموعة ومكتومه].

الفنى الثانى : [وقد ملك حراثة] نحن الاننن متلازمان دائماً.. نحن بنائى لا بنفصل. هئى هئى هئى! [صحكاس تبعب من الأهالى].

كنوك : [بصغظ على سفتيه ويقول للهجه فى غايه الرود] ادخلا [يففل الباب ثم يقول للأول احلع بيانك، وسسر إلى الثانى. وأنب احلس هنا] [الفتيان يتبادلان الإشارات والصحكاس المكتومه شئء من الافتعال].

الفتى الأول : [وقد حلع ملاسه إلا السروال والميص] أننبغى أن أخلع بقيه بنائى وأصبح عاربا؟

كنوك : اخلع أيضاً فميصك [الفنى يلبس بح الميص فانه بعد أكمام] هذا بكفى [كنوك يفتر منه ويدور حوله بحس جسده ويدنى عليه ويضع أذنه هنا وهناك ويحدب حلقه ويفل حفسه وشفتيه، ثم يتناول جهاز فحص الحلق دا المرآه ويلسه على رأسه ممهلاً ثم بضئء فحاه فى وجه الفنى بوراً نعى الأنصار ويسلظه إلى داخل حلقه وعلى عيسه، ولما تن من الفنى استسلامه سسر كنوك له إلى المقعد الطويل]:

أرغد هيا.. هيا ضم ركبتيك [بحس الطل ويصع
السماعة هيا وهياك] مد ذراعك.. [سحس السحس
ويفيس ضغط الدم] حسن.. ارتد ملابسك [لحظه
صمت والفى يرتدى نيايه] هل أبوك حى؟

الفنى الأول : كلا.. إنه فد مات..

كنوك : موتاً مفاجئاً؟

الفنى الأول : نعم.

كنوك : هذا هو تقديرى.. لاسك أنه لم يكن متقدماً فى
العمر.

الفنى الأول : كلا.. إنه وصل إلى التاسعه والأربعين.

كنوك : أعاس إلى هذا الحد؟ [صم طويل لم يبق لدى

الفتين أهل رعبه للضحك، ثم يذهب كنوك يمشى فى ركن من
الحجره بين أسياخ مستنده إلى قطع من الأناث، ثم يستخرج
مها لوحاً من الكرتون تبين بالصورة الأحشاء الداخليه عند
الرجل السليم وعند الرجل السكر المدس، ثم يقول للفنى
الأول بلهجة مؤدبه] سأوضح لك كيف أصبحت
أحساؤك الداخليه الرئيسيه: هاتان هما
الكليتان عند الرجل السليم، وهذه هى حجرة
كليتك أنت [هن كل حمله وأخرى فتره تريث] لهذا دلوك
كبذك.. هذا هو قلبك.. ولكن القلب يهيك

- أنشد عطباً مم تبينه الصورة [نم يمضى كنوك بهدوء
ليعيد اللوحاب إلى مكانها].
- الفنى الأول : [يخل سديد] إذن ينبغي أن أنقطع عن سرب
الخمر..
- كنوك : هذا شأنك.. افعل ما تراه.
- [لحظه صمت]
- الفنى الأول : هل هناك دواء أتناوله؟
- كنوك : لا فائدة فى ذلك أبداً [إلى الفنى الثانى]: جاء
دورك الآن..
- الفنى الأول : إن شئت يا حضرة الدكتور عدت للكشف
أدفع أجرة..
- كنوك : لا فائدة من ذلك أبداً..
- الفنى الثانى : [وهو منكسر متصائل] إننى يا حضرة الدكتور
لا أسكو من أى مرض..
- كنوك : وكيف تعرف ذلك؟
- الفنى الثانى : [يتراجع وهو يرتعد] صحتى على ما يرام يا حضرة
الدكتور.
- كنوك : إذن لماذا جئت؟
- الفنى الثانى : [دون أن تتغير حالته] لأصحب رفيقى..
- كنوك : أليس هو بالرجل السيد مملك زمام نفسه
فى أى وحده؟ هيا اشعل ملايسك.

الفى الثانى : [يتحه للباب] كلا.. كلا يا حضره الذكور، لس
البوم، سأعود يا حضره الذكور، [صم].
كنوك : [يفتح الباب، تسمع صحه الأهالى وهم يصحكون من سابق
ويترك كنوك المس عران فيبحران وعلى وجهيها علامات
متسانه تنم عن الإعياء والهلح بم سفان الرحام وقد هبط عليه
فحأه صم جنائرى].

الفصل الثالث

[الرده الكبيره فى فندق المفتاح، بها كل علامات بحول فندق مدينه فى الريف إلى فندق محصص للاسستاء، لا يرال نافيًا على الحدران «تائح تبين تاريخ اليوم» وعليها أسماء مهندسها من سركاب سع الجمون، إلا أن العن تمنع على مقايص وحوافى الأثاث مكسوه بالنيكل والحدران مطليه بدهان أبيض، وماسف بيص معقمه]

المشهد الأول

مدام ريمى - سيبون

| | |
|-----------|---|
| مدام ريمى | : هل وصلت العربيه نا سيبون؟ |
| سيبون | : نعم يا سدى. |
| مدام ريمى | : قبل إن الطريق سدده اللوج.. |
| سيبون | : المسأله بسيطه لا نزيد التأخر عن ربع ساعه. |
| مدام ريمى | : لمن هذا المانع؟ |
| سيبون | : لسيده من لبفرون . جاءت للكسف عليها.. |
| مدام ريمى | : ولكننا حسبناها لا تصل إلا هذا المساء.. |
| سيبون | : هذا خطأ فإن السدده القادمه هذا المساء هى |
| | من سان مارسيلن. |

- مدام ريمى : وهذه الحفيه ؟
- سيبيون : هى حقيبه «أبو كسوره»..
- مدام ريمى : كيف؟ مسو ياربا ليد هنا؟
- سيبيون : هو فادم خلفى بمسافه خمسين مترا..
- مدام ريمى : ما هو غرضه من المجيء؟ لاستعيد عبادته بالطبع..
- سيبيون : ربما جاء يطلب الكسف عليه.
- مدام ريمى : ولكن لم يبق عندنا من حجر خاليه إلا الحجرة رقم ٩ ورقم ١٤، وقد حجزت رقم ٩ للسيدة القادمة من سان مارسيلين، وستكون الحجرة رقم ١٤ للسيدة القادمة من ليهرون، فلماذا لم تفل «لأبو كسوره» إنه لن يجد له حجرة خالية؟
- سيبيون : لأنى كنت أعلم أن الحجرة رقم ١٤ الخاله أصبحت محجوز للسيدة القادمة من ليهرون.. وما كان لى بغير تعليمات أن أفاضل بينها وبين «أبو كسوره»..
- مدام ريمى : هذا سىء يضايقنى جداً.
- سيبيون : دبرى أنت حلا للإسكال أما أنا فنبغى أن أنصرف للخدمة المرضى..
- مدام ريمى : لا لزوم لذلك يا سيبيون انتظر مسيو باربالد

وانسرح له أن جميع الحجرات مسغولة، فإننى
لا أستطيع أن أقول له ذلك بنفسى..

سببون

: آسف يا سبدنى، أصبح وفى لا يتسع
إلا لارتداء معطفى فإن الدكتور كنوك على
ونسك الوصول وعلى أن أجمع البول من
الحجرة رقم ٥ و٨ والبصافى من الحجرة رقم ٢
وأن أفس حرارة ساغلى الحجرات رقم ١، ٣،
٤، ١٢، ١٧، ١٨ وبفيه الحجرات أيضاً،
ولا أود أن يفتح حلقه على..

مدام رعى

: أفلا تحمل على الأقل متاع هذه السيدة إلى
الدور الأعلى؟..

سببيون

: والخادمه.. ماذا تفعل؟ هل «تلضم» اللؤلؤ؟.

[يخرج سببيون من المسرح ويحدو مدام رعى حدوه حين ترى
بارباليد قادماً].

المشهد الثانى

بارباليد وحده ثم تأنى إليه الخادم

بارباليد

: ألا يوجد أحد هنا؟ مدام رعى! سببيون! هذا
سئء محير، ها هى حفيبى وجدها على الأقل..
سببيون..

- الخادمة : [تدخل وهي في ثياب الممرضات] سيدي ماهو طلبك؟
- بارباليد : أريد أن أرى صاحبة الفندق..
- الخادمة : لماذا يا سيدي؟
- الدكتور : لتعطيني حجره..
- الخادمة : أنا لا خبر عندي، هل أنت من المرضى الذين طلبوا حجز حجره لهم!..
- الدكتور : إنني لسب من بين المرضى يا آنسة.. إنني طبيب!..
- الخادمة : آه.. جئت تعمل مساعداً للدكتور؟ الواقع أنه في حاجه إلى من يساعده..
- الدكتور : ولكن.. ألا نعرفيني يا آنسة؟
- الخادمة : كلا.. أبداً..
- الدكتور : الدكتور بارباليد! كنت ليلانه أسهر خلب طبيب سان موريس، لاسك أنك لست من أهالي البلد..
- الخادمة : كلا بل إنني من أهالي البلد، ولكن ما كنت أعلم أنه كان بها طبيب قبل الدكتور كنوك [لحظه صمت] عن إذنك يا سيدي، السبده صاحبه الفندق سألني إليك ولا ريب، فإنه أمامي أن أعقم أكياس الوسائد.
- الدكتور : هذا الفندق أصبح له وجه عجيب..

المشهد الثالث

بارباليد - نم مدام ريمى

مدام ريمى : [تسترق النظر] إنه لا يزال باقيا [ثم تقرر قرارها]
صباح الخير يا مسيو بارباليد، أرجو ألا تكون
قد أتيت تطلب سكناً عندنا.

الدكتور : أى نعم، كيف حالك يا مدام ريمى..
مدام ريمى : على أحسن حال.. ليست لدينا حجرة واحدة
خالية..

الدكتور : هل اليوم هو يوم السوق؟
مدام ريمى : كلا.. إنه ليس يوم السوق..
الدكتور : وكل الحجرات عندك مشغولة فى يوم هو ليس
يوم السوق؟ ولم كل هؤلاء، هؤلاء الناس
إذن؟

مدام ريمى : مرضى..
الدكتور : مرضى؟
مدام ريمى : نعم أناس تحت العلاج..
الدكتور : ولماذا يقيمون عندك؟
مدام ريمى : لأن سان موريس ليس بها فندق غير هذا

الفندق، ومع ذلك فلا أحسبهم سئى البخت
أن نزلوا عندنا انتظاراً لإقامة المبنى الجديد،
فإن علاجهم يسم هنا، ونحن نتبع بدفه كل
العليمات الطبية الحديثة..

الدكتور : ولكن من أين جاءوا؟

مدام ريمى : الموصى؟ إنهم منذ وقت يأتون من كل حذب
وصوب ومن قبل كانوا أناساً غرباء على سفر.

الدكتور : لا أفهم سئاً..

مدام ريمى : نعم مسافرون نزلوا سان موريس لعمل لهم
وبلع أسماعهم اسم الدكتور كنوك من أهالى
البلد كلهم، فحدوا أنفسهم أن ينهزوا
الفرصة ويطلبوا استسارنه، وبالطبع كانوا
يجهلون حالتهم من الوجهة الصحية وإن
خامرهم سك، بأنهم ربما يعانون مرضاً من
الأمراض، وإذا لم يكن حسن حظهم فدقادهم
إلى سان موريس لكان نفر منهم قد أهل عليه
التراب اليوم..

الدكتور : ولماذا كانوا سيموتون؟

مدام ريمى : لأنهم فى غفلتهم عن حالتهم الصحية كانوا
سبداومون على شرب الخمر والنهام الطعام
وارتكاب مئات من الحماقات الأخرى.

الدكتور : وكل هؤلاء المسافرين بفوا هنا؟
 مدام رمى : نعم، فإنهم كانوا إذا عادوا من زيارة الدكتور
 كنوك سارعوا إلى الرفاد في فراشهم وبدءوا
 العلاج، أما اليوم فالحال لم يعد كذلك، فإن
 النازلين عندما قد قاموا بالرحله إلينا خصبصاً،
 ومما يكربنى أن الحجرات لا تكفيهم وسنسبـد
 مبنى آخر..

الدكتور : هذا سىء عجيب جداً..
 مدام رمى : [بعد تمكير] حقاً إن ما تراه يبدو ولا ريب سيئاً
 عجبياً لك أنب، ولو كانت لك حياه مثل حياه
 الدكتور كنوك لدعوب الله أن ينقذك..

الدكتور : هيه.. وكف حياته هو إذن؟
 مدام رمى : حياة رجل محكوم عليه بالأشغال الساهة،
 فما يكاد ينهص من فراشه حتى يجرى يؤدي
 زيارته، وفي الساعه العاسرة يأبى للفندق
 وستراه بعد خمس دقائق، ثم يثوب إلى عبادته
 فيستقبل المرضى، ثم يخرج من جديد يؤدي
 زيارته، من أول المركز إلى آخره، لا أنفى أن
 لديه سيارة: سيارة جديدة فخمة يقودها
 بسرعه كبيره، ولكنى وانقه أنه نمر عليه أحيان
 كثيره تقتصر فيها وجبه الغذاء على

«ساندويتش» واحد..

الدكتور : يحدث لى أيضاً فى اليوم أن أكتفى
«ساندويتش»..

مدام رعى : آه كان فى إمكانك هنا أن تنعم بحياة محتسمة
هادئة [تقبل لداعته] أتذكر لعبك «للبياردو» فى
مقصف الفندق؟

الدكتور : لا مفر من الاعتقاد أن الناس كانوا فى زمانى
يتمتعون بصحة أحسن..

مدام رعى : لا تقل هذا يا مسيو بارباليد، إن الناس هنا
كانوا لا يبالون بعلاج أنفسهم، هذا هو
الفرو، هناك ظن بأننا أهل الريف أناس
أجلاف لم يتمدنوا، وأننا لا نبالى أقل بمبالاة
بسلامة الأبدان، وأننا ننتظر حتى تأذن ساعتنا
فننفق كما ينفق الحيوان، وأن الدواء والعلاج
والأجهزة الطبية وكل مبتكرات المدنية الحديثة
هى جديرة بسكان المدن، هذا خطأ يا مسيو
بارباليد، فإننا لا نقل فى تقدير أنفسنا عن
بقية الناس، وإذا كان الواحد منا لا يحب أن
يبدن نقوده، فإنه لا يتردد أن يدفع بمن
ما لا غنى عنه، أما أنت يا مسيو بارباليد
فلا تتصور الفلاحين إلا كما كانوا فى الماضى

يتعاملون بالملم لا بالفرس ويفضلون فهد
عين أو ساق على سراء دواء ببلانه فرنكاب،
لقد تغيرت الأحوال والحمد لله .

بارباليد : ليكن الأمر كذلك، فإذا كان الناس أصبحوا
يضيفون ذرعاً بحسن صحتهم ويريدون التمتع
بفخفة عد أنفسهم من المرضى، فهم مخطئون
إذا لم يحققوا غرضهم دون أن يبألوا بأى شىء
آخر، ثم إن هذا كله مكسب للطبيب.

مدام ريمى : [وهى تحتد] على كل حال لن يسمح لك أحد أن
تصف الدكتور كنوك بأنه رجل بجري وراء
مصلحه السخسيه، فإنه هو الذى بدأ لأول
مرة العاده المجانيه الى لم نكن نعرفها هنا،
أما عن ذهابه لزياره مريض، فإنه لا يطلب
أجراً إلا ممن هو قادر على دفعه، ولو فعل غير
ذلك لكان فعله مدعاه للأسف، ولكنه لا يقبل
شيئاً قط من الفقراء، إن الناس ساهده يقطع
المركز بطوله ينفق عسره فرنكاب نمنا
للبنزين تم يف بسلامه الفخمه أمام كوخ
عجور ففبر لا تمتلك حتى قطع جبن من لبن
الماعز لتعطيه إله، ولا ينبغي كذلك التلميح
بأنه يقتنع الأصحاء بأنهم مرضى، فأنا أول من

أسهد على نفسي بأننى جعلته يكسف علىّ ربما
 عسر مراب مند أن أصبح يأتى للفندق كل يوم
 وفى كل مرة يكسف على بنفس الصبر والأناة
 من الرأس إلى القدم مستعيناً بكل أدواته
 وأجهزته وبكرس لى ربع ساعه على الأقل
 وكان يقول لى فى كل مره إننى غير مصابه
 بمرض وأنه لا داعى للقلق، وما علىّ إلا أن
 أتمع بماأكلى ومسرى وحاولب جهدى أن أدفع
 له أجراً ولو مبلغاً قليلاً، فكان بأبى، وإنه يخص
 مسو برنار المدرس بنفس المعامله بعد أن
 استحوذت عليه فكرة أنه من حاملى
 المكروبات، واسودت الحياة فى عينه، فمن
 أحل بظمنه لم يتراجع الدكتور كنوك عن
 نخلبل برازه بلاب مرات ولكن ها هو
 ذا مسو موسكبه فادم بعد أن أخذ فى حضور
 الدكتور عينه من دم ساغل الحجرة رقم ١٥،
 وبممكنك النحدث إليه [بعد فتره تفكير] بم اعطنى
 على كل حال حصبك وسأدبر لك مسكناً..

المشهد الرابع

باربالد - موسكبه

موسكبه : [أصبح يرتدى حله من آخر طرار]الدكتور غبر
موجود هنا؟ آه.. الدكتور باربالد؟ كأننى
أرى سباحاً وأيم الحق، لقد رحل عنا منذ أمد
بعيد.

باربالد : بهذا القدر بدا رحبلى بعيداً؟ كلا.. فما رحلت
إلا منذ ثلاثة أسهر.

موسكبه : هذا حق، ثلاثة أسهر، سىء مدهس [يقول لبلهجه
عطف] أنت مسرور فى لىون؟

الدكتور : مسرور جداً..

موسكبه : آه.. الحمد لله.. لعلك وجدت بها عيادة لها
زبائننا المخلصون.

الدكتور : هيه.. وزدتهم بنسبة الלב، صحة مدام موسكبه
طبية؟

موسكبه : أحسن من الأول بكثير..

الدكتور : هل كانت مريضه؟

موسكيه : ألا تذكر هذا الصداق الذى كانت تسكو منه
فى أكر الأيام؟ لعلك لا تذكره لأنه لم يكن فى
اعتبارك شيئاً مهماً، ولكن ما كاد الدكتور
كنوك يفحصها حتى اكتشف أنها تعاني من
نقص فى إفرازات المبايض ووصف لها علاجاً
بالمهرمونات كان مفعوله مدهشاً.

الدكتور : هل انقطع ألمها؟
موسكيه : لم يبق أثر لهذا الصداق القديم، أما ثفل
الرأس الذى لا يزال ينتابها فغير ناتج إلا من
الإجهاد وهو ظاهرة طبيعية، ذلك أننا أصبحنا
مرهقين بالعمل وسأستعين بمساعد صيدلى،
فهل تعرف واحداً يعتمد عليه توصينى به؟
الدكتور : كلا، ولكن سأجعل طلبك فى بالى..

موسكيه : آه، لقد انقضت تلك المعيشه الهادئه الى كنا
نعيشها فى الماضى، وما فورك أننى حى وأنا
أوى إلى فراسى فى الساعه الحاديه عشره
والنصف مساءً لا أكون قد أنجزت محضر كل
الروستاب؟

الدكتور : باختصار قد وقعت على منجم من الذهب..
موسكيه : أوه، من المؤكد أننى ضاعفت دخلى خمس

مرات، وحاسا لي أن أسكو من ذلك، ولكن لي
أسباباً يحملني على الرضا لأنني يا عزيزي
الدكتور بارباليد أحب مهنتي وأحب أن أسعر
أنني رجل مفيد وكثره العمل تسرفني أكثر من
فراع يسلمني إلى التفكير في همومي، مسأله
مزاج، ولكن ها هو ذا الدكتور فادم..

المتشهد الخامس

باربالد - موسكبه - كنوك

| | |
|---------|--|
| كنوك | : سلام عليكم، صباح الخير يا دكتور باربالد، |
| | كنت أفكر فيك، هل كانت رحلتك طيبة؟ |
| الدكتور | : طيبه جداً. |
| كنوك | : هل جئت بسيارتك؟ |
| الدكتور | : كلا، بل بالطمار.. |
| كنوك | : حسن، جئت لفبض القسط.. ألس كذلك؟ |
| الدكتور | : المسأله أنني حثت، ولا بأس أن أسهر الفرصه.. |
| موسكبه | : أترككم يا سادة [إلى كنوك] سأصعد إلى الحجره رفم ١٥.. |

المشهد السادس

باربالد - كنوك

- الدكتور : لن تتهمنى الآن أننى ضحكك عليك..
- كنوك : على الأقل كانت هذه نيك با زمبلى العزيز..
- الدكتور : أنت لا تنكر أننى تخليت لك عن عيادى وأنها عياده ساوى الكبير..
- كنوك : أوه.. كان فى مقدورك أن تبقى عليها، إذن لما ضايق أحدا الآخري.. هل أنباك مسو موسكه بالنائج الأولى؟
- الدكتور : نعم.. حدوني عنها..
- كنوك : [سب فى محفته النمود] سأطلعك بصفه سرية بيننا على بعض الرسوم البيانية التى أعددها، وستجد لها سهوله علاقه بالحديث الذى دار بيننا منذ ثلاثة أشهر.. لتتكلم عن العادة، أولا: هذا الخط البياني يمل عدد المتردين على العيادة أسبوعياً، وبدأ الخط من نقطة قبل هذا العدد أبامك، وكنت لا أعرف هذا العدد و قدرته بخمسة أشخاص.

بارباليد : خمسة أشخاص في الأسبوع؟ ليس مبالغه
منك إذا فلب إنهم كانوا ضعف هذا العدد على
الأفل يا زميلي العزيز.

كنوك : فليكن.. ها هي أرهامى أنا، وهى بطبيعه الحال
لا تسمل الكسف المجانى يوم الانين: منتصف
أكنور: ٣٧، آخر أكتوبر: ٩٠ آخر نوفمبر
١٢٨، آخر ديسمبر: لم أجمع العدد بعد، ولكن
الرقم سزيد عن ١٥٠، وعلى كل حال فإننى
سأعدل تضييق الوف من الاهتمام بنمو عدد
الاسسارات ولن أعنى إلا بالمنتفعين بعلاج
طويل، فإن الكسف فى العياده لا يستحوذ
إلا على نصف اهتامى، فهذا فن ساذج يشبه
الصد بالشبكه، أما العلاج الطويل فيسبه
زرع صغار السمك فى مياه الصيد.

الدكتور : عفواً يا زميلي العزيز.. هل أرقامك ديفه غايه
الدفة؟

كنوك : نعم.. غايه الدفة..
الدكتور : معنى هذا أنه تأنى فى أسبوع واحد أن قبل
١٥٠ شخصاً من أهالى مركز سان موريس
تكبد مسفه الانتفال من منازلهم للوقوف فى
صف أمام باب العياده وفى بدهم أجر الكسف،

لم يؤت بهم بالقوة أو بأمر ضغط ما..
: لم تكن في حاجة للاسئانة لا بقوة البوليس
ولا بقوة الحبس..

كنوك

: سببى على أن أجد لذلك نفسراً.
: لنمض في متابعه الخط البياني الذي عمل عدد

الدكتور

كنوك

المرضى تحت العلاج، أول أكتوبر: كانت
الحالة كما تركها لي: عدد المرضى الذين
يدامون على العلاج في منازلهم، العدد: صفر
أليس كذلك؟ [يبدى الدكتور نارنايد حركه تنم عن
تبرمه بعد حماس بالمواقفه] - آخر أكتوبر: العدد
٣٢، آخر نوفمبر: العدد ١٢١، آخر ديسمبر:
سبتراوح العدد بين ٢٤٥، ٢٥٠..

الدكتور

كنوك

: يخل إلى أنك نحسبني ساذجاً..
: أما أنا فلا أجد أنها أرقام عاليه جداً،
فلا تنس أنه يوجد بمركز سان موريس ٢٨٥٣
منزلاً، من فاطنيها ١٥٠٢ أسرة بريد دخل كل
واحد منها على ١٢,٠٠٠ فرنك.

الدكتور

كنوك

: وما شأن دخل الأسر في الأمر؟
: [يتحه إلى حوض العسل] لا مجال أن تفرض عبء
مرص مزمن على أسرة لا يبلغ دخلها اني
عسر ألف فرنك، فهذا جور غسوم، أما عن

الأسر الى لها هذا الدخل، فكذلك لا محال
للفكير في طبقي حظه واحده عليها، فجعلتها
من أربع درجات، فالخطة المرسومه لأدنى
الدرجات هي للأسر التي ينراوح دخلها بين
١٢,٠٠٠، ٢٠,٠٠٠، ولا تتضمن إلا زياده
واحدة كل أسبوع وخمسين فرنكاً تقريباً في
كل شهر لمن الأدوية، والدرجه العليا -
درجه «اللوكس» - هي للأسر التي بعلو
دخلها على ٥٠,٠٠٠ فرنك، فهي تتضمن أربع
زيارات في الأسبوع على الأقل، وبلاب مائه
فرنك شهرياً للمصاريف المخلفه: أسعه
إكس، علاج بالراديو تدليك كهربائي..
تحليل.. إلخ.. إلخ.

: ولكن كيف تعرف دخل زبائنك؟

الدكتور

: [بدأ غسل يديه بعنايه فائقة] بي أننى لا أجد المأمور

كنوك

الضرائب وحسناً أفعل، فعلى حس أننى
أحسب ١٥٠٢ دخلاً يزيد على ١٢,٠٠٠
فرنك، فإن عددها المفقده عند مأمور الضرائب
لا يزيد على ١٧ فقط، وأكبر دخل مبن في
إقرار مقدم له لا يزيد على ٢٠,٠٠٠ فرنك،
وحقيقة هذا الرقم عندى هي ١٢٠,٠٠٠

فلا نطابقى قط بين إحصائياتى وإحصائياتك،
وماذا يهم مأمور الضرائب؟ لا تنس أنه
موظف حكومة..

الدكتور : ولكن من أين ستفى معلوماتك؟

كنوك : [بتسم] من مصادر عديدة، إنه عمل ليس بالهين
سغلفنى طوال سهر أكتوبر بأكمله، وأننى
أصحح الأرقام باستمرار، انظر إلى هذه -
حلوة.. ألبس كذلك؟

الدكتور : كأنها خريطة للمركز، ولكن ما معنى هذه
العلامات الحمراء؟

كنوك : إنها خريطة التغلغل الطبى، فكل علامة حمراء
تدل على مكان مريض غير منقطع،
ولو اطلعت على هذه الخريطة قبل سهر واحد
لكنت رأيت هنا بقعة ملونة بلون رمادى هى
بقعة سايرير.

الدكتور : ماذا؟

كنوك : نعم هذا هو اسم المربة الى تفجع وسط هذه
البقعة، وهى التى وجهت إليها أول مناس، فى
الأسابيع الماضية، أما اليوم فإن البقعة لم تخف،
بعد، لأنها مسست أجزاء، أليس كذلك؟

الدكتور : ستمول إنى رجل متسد معقد، ولكن

ألا تكون مصلحة المرض طبفاً لخطتك هى فى
المحل الثانى بعد مصلحة الطب؟

كنوك : يا دكتور بارباليد، أنت نسى أن هناك مصلحة
أسمى من هاتين المصلحتين..

• وما هى؟ الدكتور

كنوك : مصلحة الطب ذاته، فهى المصلحة الأولى التى
أهتم بها [صب، بارباليد مستغرى فى التفكير].

بارباليد : نعم.. نعم.. نعم.

[وإهداء من تلك اللحظة إلى هيايه المسرحيه تتحول إصاءه
المسرح شيئاً فشيئاً إلى إصاءه العادات والمستسمات، وغلب
عليها كالمهد بها الأنوار الخضر والبهفسحه بدرجة تفوق
أنوار دور بهيه خلق الله].

كنوك : أنت سلمنى مركزاً بسكنه عدة آلاف بفون

من الطب على الجهاد لا قرار له، فمهمنى هى
أن أضعهم إلى اتخاذ الفرار، أن أحملهم إلى أن
يكون وجودهم فى الحياة وجوداً طبيئاً، فأجعلهم
يلزمون الفراس وأنظر ما ينجم عن هذا
الرفاد من سفور مريض بالسل أو مرض
بالاضطراب العصبى أو بنصل السرايين:
إنسان مريض أيّاً كان، ولكن إنساناً مريضاً

على كل حال، ولا سىء يضافنى أكبر من هذا
الذى لا هو طالع ولا نازل، أى الرجل الذى
لا يسكو من مرض كما يقال.
: ولكنك لا تستطيع أن نجعل المركز كله يرقد فى
الفراش..

الدكتور

: [وهو يشف يديه] هذه مسألة ممكن مناقستها، فإنى
أعرف خمسة أفراد من أسرهم واحد مرضوا
جميعاً ولزموا الفراش فى وقت واحد، ومع ذلك
لم ترتبك حياتهم، واعراضك هذا يذكرنى
بهؤلاء الأساتذة فى علم الاقتصاد الذين
يزعمون أن الحرب الحديثة لا يمكن أن تطول
أكبر من ستة أسابيع، والحقيقة أننا جميعاً
تنفصنا الشجاعة، ولا بجرؤ إنسان حتى ولا أنا
على المضى إلى أقصى المدى فيجعل كل
الأهالى يلزمون الفراش لانتظار سفور المرض
فليكن، إنى أوافقك على أنه ينبغي أن يظل
هناك أناس أصحاب ليغنوا على الأقل
بالآخرين، أو لؤلؤوا فوه احتياطيه وراء
جيش المرضى المسغولين بأمراضهم، ولكن
الذى لا أحبه أن نتم الصحة عن التحدى فإن
هذا كما ينبغي أن تعترف أن سىء لا يطاق،

كنوك

لذلك نحن نغمض العين على بعض الحالات،
ونترك على وجوه بعض الناس فناع الصحة،
أما إذا جاءوا فيها بعد يتبخرون أمامنا
ويهزءون بنا، فيأني محن أن أغضب، وهذا
ما حدث هنا لمسبو رافالنس..

الدكتور : آه هذا العملاق؟ هذا الذي يفاخر بأنه
يسنطيع حمل حمائه على ذراعيه الممدودين؟
كنوك : نعم، إنه ظل يتحدثني بلانه أنسهر سم وقع في
بدى..

الدكتور : ماذا؟
كنوك : والآن راهد في الفراس لأن جعجعته بدأت
تضعف عند الأهالي ذههم الطبي.

الدكتور : ولكن نبفى بعد ذلك مسكلة عويصة..
كنوك : ما هي؟

الدكتور : أنت لا تفكر إلا في مهنة الطب ولكن ماذا
عسى أن تكون عليه حالة بقية المهن؟
ألا نخسى أن يؤدي نعيم طبى خطتك إلى
تراخ بين في مختلف أوجه النساا الاجتماعية.
مع أن بعضها له شيمه؛

كنوك : ليس هذا من شأنى، فأنا لا أسوء إلى
إلا بالطب..

الدكتور

: صحيح أن المهندس وهو ينسىء سكك حديديه
لا يسأل نفسه عما عساه يكون رأى طبيب
القرية..

كنوك

: لافض فوق [سحه إلى مؤخره المسرح ويقترب من
النافه] تعال يا دكتور بارباليد، ألى نظره من
هنا، أنت تعرف المسهد الذى يطالع من يطل
من هذه النافه ولا نيك أنه لم يفتك أن تتملى
من هذا المنظر بين دورين من أدوار لعب
البلياردو الذى كنب مغرمًا به، فأمامك على
بعد، ربوه أليجر الى ينهى إليها حدود
المركز، وعلى البسار قرية مسكلا وتريبور؛ وفي
هذه الناصبه، لو لم يكن مساكن سان موريس
قد تضخمت كالورم، لكننا أبصرنا كل دساكر
الوادى متتاليه واحده بعد أخرى. لا سك أنه
لم يستأر بنظرك إلا جمال المنظر الطبيعى
الذى أنب به مسغوف، كنب تراه كصعيد ريف
غلبط الطبع لا تكاد الحياه تدب فيه، وهأنذا
الوم أهدمه لك، وهذ يغلغل الطب في أرجائه،
وهبت النيران التحبيه لمهنتنا نفاهله وسرى في
جنباه، وفي أول يوم ركز نفسى هنا - أى
في صبيسا، يوم وبصولى - كنت أبعد من أن

يتملكني الزهو إذ سمرت أن وجودي هنا لن
يؤبه له كسرًا، فستقف في الأرض الساسعه
عرض عني وعن أمالي بوفاحة. أما اليوم
فإني مطمئن مستريح لمكاني بها كما يطمئن
العازف المحنك لآلته، وأمامك مائه وخمسون
منزلًا قد لا تراها كلها بسبب البعد وستور
الأسجار، إن بها مائتين وخمسين حجرة، في كل
واحدة منها شخص يؤمن بالطب، أو بعبارة
أخرى بها مائتان وخمسون فراشًا يتمدد فوق
كل منها جسد يسهد بأن الحياة لها معنى هو
بفضلي أنا معنى طبي، ويزداد المنظر بهاء بالليل
حين تضاء الأنوار والفضل في أغلب هذه
الأنوار راجع إلى، أما غير المرضى فيرفدون في
الظلمات وقد أسقط حسابهم، ولكن المرضى
قد استنفوا نور مصباح أو سمعة. وكل ما بقي
على هامس الطب فقد خلصني الليل منه ومن
مضايقته وبخديه. وينقلب المركز كله بالليل إلى
فلك أنا خالمه الدائم وهأنذا لم أحدثك بعد
عن نوايس الكنائس، أعلم أن وظيفتها
الأولى لهذا الخلق كله أصبحت أنها تذكرهم
بمواعيد تناول الدواء، وفرعها هو نداء

تعليماني، تصور أنه بعد بضع لحظات ستدق
الأجراس معلنة حلول الساعة العاسرة،
والساعة العاسرة عند جميع مرضاي هو موعد
فياض الحرارة للمرة الثانية من السرج، أى
بعد بضع لحظات ستتخذ مائتان وخمسون
ترومترا أماكنها فى وقت واحد..

الدكتور : [وقد غلب عليه التأثير يسك ذراع كنوك] يا زميلى العزيز
لى اقتراح أريد أن أقدمه إليك..

كنوك : ما هو؟

الدكتور : إن رجلا مثلك لا يجد مكانه الجدير به فى مركز
بالريف بل تلزمك مدينة كبيرة..

كنوك : سأفوز بها عاجلا أو آجلا..

الدكتور : ولكن حذار، أنت الآن فى ذروة قواك، لن
عمضى بضع سنوات حتى تكون قد وهنت، هذه
هى تجربتى فتق بها.

كنوك : إذن؟

الدكتور : إذن ينبغي لك ألا تنتظر..

كنوك : هل تعلم مكاناً كالذى تعنيه تدلنى عليه؟

الدكتور : مكانى أنا؟ أنا أعطيه لك، وما بعد ذلك برهان

على إعجابى بك.

كنوك : نعم، وأنت ما هو مآلك؟

الدكتور : أنا؟ أنا سأقنع بالعمل من جديد في سان

موريس..

كنوك : نعم..

الدكتور : بل سأذهب إلى أبعد من ذلك.. فقد بقى عليك

عده آلاف من الفرנקات دبنا لى فى ذمتك

سأنازل عنها هدية منى إلبك..

كنوك : نعم.. فى الحقيقة أنك لست غراً كما فدىظن

بك..

الدكتور : وكيف؟

كنوك : أنت لا نحسن الإنتاج، ولكنك تجيد البيع

والسراء، وهذه هى صفة الساجر..

الدكتور : أؤكد لك.

كنوك : بل إنك فى هذه المسألة بالذات تثبت أنك تجيد

أيضاً فهم النفوس، فقد حسبت أن هيامى

بالمال سينفضى لحظة تدفقه علىّ، وأن تطبيق

خطتى فى التغلغل الطبى على حى واحد أو

اثنين من أحياء لون، كفيل أن ينسينى رسومى

البيانية عن سان موريس، آه، نعم، ليس فى

نيتى أن أبقى هنا حتى تركبى السيخوخة

ولكن شتان بين هذا وبين أن أرتقى على أول

عرض يقدم إلىّ..

المشهد السابع

كنوك - باربالد - موسكيه

[موسكيه يحترق الصاله متسللا ليخرج، يستوفه كنوك]

كنوك : اقترب يا صديقي، أتعرف ماذا يفتح عليّ
الدكتور بارباليد؟ أن نبادل ببنا العيادتين
فأذهب أنا إلى ليون ويعود هو إلى هنا.

موسكيه : هذه دعايه..

كنوك : أبداً، بل هو عرض جدى جداً..

موسكيه : كأننى سقطت من شاهق، ورفضت العرض
بطبيعة الحال..

الدكتور : ولماذا يرفضه الدكتور كنوك؟

موسكيه : [موجهاً الحديث إلى الدكتور بارباليد] حين يكون البديل

هو النزول عن بندقيه نمنا ألقان من
الفرنكات نظير مسدس قديم فإن من عادة
العقلاء غير المغفلين أن يرفضوا مثل هذا
البديل، فكان في إمكانك أن تقترح على
الدكتور كنوك تبادل السيارات..

الدكتور : أرجو أن تنق بأنى أملك في ليون عيادة من

الدرجة الأولى، فقد خلفت فيها الدكتور

مارلو، وكانت له فيها سهرة مستفيضة..

موسكيه : هذا كلام كان يصح لو قيل منذ بلانه أسهر،

ففى بلانه أسهر، يقطع السائر شوطاً فى

الطريق هو للنازل أطول منه للصاعد [إلى

كوك]: سم إن أهالى سان موريس يا عزيزى

الدكتور لن يفلوا أبداً..

الدكتور : وما دخلهم فى هذه المسألة؟ نحن لن نسألهم

رأيهم..

موسكيه : ولكنهم سيصارحونك به، ولا أزعجك أنهم

سيعمدون إلى إقامة المتاريس فى وجهك، فإنها

ليس من عادة أهل هذا البلد، وشوارعهم

غير مبلطة ولكن أهالى البلد يستطيعون

تشجيعك إليها [يشاهد مدام ريبى] وعلى كل حال

فستحكم أنت بنفسك..

[تدخل مدام ريبى تحمل صفاً من الأطباق]

المشهد الثامن

جمع من سبق ومدام رمى

موسكبه : يا مدام رمى إليك بخبر سار، إن الدكتور
كنوك سيفارقنا، الدكتور بارباليد سيعود إلينا.

مدام رمى : [ترك الأطباء تكاد تهوى من يدها، ولكنها تلحقها قل
السقوط إلى الأرض ويحصها كرهرة على صدرها] آه..
كلا.. كلا... أقول لكم إن هذا لن يحدث أبداً
[إلى كنوك] اللهم إلا إذا خطفك ليلاً بطائرة،
وإلا فإنى سأبلغ النبأ إلى أهل البلد ولن
يتروك ترحل، وما أسهل عليهم أن يخرفوا
إطار سيارتك، أما فيما يتعلق بك أنت يا مسيو
بارباليد فإن كان هذا هو الغرض الذى جئت
من أجله فيؤسفنى أن أبلغك أننى لا أجد لك
حجره خالية عندى، وبالرغم من أننا فى عز
الشتاء فلا مفر لك من النوم فى العراء [تنحى إلى
مضدة لضع أطاقتها عليها]

الدكتور : [وهو فى شدة التأثر] طيب.. طيب.. إنها فضيحة
مخجلة أن يكون هذا هو شعور هؤلاء الناس

نحو رجل كرس لهم خمساً وعشرين سنة من
حياته، ما دام لم يبن في سان موريس محال
إلا للدجالين فأني أفضل كسب قوني بشرف
في لون، أكسبه بسرف وبوفره أيضاً، وإذا
كنت قد فكرت لحظة في أن أسترجع عيادتي
القديمه فلأن صحة زوجي وأقوالها بلا خفاء لم
يوافقها هواء المدن الكبيره، يا دكتور كنوك
دعنا نصفى الحساب في أقرب وقف لأني
سأرحل هذا المساء..

كنوك : حانسا أن ترضى إهانتنا، إن مدام ريمى في
دهشتها لسماع خبر هو في الحقيقه غير صحيح
وبسبب ما لحفها من ذعر أن تسقط أطباقها،
لم تستطع ضبط لسانها، إن كلامها لم يحسن
التعبير عن فكرها، وها أنت ذا ترى بنفسك
أن مدام ريمى بعد أن اطمأنت على سلامه
أطباقها قد استعادت سماحها وأصبحت
عينها لا تنطفان إلا بما تكنه لك هى وأهل
سان موريس جميعاً من عرفان بالجميل لهذه
الخدمة الصامه التى كرس لها حياتك بينهم
طوال خمسة وعشرين عاماً..

مدام ريمى : هذا أكيد، وعهدنا به دائماً أنه رجل طيب جداً،

وكان يؤدي واجبه بيننا كأى طبيب آخر
لو كان مكانه طالما كنا نحن فادرين على أن
نعبس فى غفلة عن مزايا الطب، ولم يكن فى
ذلك ضير إلا حين عم الوباء، فلن تزعم لى أن
طبيباً جديراً بهذا الاسم كان يترك هذا العدد
الوفير من الناس يموت فى وباء الحمى
الإسبانية.

الدكتور : طبيب جدير بهذا الاسم؟ أى كلام أصبحنا
نسمعه؟ أتظنن يا مدام ريمى أن يقدر طبيب
جدير بهذا الاسم على مقاومة وباء عالمى،
سأنك فى هذا تمريراً سأن من يطلب إلى قوة
غفر البلد مقاومة زلزال، فصبراً يا مدام ريمى
إلى الوباء القادم، لنرى إذا كان الدكتور
كنوك سيكون أكثر نجاحاً منى..

مدام ريمى : الدكتور كنوك: استمع إلىّ يا مسيو بارباليد
إنى لا أعمد إلى مجادلتك فى مسأله تتعلق
بالسيارات لأنى لا أفهم فى السيارات شيئاً
ولكنى بدأت أفهم ما هو المريض إذن أستطيع
أن أقول إن أناساً نجد الضعفاء منهم لائذين
بالفراس هم أقدر من غيرهم على أن يواجهوا
بفدم نابتة وباءك العالمى القادم، وكما قال

مسيو برنار منذ أيام في محاضراته: المصيبة هي
التعرض لمفاجأة تدهمنا كالرعد في سماء
صافية..

موسكيه . : يا عزيزي الدكتور إني أنصحك ألا تنر هنا
خلافات من هذا النوع. فإن مقام الطب
والصيدلة قد توطد واستتب بيننا وساع إدراكه
بين الناس، وأسأل من شئت بحجده خصماً عنيداً
لآرائك.

كنوك : ينبغي ألا تتوه في جدل مذهبي فقد تختلف مدام
رعى والدكتور بارباليد في الرأي ومع ذلك تظل
بينها رابطة طيبة [إلى مدام رعى] أليديك حجرة
للدكتور بارباليد؟

مدام رعى : لا توجد حجرة. فكما تعلم لا يأتى لنا أن
نجد مكاناً لكل المرضى، فإذا جاء مريض
فلعلنى أنجح في تدبير مكان وأفعل المستحيل
فإن هذا من واجبي..

كنوك : ولكن إذا قلت لك إن الدكتور بارباليد ليس
في حالة تمكنه من السفر اليوم بعد الظهر،
ولابد له من الوجهة الطبية أن يستريح يوماً
كاملاً..

مدام رعى : إذن الأمر يختلف، ولكن الدكتور بارباليد لم

- يأت لطلب الكسف عليه..
- كنوك : حتى ولو كان هذا غرضه، فإن واجب الكتمان
في مهنتنا يقتضي ألا أصرح بذلك علناً..
- الدكتور : ما الذى ترمى إليه؟ إننى سأرحل اليوم بعد
الظهر وهذا كل ما فى الأمر..
- كنوك : [يطر إليه] يا زميلى العزيز، إننى جاد فى قولى
لك كل الجد لا غنى لك عن أن تستريح لمدة
٢٤ ساعة، إننى لا أنصحك بالسفر اليوم،
وعند اللزوم سأمنعك من الرحيل..
- مدام ريبى : حسن.. حسن يا دكتور، إننى كنت لا أعلم
ذلك، وسنجد لمسيو بارباليد فراساً فاطمثن،
هل ينبغى قياس حرارته؟
- كنوك : سنتحدث عن ذلك وسيكاً [تنسحب مدام ريبى].
- موسكيه : أترككما برهة يا سادى [إلى كنوك]: قد كسرت
إبرة وسأذهب إلى الصيدلة لأخذ أخرى..

المشهد التاسع

كنوك - بارباليد

الدكتور : قل لى.. هل هو مزاح [صب صب] على كل حال إنى سأكرك لك إذ ليس مما ترتاح إليه نفسى أن أستأنف السفر هذا المساء لمدة سمانى ساعات [فتره صب] فقد ولّى السباب وأنا أعلم بحالى [صب] إن طريقتك فى الاحتفاظ بهيئة الجدل لما يدعو للإعجاب، فمنذ قليل كانت هيئتك نتم عن مكاشفتك لى بهذه الحقبمة [يهض] نعم فما نفعى علمى، إنك نمزح، ولا بصرى بخفايا أساليب الطبيب مع مريضه، نعم كانت لك هيئته ونظره وشعرت كأنك نفذت بهما تتفحص أعمق أحسنائى، آه هذه مقدرة خارقة..

كنوك : وماذا أفعل؟ إن هذا يحدث لى رغماً منى بعض السىء، فما أكاد أجتمع بإنسان إلا وجدتنى لا أتمالك نفسى من أن تتحرك لىسخيىص علتة تسخيىصاً مبدئياً، حنى لو كان عملى هذا لغوا

خالصاً وجهداً ضائعاً كله ولا مسوغ له.. [يسير
إليه وكأنه يكشفه سر] حتى بلغ بي الحال أننى
أصبحت منذ زمن أتحاسى النظر فى المرآة..
: ولكن هذا التشخيص ما تعنى به؟ هل هو
تشخيص عابى أم...؟

الدكتور

: ما معنى وصفه بأنه تشخيص عابى؟ لقد فلت
لك إننى إذا طالعت وجه إنسان، فإن نظرتى
ترمى رغماً عنى وبدون تفكير منى على
علامات، قد تخفى على العين حالة الجلد
والشعر وإنسان العين وسرعه النفس
وعلامات أخرى من هذا القبيل، وعندئذ أجد
جهاز استخلاص التشخيص المستقر فى
أعمافى يعمل من تلقاء ذاته، وينبغى لى أن
أضبط نفسى وإأصبح طبعى هذا سخيلاً..
: ولكن.. المسألة.. اسمح لى.. إننى أصر بطريقة

الدكتور

بلهاء قليلاً، ولكن لى دوافعى.. حينما فلت لى
إننى فى حاجة إلى راحة يوم كامل، هل كان
قولك من قبيل المعابطة أم...؟ ومرة أخرى
أقول إننى إذا كنت أصر على هذا السؤال فإن
مسلكى هذا يرجع إلى هموم قد تكون
تساورنى، فأنا لم يفتنى منذ زمن أن ألحظ أسياء

في نفسي، فأني متلهف جداً ولو من الوجهة النظرية البحتة أن أعرف هل جاء ملاحظاتي مطابقه لنتائج هذا التسخيص غير الإرادي الذي ذكرت أنه أصبح من طبعك.. : يا زميلي العزيز فلنؤجل هذا البحث الآن [قرع أجراس] الساعة تدق العاشرة، ينبغي لي أن أقوم بجولتي، وستناول طعام الغداء معاً إن أردت أن تبرهن لي على صداقتك أما عن حالتك الصحية، وما ينبغي اتخاذها فسنتحدث عنه بعد الظهر على مهل في عادي..

كنوك

[يبتعد كنوك - تنتهي الساعة من دى العاشرة - ناراليد عارو في التفكير وقد نهاوى على معد - يدخل سيبويون والخادمه ومدام رمى، يحملون أدوات طبيه مألوفة ويسيروا متتابعين في صف واحد تغمرهم أضواء عالم الطب]

[ستار]

لَطَائِرُ الْأَرْزَقِ أَجْدُوثَةٌ مِنْ عَالَمِ السِّحْرِ فِي سِتَّةِ فُصُولٍ

تأليف: موريس ميترلينك

مقدمة

موريس ميتزلنك.. والمسرح الرمزي

١٨٦٢ - ١٩٤٩

بقلم: عبدالرحمن صدقي

موريس ميتزلنك - البلجيكي موطناً، الفلامنكي محتداً ونسباً،
الفرنسي مقاماً وقلماً وأدباً - شاعر من أبدع السعراء في معانيه
وبانائه، وحكيم من أكبر الحكماء في زمانه، وهو غزير الإنتاج
متنوعه، نجمع مؤلفاته بين ما يستولى على عقول الخاصة من
المفكرين، وما يؤثر في فلوب السواد من جمهور القارئ.

وتأييداً لهذه الصفة المميزة التي أوردناها في مستهل هذه
التقدمة، نجد لزماً علينا إيراد الشواهد، وتكفيها منها هنا لضيق
المقام الإسارة إلى هذين المسالين من مؤلفات ميتزلنك، وهما من
جهة الموضوع جدّ مختلفين.

الأول مبحث في التاريخ الطبيعي، وهو كتابه عن «حياة
النحل» الذي ترجم إلى جميع اللغات وتكرر طبعه مئات المرات،

والكتاب صغير في حجمه، ولكنه لا حدّ لسحره، سواء عند المتخصصين من العلماء، أو من ليس لهم في هذا الخصوص ادعاء. والعجيب في أمره أنه حوى بين دفتيه من صميم حياة النحل أكثر مما تضمنته كتب البحث العلمي، من غير أن يحمل مثلها طابع البحث العلمي. ولا خفاء في أن السر في ذلك أن صاحب الكتاب حكيم وساعر، وقد صاحب النحل زهاء نصف قرن من الزمان لأنه من هواة تربيته، فهو قد اعتمد في كتابه على طول المساهدة والدرس، ولكنه فوفى ذلك كان في خلوصه إلى الحقائق يتلقاها بقلب العاشق، ويتعمقها بعقل الحكيم، ويرويها بلسان الشاعر. فلا غرو أن يسحر القراء كافة بما يفوله كأنه نفث سحر. وهو في ذلك ما تعدى قول الحقيقة وإنما أفاض عليها من حماسه وشاعريته، وعمق فهمه وسعة أفقه وصدق تشبيهاته، ما جعل الحقيقة تبدو كالحيال عجيبة بديعة.

أما المال الآخر فهو - كما سنرى - أبعد ما يكون عن البحث في التاريخ الطبيعي، لأنه مسرحية من بدائع الفن الرمزي، وهي بعينها التي بين أيدينا: مسرحية «الطائر الأزرق». وهذه المسرحية التي تعتمد المؤلف أن تكون على أسلوب قصص الجنّيات وهي المفروض أنها للأطفال، تتضمن خلاصة فلسفته. ولما كانت هذه الفلسفة للشاعر والكاتب والمؤلف المسرحي «موريس ميتزلنك»، هي مرة تجاربه النفسية ومطالعته وتأملاته

الفلسفية حتى كتابة هذه المسرحية عام ١٩٠٨ وقد تجاوز وقتئذ الخامسة والأربعين، فلا غنى عن لمحة خاطفة ولو كطرفة العين لمراجعة ما كان من أمره قبل أن يبلغ إلى هذه المرحلة من عمره.

كان الساب «موريس ميترلنك» في نحو الخامسة والعشرين من عمره، حين أخرجت المطبعة بواكير مؤلفاته عام ١٨٨٩، وأولها مجموعة أشعار بعنوان «الأكنان الدافئة Serres Chaudes» طبعت منها مائة وخمسة وخمسين نسخة إحدى دورالنسر في باريس. وهذه الأكنان تضم رقائق من الأزهار السعرية لا تمت إلى واقع الطبيعة، بل هي نظائر لها يبلغ من لطفها وشفوفها أنها تبدو وكأنها أطياف في المنام من نسج الأحلام، ومثل هذه الأشعار كثيراً ما تشغل الخاطر وتبر الشجون بما تنطوى عليه من الشعور الغامض والروح الحزين. وأمام هذا النزوع للخفاء والغموض، والهروب من الواقع المبتذل المحدود، مع غرابة التعبير من حيث التراكيب، والترديد بالذات لبعض الجمل أو المفردات، وتعمد الإيقاع الجديد، لا يمكن أن يخفى على القارئ تعرف سمات ذلك الفريق من الشعراء الذي منه «جوستاف كاهن Gustave Kahn» و«شارل موريس Charles Morice» و«لافورج Jules Laforge» وغيرهم من شباب الفنانين المنتمين إلى مدرسة الشعر الجديد، مدرسة الرمزيين التي رفع لواءها «بودلير» و«مالاربييه» و«رامبو» من متقدمي الأعلام المشهورين.

كذلك طبع الشاعر البلجيكي الساب بعد أسهر من طبع مجموعته أسعاره في باريس، مسرحية بعنوان «الأمبره مالبين» «Le Princesse Maleine»، وقد تولى مع صديق له طبعها في وطنه بلجيكا بمطبعة تدار باليد قام هو بإدارة عجلتها في حجرة مربعة صغيرة في مكان كالإسطنبول ببلدته «غنت Ghent»، وكانت هذه الطبعة خاصة لا يكاد تتجاوز عددها الثلاثين نسخة. ولكنه لم يلبث بعدها أن طبعها في المطبعة الصغيرة نفسها في حدود المائة والخمسين والخمسين نسخة وهي الحد الأقصى الذي لم يكن يتعداه سباب الكتاب في هذه المدينة القديمه تظاهراً بالدلال وتحديداً لقلّة الإقبال. وكان هذا العدد المحدود يدخل في عداد ما برسل عادة لنقاد الصحف والمجلات.

وكان المؤلف الساب مقبلاً في بيته الريفى في ناحية (أوستاكر Austacker) بالقرب من «غنت»، فانفق - في الرابع والعشرين من أغسطس عام ١٨٩٥ وهو جالس إلى المائدة يتناول فطوره - أن جاءته جريدة الفيجارو الباريسية، فإذا صفحتها الأولى مخصصة كلها لمقال بقلم ناقد الجريدة المسرحى الكاتب المعروف «أوكتاف ميربو Octave Mirbeau»، استهله بما بلى:

(إني لا أعرف شيئاً عن «موريس ميتزلنك»، لا أعرف من أن هو، ولا كيف هو. لا أعرف إن كان سيخاً كبير السن أو فتى في ربيع العمر، غنياً وافر المال أو فقيراً رقيق الحال، لا أعرف.

كل ما أعرف أنه ما من إنسان يجهله الناس أكر من جهلهم إياه، كما أعرف في الوف نفسه أن هذا الإنسان نفسه أنى بآية رائعة من الآيات، آية ليست من قبيل هذا النوع الذى تعد له البطاقة مقدماً باسم المعجزة من قبل ظهورها، كذلك المعجزات التى يطالعنا بها كل آن أسأدتنا من السبان، فتتغنى باسمهم وتلهج بذكرهم وتسبح بحمدهم على كل نعم من الأنعام، وبكل لحن من الألحان تلك القيارة الحديثة الضخمة، أو - بعبارة أصح - ذلك المزمأر الصاحب الجبار: الصحافة. كلا، إنها معجزة من نوع آخر، آية رائعة خالصة خالدة، آية تكفى وحدها لتخليد اسم صاحبها، وتقديس ذكره، عند جميع المنهومين المتعطشين إلى ما هو رائع وعظيم: آية كالتى حلم فى بعض الأحيان بتحفيها الفنانون السرفاء المعذبون فى لحظات الحماسة لفنهم، ولكنهم لم يحفوها إلى اليوم وأخيراً طلع علينا السيد «موريس ميتزلنك» بعمل من الأعمال الأدبية هو أعظم ما عرفه هذا العصر أصالةً وعبقريه، عمل يجمع بين أبداع الغراية وأعذب البساطة، حتى ليضارع بل أكاد أقول - إذا أسعفتنى الجراة - إنه ليفوق فى روعه جماله أجل ما فى سكسبير. هذا العمل الأدبى مسرحية اسمها «الأميرة مالن».

قرأ الشاب البلجكى مؤلف مسرحية «الأميرة مالن» هذا الممال فى الصحيفة الفرنسية، فلم يكذب يتمه حتى أحس انفجار سىء فى نفسه، انفجر سد من الفلق كان لا محالة يضيق به صدره

حين يساوره فيكاد يعترض انطلاق طبعه، ويعوق دون انفساح مجراه، وتدفق المحتبس من فيضه إلى مداه، والاطمئنان إلى جدواه. إن ما قيل عنه في صحف بلاده في ذلك الحين قليل ولا يكاد عند حسن التقدير يعدو هذا القليل: «ذاك البصيص الصغير الذى يتألق فى الأفق، لا يدرى أحدٌ بعدُ أهو بصيص مصباح صغبر أو نجم بعيد». أكان هذا القول وأمثاله فى صحف بلاده من شأنه أن يبعث الثقة فى نفس كاتب مجدد يريد أن يستقيم على طريقه ويطمئن إلى حاله؟ أين هذا من فورة الإعجاب فى مقال الناقد الفرنسى الذى لم يكن ليفوقه مقالٌ فى حماسة الاستقبال حتى لقد خيل إلى والد المؤلف فى دهسته من كل هذه المبالغه فى الاحتفاء أنها مفضوذة بها السخرية والاستهزاء بولده. ولكن المؤلف فى واقع الأمر كان جديراً بالثناء، وإنما المبالغه وحدها هى التى كادت تفوت على القراء مدلولها وتفسد أثرها.

وفى اعتقادنا أنه على الرغم من ذهاب الناقد الفرنسى فى حماسته للمؤلف الشاب البلجيكى إلى حدّ المقارنة بينه وبين سكسبير أعظم شعراء العالم، وتفضيله عليه مع الفارق الذى لا يُحدّ بين الاثنين، فإننا نحمد على الأقل لذلك الناقد المتحمس أنه فى ذكره شكسبير فى معرض كلامه عن الباكورة الأولى لمسرح «ميتزلنك»، قد أسلمنا طرفاً من الخيط الذى يؤدى إلى استكشاف جانب هام فى تكوين ميتزلنك نفسه ونشأة مسرحه.

ولقد كان مولد «موريس ميتزلنك» في التاسع والعشرين من أغسطس عام ١٨٦٢ في مدينة «غنت Ghent» الواقع في ملتقى النهرين (ليس - و - إسكو) بإقليم الفلمنك Flandres وفيها كانت نسأته حتى تجاوز الخامسة والعشرين، وهى مدينة قديمة من أجمع المدن لخصائص الإقليم، تتحدث جدرانها المسودة من قدمها بالماضى الحافل بالحياة، المزدهم بالذكريات، كما تستم رائحه الموت والإنحلال من الرطوبة المنبعثة من ذلك العدد العديد من القنوات. ثم هى أعمر ما تكون بالأديرة والمصانع فى وقت معاً، فهى مدينة أهل الصناعة العاملين وأهل الله المتصوفه الزاهدين. فلا غرو أن يكون لهذا الإقليم بجوه المعتم القاتم وبيئته الحسية الصافية، ما لا بد منه من الأثر الذى يتفاوت بحسب الملابس فى حساسه الأجيال المتعاقبة.

ولا بأس من أن نستشهد هنا بما يعرفه الجميع عن حياة كبير من أشهر مساهير التاريخ من مواليد مدينة «غنت» نفسها، وهو الإمبراطور سارلكان الذى اجتمع له فى العالمين القديم والجديد عظمه الملك الواسع الذى لا تغرب عنه الشمس، وجبروت الحاكم المطلق الذى لا معقب عليه، ومظاهر السلطان الذى ليس كملكه سلطان، فنزل فى عام ١٥٥٦ عن هذا جميعه إيثاراً لحياة النسك فى دير «يوس Yuste» غربى أسبانيا، وفى هذا الدير طلب قبل وفاته أن تُقام سعائر جنازته أمام عينيه فى حياته. هذا المزاج بعينه هو المزاج الغالب على إحساس «موريس

ميتزلتك» وتفكبره، في سعره وفي مسرحه وسائر مصنفاته على تعدد مباحثه واختلاف موضوعاته. ولما كان مدار الحديث هنا على مسرحه، فلا مندوحة من قصر الكلام على مسرحياته. وحسبنا لكى نبلغ الغاية أن نراجع مسرحياته الأولى، الطوال منها والفصار، كلها أو بعضها، لنرى هل الحياة فيها ما برحت على تكرارها هي الحكاية نفسها، حكاية يحكبها أبله معتوه، كلها ضجيج وصخب، ولا طائل من ورائها غير العذاب والتعب، ثم يطوى الردى أبطالها دون أن يعرفوا سرها أو يجدوا معنى لها؟ وهؤلاء الأبطال الفنانون أنراهم أجيالاً بعد أجيال، حين يسلكون مرحلة الحياة قصيرة كانت أو طويلة يسلكونها أجمعون عمياناً كانوا أو مبصرين، كالسارى الذى طال فى الليل سراه يردد هذا القول أو ما فى معناه، «أنا الإنسان النائه لا يدرى أبن هو ذاهب»؟

أجل إنها جميعاً نفس المأساة، مأساة القدر المتحكم فى الحياة كلها، فى سائر أمورها صغيرها وكبيرها، ليسلم الحناء - كل حياة - آخر الأمر إلى الموت الراصد منذ الصغر لها، المتربص بها، وهى أبداً شاعرة به وهو يحوم حولها، متوجسة منه، متجنبة له. وقد تحاول الحياة تناسى الموت والتغفل عنه، ولكنه لا ينساها ولا يغفل عنها لحظة، حتى تحب الساعة فيخمد أنفاسها وينتزع روحها، سيان كانت على انفراد وحدها، أو بين أهلها وأحبائها أو وسط الألوف المؤلفة المحتاجة إليها المتعلقة بها.

فهذه «الأميرة مالين» - في أولى مسرحيات «ميتزلنك» - صبيه كالزهرة الجنبية في رفتها وحسنها وبراءها، وهي وحدها بالليل في حجرتها، ولكنها مسهدة فلة، نحس أن خطراً تجهله يهددها، وفي الواقع كان هنالك قتله لا تعرفهم أثمروا لسبب لاتعرفه على قتل الأميرة الصغيرة، أنهم على السلم السرى المؤدى إلى باب خفى في جدار من جدران حجراتها. إنها تجهل كل نسيء عن هذا الممر الخفى، وتجهل أمر الفتلة كل الجهل، ولكنها تعرف أنها الليلة هالكة، يحس أن الموت قريب منها. أهى تلك الخطوة البعيدة التى خيل إليها أنها سمعتها؟ لكم سمعت ملها كل ليلة فى نواحي القصر. ولكنها فى هذه الليلة رهيبه خيفة مروعة كأنما تؤذن بالسرى. إن هذا السرى آت لا محالة. إنها لتسعر بوجود غير منظور، غير منظور، ولكنه حقيقى إلى حد قطع إنه يرعبها فيجمد الدم فى عروقها. ويطول موقف الأميرة على هذه الحال، فإذا بنا نعيش فى عالم الخوف معها، لا إسفاقاً عليها من القتل المؤتمرين على قتلها، بل على أنفسنا من الأعداء، من القوى المجهولة التى تنصرف بنا وتسوفنا كما نساء، وإلى حيث ساءت دون إرادتنا ومن غير علمنا.

هذه المسرحية «مالين» من الناحية الزمنية أولى مسرحيات «ميتزلنك»، وقد كان تأليفه لها تحب سماء بلدته قبل النزوح إلى باريس، وهى - على ما فيها من التردد الطبيعى - بمسابة النموذج الأول لما سيأتى فى أعقابها من عمل مسرحى، فنحن واجدون

فيها ذلك الإطار من المناظر التي يخلع عليها المؤلف مسحة خيالية لا تخلو من الغرابة والغموض، بحيث يبدو المكان كأنه في بلاد أسطورية مع شعورنا بحقيفته الواقعية. وهنا تطالعنا البحيرات هادئة ساكنة تكتنفها الغابات ذوات الأنشجار العاليه الساهمة، وعلى مسافة منها القصور القديمة، دهاليزها وأسرابها لا آخر لها، وأفبائها الضخام النفيلة كأنها على النفس جانمة، ومقاصيرها كثيرة الشقوق متآكلة من فرط الرطوبة، وحدثاتها المهمة ملتفة الشجر كثيفة الورق مظلمة. والصروح المحصنة بأبائها الفاخرة المتهمة، العامرة الموحشة تعيد إلى الذاكرة ذكريات ما شهدته في الأجيال المتعاقبة من ضروب التعذيب وفظائع الجرائم، مما أوقع الروع لا محالة في نفوس ساكنيها صغارهم وكبارهم، فهم نهب الهواجس والمخاوف يستركون فيها، على الرغم من فلة التفاهم بينهم للفاروق الكبير بين أعمارهم.. وإلى هذا كثير من أمثاله، وجميعه مما استوحاه المؤلف من مشاهد بلده القديمة، وما أفاده من خلال مطالعته وزاد عليه من تخيلاته.

في هذه المسرحية التي لم يفكر مسرح في تمثيلها، تظهر محاكاة «ميتزلنك» لشكسبير في كثرة المناظر وتعددها في كل فصل من فصولها، وفي ازدحامها بالشخصيات الملكية، وذلك المزاج بين العناصر الفاجعة والعناصر المضحكة، وفي الغراميات المتعارضة، وكل هذه التنبؤات والنذر قبل المقتله الختامية.

ولكن هذه المحاكاة للوحدات تقف عند حد الظاهر، لأن «ميتزلنك» في عرضه سخوص المسرحية وأحداثها لا يقصد إلى واقعيتها، فقد كان غير مؤمن بالفن الواقعي، بل هو راسخ العقيدة بأن الواقعية في عصره قد أخففت، ويرجع إخفافها إلى أنها اتجهت سطر صغار الحقائق - تلك الحقائق اليومية الغثة الهزيلة التي لا كنه لها، ولا كبر طائل وراءها - بدلاً من أن تحاول الاتصال بالحقيقة الكبرى، تلك الحقيقة الكامنة المستكنة وراء الأسياء كلها، أو بعبارة أخرى «تلك القوى الخفية»، وبأوجز لفظ «ذلك المجهول» فهو وحده الذى يعنى الفنان الرمزي بحيث لا يمل ذكره، ولا يستهويه غيره، ولا تشغله الظواهر عن أمره ومحاولة استكناه سره.

من أجل ذلك لا يكون من المستغرب أن ميتزلنك - أو شكسبير البلجيكي على حد ما سماه «ميربو» في مقاله الحماسي - لم يلبث أن أدرك أنه في غير حاجة إلى أصحاب العروش ذوى الهامات المتوجة، ومن حولهم الأمراء والحاشية، وكل ما هنالك - في مسرحية مالبين - من تلك العناصر الكثيرة المتنوعة، فضلاً عن ذلك التفنن في ابتداع الموضوعات الفاجعة. نعم أدرك ميرلنك أنه في غير حاجة إلى جميع هذا، إذ أن أبسط الحوادث العادية في الحياة اليومية يغنى عنه، وقد يكون أعمق أراً منه بل أوفى بالغرض لبلوغ المؤلف ما يريد في مسرحه الرمزي من إسعار الجمهور بما وراء الأسياء والأحداث من القوى الخفية

أو سلطان العدر، أو بالاختصار ما ينطوى تحت لفظ «المجهول».
وعلى هذا جرى المؤلف في مسرحياته التالية، وهى قصار فى
الغالب الأعم.

ونذكر من تلك المسرحيات الفصار مسرحية «الدخيل» من
فصل واحد ومن منظر واحد وهو غرفة مظلمة فى قصر قديم،
حيث يجتمع أسخاص المسرحية وهم الجد الضرر، والأب والعم
والبنات اللاب، ولا يُضىء الغرفة غير مصباح واحد ضوءه
خافت، والكل فيها يتهايمسون بصوت خافت كذلك، وهم جميعاً
واجمون مسهدون. وفى غرفة مجاورة ترقد تلك التى يفكرون فيها
وعنها يتهايمسون، المريضة التى يتهدد الخطر حباتها، ومن أجلها
كان اجتماع هؤلاء ومحاولتهم أن يطمئن بعضهم بعضاً، ومن هذا
القبيل ما كان يدور من المقال بين العم والأب: «إن طلعتها تبدو
منذ العصر على أحسن ما يرام، وهى تنام نوماً عميقاً الآن، فهل
ترانا ننقص على أنفسنا أول ليلة طيبة أتاحها الحظ لنا. من رأى
أنه يحق لنا أن نستريح، بل أن نضحك هذا المساء ولا نخشى
شيئاً».

ولكن الجد الضرير كان يستبد به الفلق، فلم يكن ليهديء من
روعه سىء. لم يكن يعنيه ما يقوله الآخرون. ذلك أنهم مبصرون،
والواقع الذى يبصرونه يحول بينهم ورؤية الحق. أما هو فقد
حجب العمى عن عينيه عالم الظواهر، فأصبح اتصاله بالعالم عن

طريق الحواس الباطنة. إنه الوحيد الذى كشف العمى عن بصيرته، فهو يرى قبل سواه كل سىء على حقيقته. أنه يحس بالخطر يزداد، والأجل يدنو من المريضة سريع الخطوات... ومنذ هذه اللحظة تتركز المأساة كلها فى السنيخ العجوز، فى تباريح لوعته التى تنعكس فى ازدياد واستداد على طلعتة، ويضاعف الأثر ما بشيع فى جو الغرفة من دواعى الفرع متوافداً من خارجها مصاعداً من أرضها، فتمه عصفة من الريح نهب سم تسكن، وسدو البلايل بنقطع ويسكن، ووقع خطوات خاطفه مرقن فى الحديقة، ولمحة من البستانى وهو يشحذ تحت جناح الليل منجله، وعسرات من التفاصيل لو سنحت متفرقة لما كان يؤبه لها، ولكن تكرارها منلاحقه تألف منه وعيد وتهديد بالخطر. عندئذ لم يستطع الجدد الضيرير إلا إظهار الفرع، حتى إذا جاءت لحظة أحس فيها الجدد الضيرير بين المجتمعين بوجود لم بسعروا هم بوجوده، نددت منه الصرخه المخنوقه. وفجأه ينفتح الباب ويغمر الغرفة فيض مباغت من ضياء. وتدخل ممرضة من الراهبات وترسم على صدرها إيساره الصليب التى يستدل منها أن المريض مات. ومع هذه المسرحيه نسر المؤلف فى سنة ١٨٩٠ مسرحية أخرى ملها عدد سخوصها اثنا عشر، ستة رجال وست نساء وكلهم عميان، ومن هنا سميت «العميان». وهؤلاء الخلق العميان نراهم فى الظلام وحدهم فى غابه من غابات الشمال تبدو عريقة فى القدم كأنها كانت هنا منذ الأزل، ومن فوفهم سماء غائرة النجوم، وهم

ينتظرون، ينتظرون من غير أمل، ولكنهم مع ذلك ينتظرون. إنهم في انتظار فس، رجل الله ومبعوث العناية، إنه نورهم الهادي ودليلهم المرشد، لقد كان يتقدمهم ويقودهم، ثم غاب عنهم وطال غيابه. وإنهم ليتحسسون طريقهم في الغابه بحسب عنه، وفجأة يقع في روعهم شعور مبهم تفشعر فيه أبدانهم، شعور بوجود شيء غريب عنهم لا يبصرونه ولكنه قريب. ولم يكذبهم حدسهم. إنه الموت، فهناك عند جذع الشجرة أسند الفس ظهره جثة هامدة.

والمؤلف مع هذه الصدمة القاصمة يشعرك بأن مقصده الأخير ليس هو الدعوة إلى اليأس، يأس الإنسانية من جدوى السعى والأمل في الهداية إلى سواء السبيل، فإنه برغم ذلك الاخفاى والفنيل، يسير إلى استمرار الإنسانية في الأمل، فإن الستار ينزل على أبطال مسرحيته «العميان» وهم لا يزالون ينتظرون.

هذا بعينه هو الذى مكن لمسرحيات «ميتزلنك» على ما فى حتمية وافعها الموحس المظلم اليائس المؤلم من رهبة وقسوة، أن تستهويننا بما لا ينفك يغمرها من فيض الحيوية وبهجة النضارة الفتية لفرط إيمان المؤلف بالحياه، وعمق شعوره بتلك الغريزة الكونية، غريزة الحياة الغالبة القوية التى أورت سائر الأحياء ما فيهم من قوة الجلد والعناد، كالذى نشهده فى النملة الصاعده على العود وهى تسقط مائة مره، وفى كل مره تعاود الصعود... أو مثل ذلك الإنسان الذى حكمت عليه الآلهة أن يدفع الحجر

الكبير إلى أعلى الجبل، فلا يزال الحجر كلما بلغ به إلى قمة الجبل يتدحرج إلى أسفل، وهو ماض مع ذلك في تأدية العمل الموكول إليه. ذلك أن الحياة لم تكن منذ كانت إلا كذلك بطبيعتها، وهذه إرادتها. ولا يكون الحى حياً في حياته إلا إذا استجاب - طائعاً أو كارهاً - لغريزتها، وعمل بإرادتها وإن جهل غايتها.

ولكن هذا كله لم يكن ليحجب عن «ميتزلنك» خاطر الموت، فقد كان هذا الخاطر يلزمه منذ حداته فلم يكف عن التحدث عن الموت في سحره وفي مسرحياته وسائر كتاباته، بصريح الاسم بآلة، وتارات أخرى بمختلف الكفايات، وجملة ما يقال آخر الأمر أن الموت كان عند «ميتزلنك» موضوع تفكيره طوال العمر، وأنه قضى السبعة والثمانين عاماً من حياته وهو في انتظار لقائه، لقاء ذلك الصاحب المجهول وجهاً لوجه.

ومع ذلك فقد وقعت في حياة «ميتزلنك» بعض تغييرات مادية وأخرى وجدانية يمكن أن يُردَّ إليها ما يلاحظ على مسرحياته التالية من تسرب نوع من الرجاء، كالتشعشع من الضياء في الليل الحالك.

ونذكر من تلك التغييرات المادية في ظروف حياته انتقاله من جو الشمال البلجيكي الغائم القاتم، إلى الجنوب الفرنسي المشرف الباسم في مدينة نيس أو على مقربه منها حيث كان يقضى معظم العام على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

ولكن هذا التأثر المادى لا يذكر إلى جانب التأثير
الوجدانى، ونعنى به تأثر المرأة، وبعبارة أدق وألطف: الحب.
كان ميترلنك لا يزال مقيماً في إقليمه الفلمنكى في بلجيكا حين
التقى في العاصمة البلجيكية في إحدى الليالى بالمرأة التى
أصبح رفيقة حياته ونجية نفسه وموضع سره نحواً من
العشرين عاماً، وهى السيدة الفنانة «جورجيت لبلان Georgette
Leblanc» وكان في ذلك الحين تغنى «تاييس» و«كارمن»
وغيرها من الأوبرات فى التياترو الملكى فى ميدان لاموناي Place
de la Monnaie الذى نحف به المقاهى والمطاعم على مختلف
أنواعها ويعتبر مركز الملهى فى العاصمة. وقد اتفق هذا اللقاء فى
دار محام من المحامين الكبار مشهور بدعوته إلى التجديد فى
الأدب البلجيكى، وكان الساب ميزلنك يزاول فى مكتبه المران
على المحاماة على كره منه نزولاً على إرادة والديه، وكان صاحب
الدار قد أعد مأدبة عشاء عنده تقام بعد الحفلة التمثيلية التى قدم
فيها مسرح دى بارك Theatre du Parc مسرحية «الأب» للأديب
السويدي اسرنبرج Strindberg وكان ميترلنك من المدعوين إلى
هذه المأدبة، فترك النحل فى بلدته نلبية للدعوة، فهو كعادته،
سيما الجد على سحنته، يلزم الصمت ويبدو كالحالم، مع نسيء من
الشعور بالقلق وعدم الارتياح كسأته فى المدينة. ولم يكن هذا
الصوب الوقور المستغرق فى التفكير ليخطر فى باله أنه فى هذه
الليلة سلقى فى شخص امرأة ممتازة مرموقة هى الفنانة

جورجيت لبلان ما أعدّه له المفدور. وكانت القاعة على حن بغتة قد سادت عليها لحظة صمت عميق، فإذا بها قد طلعت على الحضور، وهي تمشي الهوينى مسخّرة متهادية، وعلى جبينها حلية من الذهب كأنها نزاره السلطنة، ومن ورائها ينسحب نوبها المجرور الذي ينسف الأسماع بحفيف الحرير، وقد قام صاحب الدار بنهما بواجب التعريف، فبدت منها عند تقدّمه لها صيحة مقتضبة خفيفة، أما هو فقد رفع كالفروى بصره إليها مرتبكاً، وأحنى لها صعدته في غير لباقة، على حن ردت له التحية بانحناءة من تلك الانحناءات العميقة التقليدية، بدت فيها وكأنها الملكة السابة البزنطية من لطف تأديتها المراسم الملكيه، متمدة أن تضع في هذه الحركة كلّ براعتها التمنيليه، لتكون منها بمنابه تحية الفن للفن.

وفي أثناء العساء كان مير لنك يطيل النظر إليها دون أن يخوض في الحديث معها.

وكان مترلنك حن تم التعارف بينه وبين جورجيت لبلان مؤلفاً موفور الشهرة، عامر البدن بالعافية والصحة: ميسور الحال لا يعوزه المال، ومع ذلك فإن هذا الرجل الذي أنعم عليه بكل هذه الخيرات كان في دخيله نفسه يعيش طول وقته مع الموت والخوف والممل. ولقد دعا الفنانة الحسنة إلى بلدته «غنت» حيث أُولم لها وليمة فاخرة على الطريقة الفلمنكية، ثم خرجا للنزهة في الشوارع الغائمة القائمة المكتثبة، وكان مبر لنك قليل الكلام،

ولكنه أفضى مع ذلك بجوهر الكلام ولبابه، قال: «إني غير مؤمن لا بالسعادة ولا بالحب». فاحتفظت المرأة بهذا التصريح في سويداء قلبها، وآلت على نفسها لتعلّمه ذلك الفن الشاق، فن التسليم للحياة والاطمئنان إليها والتعويل عليها. فما انفضى القليل حتى كان قد كتب مسرحية تختلف عما سبقها كل الاختلاف، مسرحية لم يعد يعصف فيها عاصفُ الجزع والخوف، بل يسرى فيها نسيم الأمل والرجاء.

لقد كان مترلنك لا همّ له في مسرحياته إلا تمثيل القدر المحتوم على البشر في صور الشقاء والعذاب والموت وهي مقبلة علينا الواحد بعد الآخر في خطى نابذة يثنيها ويفت في عزيمتها أو يعتاق سيرتها أو يقف في مواجهتها فيسدّ طريقها ويحول بينها وبين فريستها، كانت هذه الفكرة مستبدة به مسيطرة عليه في المرحلة الأولى من تفكيره الفلسفي، فإذا به في المرحلة الثانية ينفذ عنه هذا التسليم للقدر، ويتحدث عن الصراع غير مكتفٍ فيه بما كان من ذلك التخبّط السلبي، تخبّط العاجز، الشاعر بعجزه في قبضة القدر. بل الصراع الحقيقي على مستوى البشر بين بعضهم البعض، والصراع الإيجابي بينهم وبين القدر على الرغم من علمهم بأن القوى غير متعادلة. ولا عليهم من ألا يكون لهم النصر في آخر الأمر. ويظهر هذا الصراع واضحاً في مسرحية «أجلافين وسليزيت» Aglavine et Sélysette عام ١٨٩٦ حيث يقوم الصراع بين المرأتين على رجل هو ملياندر

Méleandre وهو صراع كأسد ما يكون الصراع الحفيى، ولكن كفة إحداهما لا تلبى أن ترحح على كفة الأخرى لأن العلائق التى تربط بين «سلزيت» وهذا الرجل لست نسبياً إلا علائق سطحية على المستوى البسرى، فى حين يزداد ما يربط المرأة الأخرى «أجلافن» بهذا الرجل توفياً واستداداً فى قوة الارتباط، وتأبلاً وإيغالا فى الأعماق. وذلك أن انجذاب كل من الانبن - هذا الرجل وهذه المرأة بالذات - إلى الآخر غير مفسور على رغبتهما البسرية، بل من ورائها قوة خفية أقوى منهما: هى تلك الجاذبية الميتافيزيقية التى لا نعرف كنهها ولا نملك ردّها، ولا نستطيع غير الانقياد لها والنزول على أمرها.

ولا نحسبنا مخطئين إذا رأينا فى شخصه «أجلافن» شخص الفنانة «جورجيت لبلان»، فقد كان لفاؤهما على النحو الذى جاء وصفه فى المسرحية ثاماً فهما - كما جاء فى المسرحية - سواء فى المقابلة الأولى على غير موعد، أو فى الموعد الأول - لم يتبادلا إلا أبسط الكلمات وأكثرها تداولاً بين عموم الناس، فإذا بهما - مع ذلك - يسهران بأنهما لا غنى لأحدهما عن الآخر، ولا حياة له بغير صاحبه، وقد بلغت قمة الجذب بينهما أن دامت صحبتها نحواً من العشرين سنة. ولقد حرص المؤلف فى إر تأليفه لهذه المسرحية على الكتابة إلى الفنانة محدّثاً عن بطلته الجديدة، فبقول هذا الذى قال فى أول حديث بينهما: «إنى غير مؤمن لا بالسعادة ولا بالحب».. يقول اليوم (لقد حملت إلى «أجلافن»

ما لا عهد لى به. جوّ جديد وإرادة للسعادة وقوة على الرجاء).
ومنذ ذلك الحين دخل التغيير على مؤلفات ميتر لنك المسرحية
وغير المسرحية، حتى ليشعر القارئ لهذه المؤلفات بالنقلة المفاجئة
من الجو القاتم المتلبّد بالضباب إلى جو آخر تمزق ضبابه فعرف
الإسراق ودخل إليه النور مُشعِناً هنا وهناك في الآفاق، وكشفت
الأرض لنا عن بدائع ودائعها وأنفس كنوزها، فاكتست بالزهر
والرجحان من مختلف الألوان، وأخرجت لنا الأيام أبطالاً وبطلات
أقل خوفاً من الحياة وأكثر شجاعة وهمة.

ولا نقصد بهذا القول إلى أن ميتر لنك قد تخلّى عن فلسفته
وعن تفكيره الدائم في القدر والموت. كلا، فإن الشيء الذي تغيّر
لم يكن هو القدر والموت، وإنما هو نظرة ميتر لنك إليهما وطابع
شعوره بهما ولون تفكيره فيهما، حتى لنرى مؤلفنا المسرحى أميل
إلى جعل الشقاء والعذاب والموت في خلفية المسرح، وعرض
إرادة الحياة ونشدان السعادة في مقدمته.

وحسبنا للتحقق من ذلك جميعه أن نقابل بين المسرحيات التي
طلع بها علينا المؤلف في السنوات العشر الأخيرة في القرن الغابر
وهي مسرحيات المرحلة الأولى التي قدمنا للقراء عرضاً موجزاً
لموضوعها، وبين أشهر وأبدع مسرحياته في أوائل القرن الحاضر،
وهي «الطائر الأزرق» التي نستأذن القراء في أن نعفيهم من إيراد
خلاصتها فهي لا تغنى عن الاستمتاع الكامل بقراءتها في الترجمة
التي بين أيدينا.

وهذه المسرحية التي ضمنها ميزر لنك ما بلغه وهو في طور النضج من تطور في النظر والسعور والفلسفه، قد ساء له هذه المرة فنه - كما أنسرنا في مستهل كلامنا - أن يصبها في قالب قصة من قصص الجنيات. وقد يبدو هذا من عجيب الأمر. ولكن الأعجب هو أن المؤلف الفنان، بما حقق في هذه المسرحية من نجاح لم يتحقق له في غيرها، أقام الدليل على أن هذا الأسلوب - أسلوبها - هو الأسلوب الذي يناسب ما أراد عرضه على المسرح من بحب عن السعادة، تلك الضالة المنشودة التي افتدها في الطبيعة أبناء الأرض، وهؤلاء هم - في المسرحية - يبحثون عنها فيها وراء الطبيعة على نحو رمزي بدیع شاعری لا ينقل على النفس، بل يمر الخيال ويسكر الحس، وعن طريق الجمال والخيال يوقظ الذهن والتفكير.

ومسرحية الطائر الأزرق من خمسة فصول في عشر لوحات وقد كان أول عرض لها على المسرح في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٨ بالمسرح الفنّي في موسكو، ثم صدرت طبعتها الأولى في باريس عام ١٩٠٩، ثم منلت في ترجمتها الانجليزية على مسرح هاماركت Haymarket في لندن في ٨ ديسمبر عام ١٩١٠ ولقد شجع نجاح تمثيلها في الخارج على استقبال المسارح الفرنسية لها فكان أول المسارح التي فتحت لها أبوابها مسرح ريجان (وهو اليوم مسرح باريس) في الثاني من مارس سنة ١٩١١ وهي السنة التي حصل فيه على جائزة نوبل.

وبعد ما قدمناه من التعريف الوافي بهذا المؤلف من أعلام المسرح الرمزي «موريس مينرلنك»، وتحليل مسرحياته الرمزية في المرحلة الأولى نم في المرحلة التالية، مع عرض سريع للفكرة التي فامت عليها أسهر وأبدع مسرحياته الأخيرة؛ وهي «الطائر الأزرق» نرى لزماً علينا أن نحى الكاتب الروائى العربى الأستاذ يحيى حفى على ما اضطلع به من هذا التعريب الدقيق البليغ للمسرحية التى بن أيدينا، مع الحفاظ على خصائصها الجامعة بن الفلسفة والتصوف وروح الطفولة، حنى جاء تعريبه للنصوص من واقع أصلها، من حب الأمانة فى نفلها وحسن المطابقة لها، كصورة الحسنة فى مرآها فالیه نرف تحيات الشكر والتقدير على لسان قرائها.

عبد الرحمن صدقى

الفصل الأول

الطائر الأزرق

المنظر الأول: كوخ الحطاب

[المسرح على هيئة كوخ حطاب من الداخل، بسيط المظهر، ريفي الساء والمتاع ولكنه لا يسم بحال عن تعاسة العور والعاقة، مدفأة مستورة لأنها محمورة داخل الحدار، بها حطب يعصب ناره، آنية مطبخ، صوان، صندوق لحفظ الحن، ساعة طويلة موروثة عن الأحداد، تعمل نفالين، عجله معرل، حوض للفسيل إلح إلح، مصباح مصيء على منصده، أمام الصوان كلب في جانب وهرة في الجانب الآخر، كلاهما يرقد وقد تقص جسده وجمح أنه إلى ديله، وبين الاثنين فمع سكر كبير ملون بالتناوب بالأبيض والأزرق، ففص مستدير منبت على الجدار، به عصصور، في غيابة الكوخ ناهدتان، حصاصهما معلو، تحب إحدى الناهدين دكة من الحشب، على اليسار الباب الأمامى للكوخ، عليه مزلاج كبير، باب آخر على اليمين، سلم يدوى من الحشب، يؤدى إلى المخزن، على اليمين أيضا مهدان من الحشب، على رأسيهما كرسيان فوفهما نبات مطقة بعناية.

عد رفع الستار يرى الولد «تلتيل» والبت «ميتيل» يعطان في سب عميق في مهديهما، «ماما تيل» يحبك العطاء حولها وتسحى عليها تتأملها لحظة وهما نائمان، ثم تشبر إلى «بابا تيل» وقد أرر رأسه من الباب الموارب، فتضع «ماما تيل» سائتها على فمها لتفرض عليه بالإشارة التزام الصمت، ثم تخرج إلى اليمين وهى تنسئ على أطراف أصابعها، وكانت قد أطفأت المصباح أولاً؛ بغرق المسرح في الطلام برهة وخيرة، ثم

يتسلل من حصاص الباعدتس نور يزداد توهجه، يضاء المصباح ثابيه من تلقاء ذاته، ولكن نور يختلف عن بوره حين أطفأته «ماما تيل» - نم إدا بالطفلين كأهها هد استيقظا وجلسا في مهديها]

تيلتيل : ميتيل ! (١)
 ميتيل : تيلتيل ! (١)
 هو : أنائمة أنت ؟
 هي : وأنت ؟
 هو : كلا وها أنذا أكلمك فكيف أكون نائماً.
 هي : قل لي، هل اليوم هو يوم يجيء عبد الميلاد ؟
 هو : لم يحن ميجيئه بعد، إن موعده غداً، ولكن عمنا العيد لن يأتي لنا بنسء هذه السنة.
 هي : ولماذا ؟
 هو : سمعت أمي تقول إنها لم تستطع الذهاب للمدينة لتلفت نظره إلينا، ولكنه سيأتي في السنة القادمة.
 هي : أبعد موعده في السنة القادمة ؟
 هو : لا أقول إنه جد هريب، ولكن عمنا العيد سيأتي الليلة إلى الأطفال الأغنياء.
 هي : حقاً ؟

(١) اختصار للأسماء المتشابهة رأينا الإشارة إلى تيلتيل فيما بعد بكلمه (هو) وإلى ميتيل بكلمه (هي).

هو : أنظري، فد نسيث أمانا أن تطفئ المصباح،
عندى فكرة...

هي : ما هي؟

هو : هبّا بنا نقوم من فراشنا.

هي : هذا مُحَرَّم علينا.

هو : لا ضرر، فما من أحد يرفبنا، أترين خصاص
نوافذنا؟

هي : ما أبهى النور الذى يتخلّله.

هو : إنه نور الحفل.

هي : أىّ حفل هو؟

هو : أماننا، عند الأطفال الأغنياء، إنها سجره عيد
الميلاد، سنفتح النافذه.

هي : أمباحّ لنا أن نفعل هذا؟

هو : أىّ نعم، ما دمنا وحدنا. أسمعبن الموسيقى؟
فلننهض!

[ينهضان وبجريان إلى إحدى النافدتين ويصعدان فوق الدكة،
ويدمعان مصراعى النافذة فيعم الحجرة نور ساطع، يتطلع
الاثنان شغف للحارج].

نيلتيل : ملكنا رؤيه كل سىء.

ميتيل : [وقدمها لا يعوز إلا بوقفه غير مطمئنة على حافة الدكة]
أما أنا فلا أرى شيئاً.

- هو : البلج ينهمر، أرى عربتين يجرن كلاً منهما سته
جيا.
- هى : وينزل منها اننا عسر صباً.
- هو : يا لك من مغفلة! إنهن بنات.
- هى : لا أرى إلا سراويل تلف السفان.
- هو : نعم الخبيرة أنت بلبس البنات والصبيان!
لا تدفعينى هكذا.
- هى : لم أملك.
- هو : [وهو يحتكر الدكة لنفسه] أنت نحتابين الدكة كلها
بمفردك.
- هى : كيف وأنا لا أجد فوفها موضعاً لقدمي.
- هو : الزمي الصمت إذن، إني أرى السجره.
- هى : أى شجرة تعني؟
- هو : شجرة عيد الميلاد، أنت لا ترينها لأن نظرتك
مصوبة للجدار.
- هى : هو كذلك، لأنه لم يبق لي مكان فوق الدكة.
- هو : [وهو يتخلل لها بشخ عن طرف من الدكة] الآن هل
اطمأنت وقفتك وفزت على؟ يا لها من أنوار
فوق أنوار.
- هى : ماذا بفعل هؤلاء القوم الذين ينيرون كل هذه
الضججه؟

- هو : إنهم يعزفون الموسيقى.
- هى : أهم فى حدة من الغضب؟
- هو : كلا، وإنما عملهم مرهق.
- هى : ها هى ذى عربه أخرى مجرّها جياذ بيض.
- هو : الزمى الصمت واكتفى بالنظر.
- هى : ما هذه الحلية المذهّبة المعلقة بالغصون؟
- هو : إنها لُعب ولا ريب، سيوف وبنادق، وجند ومدافع.
- هى : والعرائس؟ هل هناك عرائس معلقة أيضاً؟
- هو : عرائس! إنها لُعب سخيّفه لا تروّفهم.
- هى : ما كل هذا الذى نر من فوق المائدة؟
- هو : كعك وفاكهة وفطيرة محنّوسة بالقسدة.
- هى : أكلت من أسالها مرة فى صغرى.
- هو : وأنا كذلك، إنه طعام ألذ من الخبز ولكن هذه الحلوى لا يُبذل لنا منها إلا بقدر ضئيل.
- هى : وليس هذا هو حالهم، إنها مبدولة لهم تغصّ بها المائدة. أسيأكلون كل هذه الحلوى؟
- هو : نعم ولا ريب، فماذا عساهم يفعلون بها؟
- هى : ولماذا لا يأكلونها من هورهم؟
- هو : لأنهم غبر جياع.
- هى : [وقد غلبتها الدهشة] غبر جياع؟ ولماذا؟

| | |
|----|---|
| هو | : لأنهم يأكلون منها متى أرادوا. |
| هى | : [ومى غير مصدفة] كل يوم؟ |
| هو | : هكذا يقال. |
| هى | : هل يأكلونها كلها ولا يجودون منها بسىء؟ |
| هو | : على مَنْ؟ |
| هى | : علينا. |
| هو | : إنهم لا يعرفوننا. |
| هى | : فلو سألناهم. |
| هو | : هذا غير جائز. |
| هى | : ولماذا؟ |
| هو | : لأنه عيب. |
| هى | : [ومى تصفّى مرّحاً] أوه، ما أجملهم! |
| هو | : [فى حماس] إنهم غارقون فى الضحك. |
| هى | : وهؤلاء الصغار الذين يرفضون؟ |
| هو | : نعم نعم، فلنرقص نحن أيضاً. |
| | [يتواثبان من المرح فوق الدكة]. |
| هى | : يا لها من بهجة. |
| هو | : الكعك يُقدّم لهم، إن أرادوا لمسة بأصابعهم |
| | فعلوا، إنهم يأكلون ويأكلون ويأكلون.. |
| هى | : حتى الصغار منهم، أكلوا من الكعك منى وبلاب |
| | ورباع. |

- هو : [وعد أسكره الطرب] يا لها من لده، يا لها من لذه.
- هى : [وهى ترمع فى الوهم أنها تعد قطعاً من الكعك] قد فزت أنا باننى عسره كعكة.
- هو : أما أنا فقد نلت أربعة أمثال نصيبك، على أننى سأعطيك منها.
- [«يدق باب الكوخ» تلتيل وعد حمد ويملكه الحوف، مخاطباً أحته].
- هو : تُرى من يكون الطارق؟
- هى : [فى رعب] إنه بابا..
- [وإذ يتوايان عن فتح الباب يشاهد مزلاحه العليط يرتفع من تلقاء ذاته، ويسمع له صرير، ثم ينشئ الباب عن امرأه عجور ضئيله تلبس نوياً أحصر وصدراً أحمر، هى حدياء عرجاء عوراء، أنفها تقوس حى لاس دهما، قمى بحيه الطهر تتوكأ على عصا، لا سبيل للعن أن تحطئ أنها جنية].
- الجنية : هل عندكم العسب الذى يدندن والطائر الذى لونه أزرق؟
- هو : لدينا عسب ولكنه لا يدندن.
- هى : تلتيل عنده الطائر.
- هو : ولكنى لا أفرط فيه.
- الجنية : ولماذا؟
- هو : لأنه ملكى.
- الجنية : هذا سبب وجيه ولا ريب، وأين هو هذا الطائر؟

- هو : [مشيراً إلى القمص] إنه في هذا الففص.
- الجنية : «تلبس نظّارها لتتفحص الطائر» إنه ليس مطلبى، ينبغي أن تذهباً لتبحنا لى عن الطائر الذى أريده.
- هو : ولكنى لا أدرى أين هو.
- الجنية : ولا أنا، من أجل هذا ينبغي البحر عنه، إننى أستطيع إذا يئست أن أتنازل عن العشب الذى يدندن ولكنى لأبُدّ لى من أن أجد الطائر الأزرق، إنه لازم لابنى الصغيره، هى فى شدة المرض.
- هو : وما مرضها؟
- الجنية : لا أحد يدرى حميمته، إنها تريد أن تكون سعيدة.
- هو : حقاً؟
- الجنية : أتعرفان من أنا؟
- هو : إنك تسبهين قليلاً حارتنا الست غُريية.
- الجنية : [وقد تملكها العضب فحاه] لا سبه مطلقاً، ستان ما بيننا، هذه إهانته بليغة، إننى الحنيه غراويه.
- هو : آه، صدّفنا كلامك.
- الجنية : ينبغي المضىّ فوراً.
- هو : ألسن آتية معنا؟

- الجنية : هذا مستحيل، بسبب الحساء الذى أفتحته هذا الصباح على النار فإنه يهدد بالفوران والاندلاق إذا ما غبث عنه أكثر من ساعه، [تشير بالتوالى إلى السقف والمدفأه والنافذة] من أين تريدان الخروج؟ من هنا أو من هنا أو من هناك؟
- هو : [وهو يشير تهيّب إلى الباب] الأفضل أن أخرج من هناك.
- الجنية : [وقد عاودها العصب المماحى] هذا مستحيل كل الاستحالة، ثم إن الخروج من الأبواب ليس إلا عادة سخيّه، [تشير إلى النافذة] سنخرج من هناك، وبعد، ففيم انتظاركما؟ ارتديا يابكما على الفور [يطيعها الاثنان، ويرتديان يابهما على عجل وتقضى الجنية قائلة] سأساعد ميتيل.
- هو : ليس لدينا أحذية.
- الجنية : ليس هذا بالمهم، سأهيكما فلنسوه صغيرة مدهشة، أين والداكما؟
- هو : [مشيراً إلى الباب الأيمن] إنهما هناك، نائمين..
- الجنية : وأين جدّكما وأين جدنكما؟
- هو : مات الاننان.
- الجنية : وإخوتكما وأخواتكما الصغار، أليس لكما أخوة وأخوات؟

هو : نعم نعم، لنا ثلاثة أخوة صغار وأربع أخوات صغيرات.

الجنية

: وأين هم؟

هو

: ماتوا هم أيضاً.

الجنية

: أتريدان رؤيتهم من جديد؟

هو

: نعم نعم، على الفور، الآن، دعينا نراهم.

الجنية

: إنهم ليسوا في جيبي، ولكن بختكما حسن،

فسيتاح لكما رؤيتهم وأنتما تعبران «أرض

الذكريات» في طريقكما إلى الطائر الأزرق، على

اليد اليسرى فور اجتياز ثلاثة مفارق، ماذا كننا

تفعلان حين دققت الباب؟

هو

: كنا نلعب زاعمين أننا نأكل الكعك.

الجنية

: وأين هو؟

هو

: في فصر الأولاد الأغنياء، تعالى أنظري، ما أبهائ

من مشهد [يحران الجنية إلى النافذة].

الجنية

: [ومى بالنافذة] ولكن أفواها غير أفواهكما هي

التي تأكله.

هو

: نعم ولكن يكفيننا أن نرى أكلهم من هنا.

الجنية

: أفى فلبكما مودة عليهم؟

هو

: ولماذا؟

- الجنية : لأنهم يأكلون الكعك كله، إنه لخطأ كبير منهم أن لا يبدلوا لكما شيئاً مما يأكلون.
- هو : لا يبدلون لأنهم أغنياء، ما رأيك في بيتهم؟ كم هو جميل.
- الجنية : إنه ليس أجمل من بيتكما.
- هو : هيهات! بيتنا أفل ضوءاً ورحابة.. وليس به كعك.
- الجنية : ليس هناك أقلّ فرق بين بيتهم وبيتكما، إنما أنت لا ترى.
- هو : بالعكس، إننى أحسن الرؤية، وعناى لا تنقصها حدّة البصر، إننى على خلاف أبى أتبين من بعيد عقارب الساعة فى فمة برج الكنيسة.
- الجنية : [تنصّ فجأة] أقول لك إنك لا ترى، قلّ لى إذن كيف ترائى؟ ما هو شكلى فى نظرك؟ [تلتيل يلود بصمت المتحرّج] هيا، أجبنى حتى أعرف إن كنت ترى، أنا جميلة أم دميعة؟ [تمتد الصمت ويزداد الحرج] ألا تريد أن تجيبنى؟ أنا صبيبة أم عجوز؟ وبسرتقى؟ أفى لون الورد أم هى مصفرة كالحة؟ ولعلّ لى أيضاً حدبة فوق ظهرى..
- هو : [وهو يسترصيها] لا، لا، إن حديثك ليست كبيرة.

الجنية : نعم، لى حديبه، ولكن دهسة نظرتك إليها تنبىء
أنك تراها آية فى الضخامة. ألى أنف معقوصه
وعين مفقوءة ؟

هو : لا، لا، إنى أتبينّ ذلك، ولكنّ منّ الذى ففأها ؟
الجنية : [وعد راد لملها] ولكنها ليست مفقوءة يا وقح،
يا لعين، إنها أجمل من أختها، هى أوسع وأصفى،
إن لونها فى زرفه السماء، وسعري هل تراه ؟ إنه
أسفر كسنا بل الفمخ بل قد يُظن أنه من
العسجد الخالص، ولى من هذا السعر بروه تنمل
رأسى وتفرض من كل جانب، ها هو ذا على
يدى، ألا تراه [تعرض عليه حديلتين بحيلتين من شعر
أشهب].

هو : نعم، إنى أرى جديلة من سرك.
هى : تقول جديلة ؟ إنها حزمة ملء الذراعين كالنبت
الملتف، هى ذوب عسجد، إنى عالمه أنّ بين
الناس نفر يزعم أنه لا يرى منه شيئاً، ولكنك
- فيما أوئل - لست من هذا النفر الأعمى
الخيث ؟

هو : كلا كلا، إنى أرى كل ما تكسّف للعين منه.
الجنية : ولكن ينبغى أن ترى بقبته بسطارتك المعهوده،
ما أعجب بنى الإنسان! منذ أن انقضى عالم

السحر قد طمست أبصارهم وخبت مداركهم،
ومن حسن الحظ أنني مزودة دائماً بكل ما يبيع
النور في العيون المنطفئة. فما هذا الذي أخرجه
من كيسى؟

هو : أوه، ما أجملها من فلنسوة صغيرة خضراء،
وما هذا الذى يبرق فى زرقاها؟

الجنينه : إنها الماسة الكبرى التى نورها هو جلاء العيون.
هو : حقا؟

الجنينه : نعم، حين تضع القلنسوة على رأسك تدير الماسة
قليلاً من اليمين إلى اليسار، مثلاً هكذا، أرايت؟
إنها حينئذ تضغط على عظم نافر فى الرأس
لا يعرفه أحد وهو الذى يفتح العينين.

هو : وهل سأحس بألم؟
الجنينه : على العكس، وانه سحر ستحسّ بلطفه، وفى
اللحظة ذاتها تتجلى لك سريرة الأشياء! سريرة
الخبز والنبيد والفلفل.

هو : وتتجلى لى أيضا سريرة السكر؟
الجنينه : طبعاً، إنى لا أحب الأسئلة الفارغة، إن سريرة
السكر لا تفضل سريرة الفلفل، والآن ها أنذا
أمنحكها كل ما تحتاجان إليه من أجل البحث
عن الطائر الأزرق ، إننى لا أجهل أن «خاتم

المُلك» الذى يحجب لا بسه عن الأنظار، وأن
البساط الطائر أنفع لكما، ولكنى أضعت مفتاح
الخزانة التى كنت خبأتها فيها، آه ! كدت أنسى،
[تشر إلى الماسه] حن تضع يدك عليها وتديرها
مرة أخرى فليلاً هكذا فسيتكشف لك الماضى،
ثم تديرها أيضاً فليلاً فيتكشف لك المستقبل،
إنها سىء عجيب نافع يعمل فى صمت.

: إن بابا سيأخذها منى.

هو

: إنه لن يراها، لن يقدر أحد أن يراها ما دامت
على رأسك. أتريد أن تجرب [تضع الفلسوه الصغيره
الخضراء على رأس تيليتل] والآن، أدر الماسه وانظر..

الجنية

[ما يكاد تيليتل يدير الماسه حتى يحدث تغير عجيب يشمل كل
الأشياء بغمته، وتنقلب الجنية المعجوز فجأة إلى أمره جميله رائعه
البهاء وتضىء حجارة الصوان المنية بها الجدران بلمعان
اليافوت الأزرق، وتصبح شفافه براهه مخطف الأنصار سأن
الأحجار الكرعة، الأثاث الفعر تدب فيه حياه داب بهاء،
المنصده المصبوعه من الخشب الأبيض تصح تنطق بالفوار
والمجد مثل منصدة من المرمر، ووجه الساعه يغير بعينه، وببتسم
بشاشة، على حين يفتتح غطاء دولابها الذى يتأرجح رفاصها من
ورائه ميمناً ويساراً ثم تنطق منه الساعات وهى مشبكه الأندى
محللة الضحكاك، وتأخذ فى الرفص على نغم حلو، وحن
لتيليتل أن يدهش].

: هاته الآنسان الجميلات، من هنّ ؟

هو

الجنية : لا تخف، إنهن ساعاب عمرك، هنّ في غمرة من
الحبور إذ ملكن الحرية والانكساف للأعين مدى
برهة ولو وجيزة.

هو : ولماذا تتلأأ الجدران؟ أهى من السكر أم من
الأحجار الكريمة؟

الجنية : كل الأحجار سواء، كل الأحجار كريمة، ولكن
الناس لا ترى إلا قلة منها.

[وإد يدور هذا الحوار بينها تتوالى لمسات السحر حتى تلعب كمال
غايتهما، وتبرز سرائر الأرفع على شكل أفرام في سراويل بلون
فشرة الخمر الحاف، سكارى من الدهشة، تاتر فوفهم الدقيق،
ويخرجون في صندوق الخبر فيدورون حول المصد في حطى
مرحة عابته فتعترضهم سريرة «النار» الى قفرت من المدفأه
وهى في سراويل أصمر وفمرى وتتلوى من الصحك وهى تطارد
سرائر الأرفع]

هو : وهؤلاء الأقزام الأمساخ، من هم؟
الجنيه : ليس أمرهم بالجلل، أنهم سرائر الأرفع
ينتفعون بسفور عالم الحقيقة ليخرجوا من
سجنهم فى الصندوق الضيق.

هو : وهذا العفرين الأحمر كرىه الرائحة؟
الجنية : اسكت، لا ترفع صوتك، إنها النار، وهى سرسة
الخلق.

[لا يقطع هذا الحوار توالى لمسات السحر، فإذا بالكلب والمهره

وهما نائمان مكوران إلى جانب الصوان يطلقان معاً فحاة صرحة عالية ثم ينشق تحتها غطاء سرداب ويلعبها فيختمان ويرر دلهما قرمان أحدهما يتلثم بقناع على هيئة وجه كلب من فصيلة «الولدوح» وقناع الآخر على هيئة وحه هرة، فإذا بالقزم الذى يلبس قناع الولدوح (وسكتفى فيما يلى بكلمة «الكلب» لتسميته) يرثى على تيلتيل يعاقبه ويرشقه بقبيلات هوح، ويعرقه حتى يشل حركته تمشحات رائطة متأحجة، على حين أن الفتاة القرم الملتمة بقناع الهرة (وسكتفى فيما يلى بكلمة «الهرة» لتسميتها) تشرع تمشط وتلعق يديها وتسوى شارها من قبل أن تقترب من ميتيل].

الكلب : [وهو ينح ويقفز وينعلت عيابه فيحيط كل شيء فى طريقه تهور لا يطاق] مولاي الصغير أهلاً، أهلاً بمولاي الصغير، وأخيراً، أخيراً، استطعت أن أتكلم، إن لدى أسياء كثيرة أود أن أقولها لك فلم يسعفى ويفصح عنى نباح ولا هزّ ذيل، وكنت لا تفهم عنى، أما الآن، أما الآن فمرحباً بمولاي، إلى أحبك، أحبك، أتريد أن أريك بعض ألعابى المدهشة؟ أن أقف وفقة المستجدى؟ أن أسبر على يديّ وحدهما؟ أن أرفص على قدميّ وحدهما؟

هو : [للحية] من هذا السيد الذى له وجه كلب؟
الجنه : ألا تدرك؟ إنها سريرة كلبك «تيلو» وقد استنقذتها أنت من الأسر.

الهرّة : [تمد إلى ميتيل يدا موقرة متهية] بحيه يا سنى،
ما أجملك هذا الصباح.

هى : بحيه سيدنى [إلى الحية] من تكون؟
الجنّيه : من السهل أن ترى بنفسك أنها سريره هرتك
«تيليب» الى تمد إليك يدها فامنحها قبله منك.

الكلب . [وهو يرحح الهرّة] وأنا أيضاً أريد أن أقبل مولاي
الصغير، وأقبل سى الصغيره، إنى أريد تفبيل
الجميع هنا، ما أسعدنى! سيطيب لنا هو كبر.
سأبدأ بأن أخيف تيليب، هاو، هاو، هاو [يسحها].
الهرّة : [للكلب] سيدى، إنى لا أعرفك.

الجنّيه : [هى تجرر الكلب بعصاها السحرية] أما أنت فالزم
الهدوء وإلا رددناك إلى عالم الصمب إلى يوم
القيامة.

[وفى عين الوفد تكون لمسات السحر ماصيه فى عملها، تنطلق
فى ركن المحرّه عجله «المعرل»، وتدور سرعه هوجاء، وتسبح
أشعه من ضياء ذات بهاء، يبدأ الصور فى ركن آخر يصغر
بصوت عال وتسعث منه بامورة مصيئه تملأ الخوض بدائل من
اللؤلؤ والياقوت، تغلب منها سريره الماء على هيئه فتاه سانه
تنساقط منها القطرات، شعرها مشعث ونشيجها مرتفع وتبدأ من
مورها عراكها مع سريره البار].

تيلتيل : ومن تكون هذه السيده المبلله؟

الجنية : لا تخف، إنها سريرة الماء قد انفلتت من الصنبور.

[يفلب إريق اللب ويضع من على المنصده ويتحطم على الأرض وينعث من اللس المراف شخص أبيض حجل كأنه يتهيب كل شيء حوله]

هو : ومن تكون هذه السيدة الخائفة التي طلعت لنا بقميص النوم؟

الجنية : إنه اللب وقد كسر إناءه.

[نرى قمع السكر أمام الصوان يأخذ في النمو ويزداد حجمه ويمزق ورق غلافه ويبعث منه شخص يصطبع الرفه وهو نادى النفاق، يرتدى معطفا ملوناً على التوالى بالأبيض والأزرق ويتقدم إلى ميتيل وعلى شفتيه ابتسامه ترعم التفى والورع].

ميتيل : [في قلق] ماذا يريد؟

الجنية : انه سريرة السكر.

هى : [وفد اطمأ] هل عنده حلوى «نبوت الخفير».

الجنية : ليس في جيوبه شيء سواها، وكل أصبع في يده «نبوت خفير».

[يسقط المصباح من على المنصده وما يكاد يفعل حتى يتصاعد وهجه على هيئة فتاة عذراء وصاه فائمه الجمال، محللها غلالات شفاهه براقه وتحمد في مكانها كأنها في وحد]

هو : إنها الملكة!

هى : إنها العذراء البتول.

الجنية : كلا يا أولادى، إنها بسمه النور.

[وإد يحدث هذا يرى الطواحي النحاسية على الرف وهى تدور على محاورها كلعبة النحلة، وينفتح باب الصوان على مصراعيه يدوى، ويلفط سبلاً رائعاً من أقمشه بعضها فى لون أشعة القمر وبعضها فى لون أشعه الشمس يحتلط بها سيل لا يقل روعة من الخرق والمرى يهبط على السلم من المحرن، ثم يقرع الباب الأيمن فحاه بدفات ثلاث عبيقة نوعاً ما]

هو : [فى خوف] إنه بابا، قد سمعنا.

الجنية : أدر الماسه من الشمال إلى اليمين [تيلتيل يدير الماسه بعنف] لا تعفرتها هكذا، يا إلهى! لقد تأخرنا فضاعت الفرصة من أيدينا، أنت أدرتها بعجله سديده، لن يبق لمن حولنا وفن للعودة إلى أماكنهم المألوفة، وسنلقى متاعب كبيره.

[ترتد الجنية إلى امرأه عجوز، تطفى حدران الكوح ضياءها، وتؤوب الساعات إلى مثواها، وتكف عجله المعزل عن الدوران، الخ الخ ويعم المكان هرح ومرج، وربكة، يحوب النار أرجاء المحرره فى حركة هوحاء لتسحب عن المدفأه، وإد تفعل ذلك نرى رعيماً يعجز عن الاندساس فى صندوق الحسرينفمحر نكاؤه وتدوى صرخاب فزعاً]

الجنية : ماذا حدث؟

الرغيف : لم يبق لى مكان فى الصندوق.

الجنية : [تنحى فوق الصندوق] بل فيه مكان، فيه مكان لك،

[تدفع الأربعة التى سمى فاحتلت مكانها القديم فى الصندوق]

هَيَّا، هَيَّا، اسرعوا، انتظموا، أفسحوا بينكم مكاناً.

[يدى الباب من حديد].

الرجيف : [وهو مرتعب مضجّع مجاهد عساً للدخول إلى الصدور]
لا وسيلة للدخول، سأكون أول ما يأكله.

الكلب : [وهو يتوانى حول تيلتيل] مولاي الصغير! إننى
لا أزال هنا، لا أزال أستطيع الكلام، لا أزال
أستطيع تفبيلك مرة، وبانبه، وبالنه.

الجنية : ماذا؟ أنت أيضاً لم تنصرف بعد؟
الكلب : إننى محظوظ إذ لم ألحق العودة إلى عالم الصم
فإن غطاء السرداب كان أسرع منى فانفقل
وبقيت.

الهرة : كذلك كان شأنى، ماذا سيحدث؟ هل ستواجهنا
أخطار؟

الجنية : يا إلهى! ينبغى أن أصارحكم بالحق، كل من
سيصحب الصبيين فى رحلتها سيموت عند
نهايتها.

الهرة : ومن لا يصحبها، ما مصيره؟

الجنية : يمتد أجله قليلاً.

الهرة : [للكلب] تعال نأوى إلى السرداب.

- الكلب : كلا، كلا، لا أطاوعك فإني أحب أن أصحب
مولاي الصغير وألا أكف عن مناجاته.
- الهرة : يا لك من غرّ أبله !
[الناب يدو مره أخرى]
- الرجف : [وهو يدرف دموعا ساحية] لا أريد أن أموت عند
نهاية الرحلة، أريد أن أدخل فوراً إلى
الصندوق.
- النار : [وهي لا تنفك تدور في الحجرة بحركة هواء وترسل أريرا ييم
عن كرها] لم أعد أجد المدفأه.
- الماء : [وهي تحاول عسا الرجوع إلى الصبور] لم أعد أملك
العودة إلى الصنبور.
- قمع السكر : [وهو يطوف باضطراب حول مرق علاقه] فد مزق
غلافى.
- اللبن : [فى سكينه وخل] وفد كسرت إبريفى الصغير.
- الجنبة : يا لهم من أغبياء، أغبياء جنباء، إن بقاءكم فى
صندوقكم الكريه وفى سراديبكم وصبوركهم
أفضل عندكم من مصاحبه الصبيين للبحث عن
الطائر الأزرق.
- الجميع : [ميا عدا الكلب وسمة النور] نعم، نفضل العوده
فوراً، إلى صنبورى، إلى صندوقى، إلى مدفأى،
إلى سرادى.

الجنبة : [إلى سمة النور وهي تصوّب نظرة حامله إلى حطام مصاحها]
وأنت يا بسمة النور ما هولك؟

بسمة النور : سأصحب الصبيين.
الكلب : [وهو يهتف بفرح] وأنا أيضاً، أنا أيضاً.
الجنبة : هذه تنبئة أفضل، على كل حال قد فات أوان
النكوص، لم يبق لكم خيار، ستخرجون كلكم
معنا. ولكن أنت يا نار، لا تفرّبي من أحد،
وأنت يا كلب، لا تتشاكس الهرة، وأنت يا ماء
اصلبي عودك وحذار أن تندلمى أينما حللت.
[لا يزال الباب الأيمن يدق بعنف].

تبلتبل : [وهو يتسمّع] هذا الدق مذ بدأ: هو دقّ بابا، إنه
نهض من فراشه وأنا أسمع خطوه.
الجنبة : لنخرج من النافذه. ستأتون جميعاً إلى بيتي
لأُخّير لكل حيوان ولكل شيء ما يليق به من
النياب، وأنت يا رغيف، خذ معك القفص لنضع
فيه الطائر الأزرق، ستكون حارسه المستول
عنه، هيا هيا، لنضع الوقت.

[تتسع النافذة فجأة وتصبح بمثابة باب فيخرجون منها جميعاً ثم
تعود إلى وضعها الأول وتقفل مصراعها وهي تزعم الرأه،
تعود الحجرة للظلام ويختفي المهدان في العتمة، يفتح الباب
الأيسر إلى آحره ويظهر في إطاره بابا وبابا تيل].

بابا تیل : لا سىء مريب، لم يكن إلا صرير الجنادب.
ماما تيل : هل فملك تبين أولادنا؟
بابا تيل : نعم ولا ريب، إنها نائمان فى هدوء.
ماما تيل : إني أسمع أنفاسهما.
[ينقل الباب].

[ستار]

الفصل الثاني

المنظر الثاني: بيت الجنية

[بهو فخيم في قصر الجنية غرباوية، أعمدة من المرمر لها تيجان من الذهب والفضة، سلام ومعايير وشرفات إلح إلخ. يدخل إلى عيانة المسرح من اليمين كل من الهره وجمع السكر والنار وهم في ثياب نديعة، إنهم خرجوا من حجره ترسل فيضاً من الأضواء، هي خزانة نيات الجنية، تلمعت الهره بغلاله بيضاء شفافه فوق مبيض لها من حرير أسود، وارتدى جمع السكر ثوباً من الحرير مزدوج اللون. أبيض وأزرق حائل، ولست النار معطفاً طويلاً فرمرى اللون، مبطناً بالذهب، وضعت فوق رأسها ريشه متعددة الألوان، مخترقون البهو كله طولاً حتى يبلغوا مقدمة المسرح فتجمعهم الهرة في مصورة].

الهره : من هنا، إنني خبيرة بكل مسالك هذا القصر الذي ورثته الجنية غرباوية عن صاحب اللحية الزرقاء، لقد ذهبت هي والصبيان لزيارة ابنتها، فلنغتنم في غيبتهم آخر دقيقة ننعم فيها بحريتنا، جمعتمك هنا من أجل أن نبحث معاً هذا الموقف الذي وجدنا أنفسنا فيه، فهل ينقصنا أحد؟ فجمع السكر : ها هو ذا الكلب يخرج من خزانة الملابس.

النار : عجبى! أى ثوب هذا الذى يرتديه!
 الهره : إنه اصطنفى لنفسه رداء الخادم الذى يحرس
 عربية ساندريلا، لعمرى لقد اختار ما يليق به،
 لأن له طبع الخدم، فلنختبئ في هذه الشرفة فإنى
 لتأخذنى من الكلب ريبة أعجب لها. والأفضل
 أن لا يسمع ما سأقوله لكم.
 قمع السكر : جهد ضائع فقد دلته حاسة السم علينا، انظروا
 ها هى ذى سريرة الماء تخرج أيضاً من خزانة
 الملابس، ما أبهى جمالها.
 [يلتحق بهم الكلب والماء]

الكلب : [وهو يتواء] انظروا انظروا إلى جمالنا وبهائنا،
 إلى هذه الدنتلا وهذه الزركشة، إن خيوطها من
 ذهب خالص، لا ريب فيه.
 الهره : [إلى الماء] يخيل إلى أن بوبك ليس بغريب على،
 لقد سمعت وصفه في أحدثثة للأطفال.
 الماء : نعم نعم، إنى وجدته فوق ذلك أليق الأنواب لى.
 وجهلت أن لابسة هذا التوب ينبغى أن تحمل
 مظلة لا تفارقها.
 الماء : لا أفهم، ماذا تعنين؟
 النار : لا سىء، لا سىء.

- الماء : [تهزأ بالنار وتعرض بأنفها] ظننتك تتحدبن عن أنف حمراء متورمة رأيتهما أخيراً..
- الهرة : هيا هيا، كفوا عن النقار والسجار، فأمانا سيء أفضل نفعله، أصبح لا ينقصنا إلا الرغبة. أين هو؟
- الكلب : هو يقيم الدنيا ويفعدها من أجل أن يختار بوبه.
- الهرة : حق لمن بدت بلاهته وبرز كرشه أن ينصب ويتخير..
- الكلب : وأخيراً اصطفى له طيلساناً من لباس الأتراك محلي بالفصوص وله خنجر وعمامة.
- الهرة : ها هو ذا قادم إلينا، إنه اختار أجمل رداء لصاحب اللحية الزرقاء.
- [يدخل الرعيف مرتدياً النوب الذي وصفناه هو طيلسان من الحرير قد ضاق بكرشه البارز فلم تتعد أزراره فوى بطنه إلا مشقة، للرغيف يد على مقبض الخنجر المثب على حزامه، واليد الأخرى ممسكة بالقفص المعد للطائر الأزرق].
- الرغيف : [وهو يرقص أمامهم في خيلاء وغرور] والآن، كيف ترونني في هذا الطيلسان؟
- الكلب : [وهو يتواثب حوله] ما أجمله! ما أسخفه.
- الهرة : [للرغيف] وهل ظفر الصبيان بنوين لها؟

الرهيف : كان من نصيب السيّد تيلتيل نوب « عملة الأصبع » سترة زرقاء وسروال أحمر، ومن نصيب الآنسة ميتيل توب ست الحسن والجمال وحذاء ساندريلا. ولكن المشكلة كانت في اختيار نوب يليق ببسمة النور.

الهرة : ولماذا؟

الرهيف : لأن الجنيّة أبت من فرط جمال بسمة النور أن تسترها بغطاء، فاحتججت أنا باسم كرامتنا نحن سرائر العناصر الأولى وباسم شرفنا الرفيع وأعلنت في النهاية أنني أرفض في هذه الأحوال أن أخرج في صحبه بسمة النور وهي عارية.

النار : كان ينبغي أن نستري لبسمة النور ظليلة (أهاجور).

الهرة : وبماذا أجابت الجنيّة؟

الرهيف : كانت إجابتها ضربات من عصاها على رأسي وبطني.

الهرة : ثم ماذا حدث؟

الرهيف : آمنت بحكمها صاغراً على الفور ولكن بسمة النور قررت في آخر لحظة أن تختار توباً لونه من ضياء القمر.

الهرة : كفى ترنرة، الوقت يتعجلنا، إن المسألة تتعلق بمستقبلنا. قد سمعتم ما قالته الجنيّة من أن نهاية الرحلة هي في الوقت ذاته نهاية عمرنا، فينبغي إذن أن نطيل ما أمكن من أمد هذه الرحلة، بكل حيلة نملكها، ثم هناك مسألة أخرى، ينبغي أن نغني بصير أجناسنا ومستقبل ذريتنا.

الرغيف : كلام جميل، الهرة على حق.
الهرة : انصتوا لي : نحن جميع الحاضرين هنا من حيوان وجماد وعنصر لنا سريرة لم يتبينها الإنسان بعد، ولذلك بقينا نتمتع بفضلة من الاستقلال ولكن لو عر الإنسان على الطائر الأزرق فإنه سيعرف كل شيء ويرى كل شيء، ونصبح جميعاً في قبضته، أسرى رحمته، هذا ما قالته لي صديفة قديمة هي فحمة الليل، إنها أيضاً حارسه أسرار الحياة. فمن مصلحتنا جميعاً أن نمنع - مهما كان الثمن - عشور الإنسان على الطائر الأزرق حتى لو اقتضانا الأمر أن نعرض حياة الصبيين للأخطار.

الكلب : [في حق] ماذا تقول هذه البنت؟ أعيدى قولك لو تكرمت لأتبين جليته.

الرجيف : سكوب! لم أعطك حق الكلام، وأنا رئيس هذا الاجتماع.

النار : ومن الذى أسند إليك الرياسة.
الماء : [لنار] سكوت. ما دخلك فى هذا؟
النار : أنا أتدخل حين أشاء، وليس لملى أن يعترض عليه مملك.

قمع السكر : [محاولاً المصالحة] من فضلكم، من فضلكم، ينبغي أن نكفّ عن العراك، فالساعة عصيبة، أماننا قبل كل شيء أن نتفق على خطة نتبعها.

الرجيف : إن رأى مطابق كل المطابقة لرأى قمع السكر.
الكلب : هذا سخف، لا تنسوا وجود الإنسان، هذه هى المسألة كلها، لا مفر لنا من طاعته والانصياع لرغباته، هذه هى الحقيقة التى ليس غيرها حقيقة أخرى، إننى لا اعترف إلا بالإنسان، فليحيا الإنسان! حياتنا ومماتنا ملك يديه، وفى خدمته، فالإنسان هو مولانا جميعاً.

الرجيف : إن رأى مطابق كل المطابقة لرأى الكلب.
الهرة : ولكن جُذ علينا بذكر مبررات فورك هذا.
الكلب : ليس هناك مبررات إلى أحب الإنسان، وفى حُبى كفايه، فإذا تأمرتم عليه فإنى سأخنقكم أولاً ثم أذهب إليه وأفضحكم عنده.

قمع السكر : [يتدخل بلهجة حلوة] من فضلكم، لا داعي لهذا

النقاس المرّ، هناك وجهه نظر تسوّغ القول بأن
كلّا منكما على حق، ولكل رأيٍ ما له وما عليه.

: إن رأيي مطابق كل المطابقة لرأي قمع السكر. الرغبة

: ألسنا نحن الموجودين هنا جميعاً، الماء والنار،

حتى أنت أيها الرغيف وأنت أيها الكلب، ألسنا

ضحانا اسبداد غاشم؟ اذكروا العهد الذي كنا

قبل مجيء الطغاة ننعم فيه بالحرية ونروح ونغدو

كما يحلو لنا على سطح الأرض؟ لم يكن للدنيا

من سيد إلا النار والماء، فانظروا كيف كان

مصيرهما.. أما نحن فلم نصبح على يد الإنسان

إلا سلالة هزيلة ممسوخة لأجدادنا العظام:

وحوش الغابات. اسكوا. انتبهوا. تصنعوا

البراءة كأنما لم نجتمع لأمر، فإني أرى الجنيّة

وبسمة النور فادمين نحونا، لقد انحازت بسمة

النور إلى صفّ الإنسان، إن بسمة النور ألدّ

أعدائنا، ها هما قد أهبلا.

[تدخل الحية من اليمين ومعها سمة النور وفي أثرها تيلتيل

وميتيل].

الجنية : وئى وئى، ماذا أرى؟ فيم اجتماعكم فى هذا

الركن المنعزل؟ حالكم ينبئ بأنكم تتأملون، قد

آن أوان البدء في الرحلة، وقد قررت أن تكون
بسمه النور فاندكم تطيعونها جميعاً طاعتكم لى
وسأستودعها عصاى السحريه، وسيزور
الصبيان هذا المساء أجدادهما الموقى ولا داعى
لمرافتكم لهما، حياءً من الفضول.. سيقضيان
هذه الليلة بين أحضان الراحلين من أسرتهما
فاغتنموا وقت غيابهما وأعدّوا العدة لرحله الغد
إنها ستكون مرحلة طويلة، هيّا، انهضوا، وابدأوا
العمل، كل واحد منكم فى وظيفته.

الهرة : [ساق] هذا هو عين ما كنت أقوله لهم
يا سيّدى، كنت أحبهم على أداء واجبهم
بحرص وحماس ولكن الكلب كان مع الأسف
لا ينفك يفاطعنى.

الكلب : ماذا تقول؟ مهلاً، مهلاً، (ويوسك أن يهجم على
الهرة ولكن تيلتيل يحدس نيّته فيصده بإساره
مهدّدة)

تيلتيل : ارعد يا تيلو، إذا عدت لهذه الفعله مره أخرى
فإنى..

الكلب : يا مولاي الصغير، أنت لا تدري، إنها هى التى..
هو : [وهو يرحره] اسكت.

الجنينه : كفى كفى، هيّا نفرغ من ترتيباتنا، على الرغبة

أن يترك القفص هذه الليلة لتيلتل فم الجائز
أن يكون الطائر الأزرق مختبئاً في طيّات الماضي
عند الراحلين من أسرته، إنها فرصة على كل
حال لا بحسن إغفالها، وأنت يا رغيف، هات
القفص.

الرغيف : [لهجة مراسيمية] ديفة واحدة من فضلك،
يا سيدتي، [يتحوّل إلى لهجة حطابية] إنني أتخذ منكم
جميعاً شهداء على أن القفص الفضّي الذي كان
في عهدي..

الجنية : [مقاطعة] كفى، كفى سنقسه، سنخرج من هناك،
أما الصبيان فسبخرجان من هنا.

هو : [وهو شديد التوجس] سنخرج وحدنا؟

هي : إني جائعة.

هو : وأنا أيضاً.

الجنية : [للرغيف] افتح طيلسانك التركيّ وافتطح لهما
سريخه من أطيب لحم في بطنك.

[يفتح الرغيف طيلسانه ويستل حصره ويقطع به من بطه
شريحتين كبيرتين يمنحها للصين]

فمع السكر : [يفترّب من الصين] اسمحالي أن أقدم لكما أيضاً
سيئاً من حلوى نبوت الخفبر [يكسر من يده اليسرى
أصابها الحمس واحداً بعد آخر ويمنحها للصين].

- هو : ماذا يفعل؟ إنه يكسّر أصابعه كلها.
- جمع السكر : [وهو يحبها بكرم] هيا، ذوقها، إنها حلوى بديعه،
نبوب خفير بحق وحقيق...
- الجنية : حذار يا ولديّ من الإفراط في أكل السكر ثم
لا تنسبنا أنكما ستتناولان العشاء بعد قليل عند
أجدادكما.
- هو : أهم هنا؟
- الجنية : ستربانها وسكاً.
- هو : وكف نراهم وهم موني؟
- الجنية : كف تقول عنهم موني وهم يعيسون في
ذاكرتكم، إن الناس لا يدركون هذا السرّ لأنهم
لم يبلغوا من العلم إلا قليلاً، أما أنت فستري
بفضل الماسة أن الموقى الباهن في الذاكره
يعيسون في هناء كما لو كانوا غير موني.
- هو : وهل سأتى بسمة النور معنا؟
- بسمة النور : من الألبق أن لا نفسد على الأسره خلوتها إذا
اجتمعت، وسأبقى قريباً فلا أظهر لهم حتى
لا أتهم بالفضول وقله الحياء، ثم لا تنس أنني لم
أتلو منهم دعوة.
- هو : من أى طريق ينبغي أن نذهب؟
- الجنية : من هناك، أنتما الآن على عتبة أرض الذكريات،

وحالما تدير الماسة ستري سجرة سامقة عليها
لافته فتفهم منها أنك قد وصلت ولكن إياكما أن
تنسيا العوده في الساعه التاسعة إلا ربعا، هذا
سء في غاية الأهمية، فاحرصا قبل كل سء
على العوده في الموعد المحدد، وسضيع كل سء
هباء إذا تأخرتما، فإلى اللقاء إذن، [تنادى الهره
والكلب وسمه النور إلخ إلخ] أنتم من هنا، والصبيان
من هناك.

[مخرج من اليمين مع سسمه النور ورمزه الحيوان إلح إلح
ومخرج الصبيان من اليسار]

[ستار]

المنظر الثالث

أرض الذكريات

[صباح كفيف، على اليمين في مقدمه المسرح حدع شجره بلوط صحمة، معلق عليها لافته، الضوء كاللبن المسكوب، عامض عمر شفاف تيلتل وميتيل عند حدع الشجره]

هو : هذه هي الشجرة.
 هي : وعليها اللافتة.
 هو : عيني لا تستطيع فراءها، انظرى، سأصعد فوق
 هذه الجذور، نعم، هي المصودة حقاً، فمكتوب
 عليها «أرض الذكريات».
 هي : وهل تبدأ هذه الأرض من هنا.
 هو : نعم، هناك رسم سهم ينير إليها.
 هي : ولكن أين جدّي وحدّي؟
 هو : من خلف الضباب، فلنصبر حتى نرى.
 هي : إني لا أرى شيئاً، بل لم أعد أرى يديّ وقدميّ
 [بلهجة مشاكه ساكبه] أحس بالبرد يقرصني، ولا
 أريد متابعة الرحلة، أريد أن أعود للبيت.

هو : سدّى حيلك، أهكذا دأبك، البكاء، كما تفعل
صاحبتنا الماء، ألا نخجلدن؟ فتاة شابة منلك؟
انظري، ها هو ذا الضباب ينفسع، وسنرى ماذا
كان يخفيه عنا.

[يبدأ الضباب فعلا في التموج، فيرق ويشف، ويتدد ويتحر،
ويحل محله ضوء يزداد سطوعه شيئاً فشيئاً، يتكشف تحت سقيفه
من الأغصان بيت ريمى صغير ينطق بالبشر، تغطيه نباتات
متسلقة، النوافذ مفتوحة، وكذلك الباب، ويرى مح عريشه
حلايا نعل، وأصص زهر على حافة النوافذ، وفصا به شحور
أسود هد أعى، وبحاب الباب دكه مجلس عليها شيخ وروجه
العحون، كلاهما مستعرف في يوم عمين هما الجد والجدّه.]

تيلنيل : [يعرفها فجأة] هذا جدّى، وهذه جدنى.
ميتبل : [تصفق طرناً] نعم، هو جدّى، وهذه جدنى.
هو : [ربعض الشك لا يزال يساوره] أحذرى، فلسنا ندرى
هل هما قادران على الحركة فلنختبئ وراء
السجرة.

[تفتح الجدة تيل عينيها وترفع رأسها وتتمطى وتنهّد، وترمى
الجد تيل وهو ينفلت من قبصه النوم قليلاً قليلاً..]

الجدة : فلبى يحدثنى أن حفيدينا سيزوراننا اليوم من
عالم الأحياء، لاسك.
الجد : لاسك أننا خطرنا على بالهما بدليل خفقان قلبى
وخدر سافى.

الحده : أظن أن وصولهما فد اقترب لأن دموع الفرح
تترافص أمام عيني.
الجد : كلا كلا، هما لا يزالان على بُعد وإلا لدبت
الهمه في بدني.
الجدة : أوكد لك أنها أصبحت بالقرب منا، فها هي فواى
تعود إلى كلها.

سليتيل : [وهما يدفعان نحوهما من رواء الشجرة]
وميتيل : ها نحن فد جئنا، ها نحن قد جئنا، يا جدّى،
يا جدّى. نحن حفيداكما، نحن حفيداكما.
الجد : ها هما قد وصلا. ألم أقل لك؟ كنت واثقاً أنها
سيحضران اليوم.

الحده : تيلتيل، ميتيل حفيداى [تحاول الهوض لتسقمهم في
اللواء] لا استطع الجرى فلم نفارفى الروماتزم.
الجد : [يحاول الجرى وهو يعرج] وأنا أيضاً عاجز عن
الجرى على سافى الخسبية، أين هي من سافى
التي انكسرت يوم سقطت من على سجرة
البلوط.

[يشارك الحفيدان والحدان في عناق حار].

الجدة : شدّ ما قوى عودك وثما ياتيلتيل.
الجد : [وهو يرتّب على شعر ميتيل] وميتيل، انظري إليها!

بربك ما أجمل سعرها، وما أجمل عنائها، سم
سذى عرفها، ما أطيبه!
الجددة : هيا نتعانق مرة أخرى، تعالا اجلسا فى حجرى.
وأنا؟ ألم يبق لى نصيب؟
الجد : كلاً كلا، أنا أولاً، كيف حال بابا وماما.
هو : على أحسن حال يا جدنى، كانا نائمين حين
خرجنا.

الجددة : [وهى ترممها ولا تكفّ تربّ عليها] تالله ما أبهى
جمالكم، وظرفكم ونظافتكم، وجواربكم غير
ممزقة، قد كنت أنا من قبل أقوم برفوها، لماذا
لا نواليان زيارتنا؟ فإن هذا سرنا كسرًا امد
نسيانكم لنا شهورًا طويلة، ولم نعد نرى أحدًا
منكم.

هو : لم نكن نقدرنا جدّتى، وإذا كنا قد جئنا اليوم
فذلك بفضل الجنبّة.

الجددة : نحن هنا دائماً نترقب من الأحياء زيّاره ولو
قصيرة، إنهم لا يحضرون إلا نادرا، فأخر مرة
جئتما فبها.. دعونى أتذكر، متى كانت؟ نعم
كانت فى عيد جميع القديسين حين كانت
أجراس الكنائس تدق أنغامها.

هو : عبد جميع الفديسبن؟ إننا لم نخرج ذلك اليوم
بسبب الزكام.

الجدة : نعم ولكن زارنا فكركما.

هو : نعم، كنا نفكر فيكما.

الجدة : في كل مره تفكران فبنا سستيقظ وبراكما من
جديد.

هو : كيف؟ أيكفى أن..

الجدة : بلا رب، أنت تعلم هذا..

هو : كلا، لا أعلم.

الجدة : [للجد] ما أعجب حال أهل الدنيا! إنهم

لا يعرفون هذا! هل عجزوا عن الإدراك..

الجد : كنا ملهم في عهدنا، ما أغبى حبيب الأحياء
عن الراحلين.

هو : أكننا نائمبن طول الوقت؟

الجد : نعم، نحن نبقي نائمبن ننتظر أن يمر ذكرنا ببال

أحد الأحياء فنستيقظ، ما أحلى النوم حين تولى

الحياه ولكن ما أحلى اليفظه أيضا بين الحين

والحين.

هو : فأنت لست بمين حقا، وكذلك جدتي.

الجد : [وهو يفر] ماذا تقول؟ ماذا يقول؟ ها هو ذا

ينطق بكلمات لم نعد نفهمها، أهى كلمة
مستحدده أم اختراع جديد.

هو : تعنى كلمة «مت» ؟
الجد : نعم هذه الكلمة ما معناها ؟
هو : معناها ينطبق على كل من انتهت حياته.
الجد : ما أغباهم أهل الأرض.
هو : أنتم فى راحة هنا ؟
الجد : لا بأس، لا بأس، وحبذا أيضاً لو أتيح لنا
التدخين.

هو : أغر مسموح لك به ؟
الجد : نعم، التدخين مباح ولكنى كسرت غلبونى^(١).
الجد : سنكون بخير إذا أكرتما من زيارتنا، أتذكر
يا تيلتيل آخر مرة أعددت لك فيها فطيرة
تفاح جميلة وكف أفرطت فى الأكل منها حتى
مرضت.

هو : لم أكل فطيرة تفاح منذ العام الماضى وليس
لدينا تفاح هذا العام.
الحد : كفى هراء، النفاح موفور هنا.

(١) يعلب هذه المقرفة من اسرحه الانجليريه لأنها فى الأصل الفرنسى وارده على
صوره لاتسى مع بقية الحوار.

- هو : الأمر يختلف.
- الجد : كيف يختلف؟ لا يختلف ما دمنا نتعاقق.
- هو : [وهو يقل نظره بين الحد والحدة] سكلك يا جدى لم يتغير، وكذلك جدى، بل قد زدتما وسامه وجمالا.
- الجد : لا بأس بحالنا، لم نعد نتقدم فى العمر فنكبر، أما أنتما فما كان أسرع نموكما، إنه نمو مليح. التفت إلى الباب، عليه علامه هياس طولك آخر مرة، يوم عيد جميع الفديسن، فلننظر الفرق، سد فامتك [تيلتل يستد إلى الباب ويشد قامته] الفرقه أربعة أصابع، يالها من طفرة هائله، [ميتيل تندد قامتها هى الأخرى] وميتيل؟ أربعة أصابع ونصف أصبع، ما أسرع نمو النباتات الشيطانية، عجبى لطولكما، عجبى لطولكما.
- هو : [يتأمل فيها حوله متعة واسهار] كل شىء هنا باق كما كان، كل شىء فى موضعه، وإن ازداد جمالا، هذه هى الساعة وعقرها الكبير الذى كنت كسرت رأسه.
- الجد : وهذا هو قدر الحساء الذى كنت كسرت طرفه.
- هو : وهذا هو الحرم الذى أحدثته بالباب يوم وقع المنقاب فى يدى.
- الجد : نعم، ما كان أكثر اتلافك، وهذه هى سجره

البرفوق الى كنت تحب تسلّقها حين أغيب..
إنها لا تزال تجود بنمر أحمر سهي.
: ولكنه ازداد جمالا.

هو

: وهذا هو الشحرور الهرم.. ألا يزال يغنى.

هى

[يستيقظ الشحرور ويطلق فى الغناء]

: رأييت؟ أنه يغنى على الفور حين يمر ذكره ببال.

الجدّة

: [يلحظ بدهشة أن الشحرور لونه أزرق] ان لونه أزرق،

هو

اذن هو الطائر الأزرق الذى ينبغي أن آتى

الجنية به، كىف سكتها عن اخبارى أنه عندها.

نعم. نعم. أنه أزرق اللون، يسبه الزرقاء من

الحبّات الزجاجية التى نلعب بها، [يستعطف الجدّ

والجدّة] يا جدى، يا جدتى، هل لكما أن تسمحا

باعطائه لى.

: نعم، ربما، ربما، ما رأيك يا ستيّ؟

الجد

: نعطيّه ولا ريب، فما نفعه هنا. لا صنعه له

الجدّة

إلا النوم، فلا نسمع له شذوّا.

: سأضعه فى ففصى، وىّ، أين هو ففصى؟ نعم،

هو

لقد نسيته خلف الشجرة. [يجرى إليها ويعود بالعص

ومحس فيه الشحرور] أحقا سمحتا به هدية

لا تسترد؟ ستسر به الجنية. أما عن بسمّة النور

فلا تسألنى عن فرحتها حين تراه.

المجد : ليكون في علمك أننى لا أضمنه، وأخسى أن
لا يألف من أهل الأرض اضطراب حياتهم
فيركب أولّ ريح يهب إلينا ويعود، على كل حال
سنرى ماذا يكون من أمره، أما الآن فدعه إلى
حين، وتعال نلقى نظره على خلايا النحل^(١).
هو : [وهو يلحظ خلايا النحل]: وكيف حال النحل.
المجد : لا بأس بحالها، لعل أهل الأرض يقولون عنها
ماتت أيضًا ولكنها لا تزال هنا تعمل بنشاط.
هو : [يمتد من الخلايا] نعم، أفى أستم رائحة العسل،
لا ريب أن الخلايا عامرة، فكل الأزهار هنا
جميلة، وشقيقائى اللآلى متن، أهن هنا أيضًا.
هى : وأسفائى الثلاثة الذين واريناهم التراب. أين
هم؟

[ما تكاد تنطق بهذه العبارة حتى يملأ من باب الكوخ واحدًا
إثر آخر سبعة من الأولاد محتلمون طولًا، يحمل كل منهم مرمار
(بان) رمز الطبيعه بين أرباب الأغريق وهو لا يرسم
إلا بمزماره].

الجدّة : ها هم أمامكم، حالما مرّ ذكرهم ببالكم أو ينطق

(١) تلمى نظرة على البفرة، هكذا فى الأصل والترجمة الانجليزية، وأطنها غلطه
مطبعيه للتشابه فى الفرنسية بين كلمة «بفرة»، وكلمة «خلايا» إذ لم يرد للبفرة ذكر فيها
بعد.

باسمهم لسانكما فإنهم يظهرن، ما أعز أولادى
جميعاً.

[تيلتيل وميتيل يحريان للقاء أحوتهن ويشيع التراحم والتعاقب
والرقص والدوران وهتافات الفرح]

هو : تعال يا بيرو، [يشد كل منها شعر أحيه] سنتعارك كما

كنا نفعل فى الايام الخوالى، وأنت يا روبير، أنعم
صباحاً يا جان، أين نحلثك التى تلعب بها؟
مادلين، بيريت، بولين، هاهى ريكيت.

هى : ريكيت، ريكيت، إنها لا تزال تحبو على اليدين
والقدمين.

الجدة : نعم، لم تكبر.

هو : [يلحظ الكلب الصغير وهو يسح حولهم] ها هو كيكى،
كنت قطع ذيله بمفص بولين. أنه لم يتغير أيضاً.

الجدة : [فى لهجة الحكيم] لا سىء يتغير هنا.

هو : ولا يزال على أنف بولين دملها.

الجدة : إنه ضيف نفيل، لا يرحل ولا نستطيع طرده..

هو : ما أبدع صحتهم وامتلأ أبدانهم وصفاء بشرتهم
وتورد خدودهم لا ريب أنهم ينعمون بطعام
وفير.

الجدة : صحتهم محسن مذ فارقتهم الحياة فقد نجوا من
معاناه الخوف والمرض والقلق.

[تدق الساعة في الكوخ ثمانى دقائق]

- الجدة : [في دهسة] ما هذا؟
- الجد : لعمري لست أدري، لا بد أنها الساعة.
- الجدة : هذا مستحيل، إنها لم تدق قط من قبل.
- الجد : نحن لم نفكر في الساعة، فهل فكر فيها أحد منكم.
- هو : نعم، أنا، كم الساعة الآن.
- الجد : لست أدري وربي، لم نعد نبالي بالوقت، وقياسه، لقد دفت ثمانى مرات، لا بد أنها الساعة الثامنة في حساب أهل الأرض.
- هو : إن بسمه النور تنتظرني في الساعة التاسعة إلا ربعاً، هذا هو أمر الجنية، إنه موعد هام فلا بد لي من أن أنصرف.
- الجد : أيرضبك أن تتركنا وقد حان موعد العشاء، فلنعد المائدة فوراً أمام الباب، من حسن الحظ أننى كنت أعددت من الكرنب حساءً بديعاً وكذلك فطيره برقوق.
- هو : ولم لا ما دممت ظفرت بالطائر الأزرق، تم إن حساء الكرنب لم أذفه منذ عهد طويل فهذا هو حال المسافرين مبلى، أنه طعام لا يقدم في الفنادق.

الجدة : ها هو الحساء، فد تمّ إعداده، هيّا إلى المائدة
يا أولادى، إن كنتم تستعجلون الذهاب
فلا تضيّعوا الوقت.

[أسعلوا المصباح وفد حل المساء وحلّس الأحفاد مع الحدين
حول مائدة العشاء وهم يتراحمون ويلكر بعضهم بعضاً ويعالّ
صحكهم وصيحات فرحهم]

هو : [ياكل سراقة] ما اللّذه من حساء، ياله من حساء
لذيذ، مزيداً منه، مزيداً منه.
الجد : يا للعب! اهدأ قليلاً، لا زلت كعهدي بك سبئ
الأدب، إنك ستكسر طبقك.

هو : [بهض صف ههوص من على مفعده] أريد المزيد.
[يمسك بالمدر ويسحبها نحوه فيقلبها ويدلق الحساء فوق
المائدة ويتساقط على ركب الأطفال ويحرفها فيصرخون من
الألم]

الجد : أرايب؟ ألم أحذرك؟
الجد : [وهو يهوى على حد تيلتيل بصمعة رناة] هذا جزاؤك..
هو : [يتحادل لحظة ثم يصع يده على خدّه متلداً] هكذا كانت
صفعاتك حين كنت تضربنا وأنت حى بيننا،
ما أبركها، وما اللّذه، ينبغى أن أقبل اليد التى
صفعتنى..

الجد : طيّب طيّب، عندى منها المزيد إذا أحبب.

[تدنى الساعه النصف بعد النامة]

هو : [وهو يمرّ] السامنة والنصف، [يمدو بالمعلقة] هيا، لم

يبقى أماننا إلا الوقت الذى يلزمنا.

الجد : أبجمل بك هذا، اصبر بضع دقائق، فبيتكم لم

يندلع فيه حريق، نحن لا نراكما إلا نادرا.

هو : كلا، لا أستطيع فإن بسمه النور طيبة القلب،

وقد وعدنا، هيا يا ميتيل، هيا.

الجد : عجبى للأحياء، لا يخرج من يدهم إلا إزعاج

الغير، متعللين بأسغالهم واصطراب أيامهم.

[ياخذ تبتيل القص ويدور على الجميع يعانهم بعله]

هو : الوداع يا جدّى، الوداع يا جدنى، الوداع

يا إخوانى وأخواتى، بيرو، روبير، بولبن، مادلبن،

ريكين وأنت أيضاً يا كيكى، إن مقامنا بينكم

قد آذن بالانتهاء، لا تبك يا جدنى، سأتى

لزيارتكم مراراً.

الجد : تعال كل يوم ومعك أختك.

هو : نعم، نعم، سنعود ما أمكننا.

الجد : هذا هو كل ما بفى لنا من أسباب الفرح، ويوم

بمر ذكرنا ببالكما هو عندنا يوم عيد.

الجد : هذه هي تسليتنا الوحيدة.
هو : البدار! البدار! أين الففص؟ أين الطائر؟
الجد : [يعطيه القفص] ها هو ذا، ليكن مفهوماً أنى لست
ضامنه ولا ضامن صدق لونه.
هو : الوداع، الوداع.
الإخوة والأخوات: الوداع يا تيلتيل، الوداع باميتيل، لا تنسيا
أن تجيئنا لنا بحلولى، عودا إلينا، عودا إلينا.
[يلوح الجميع لها بماديلهم على حين يتعد الصيَّان سطم
ويحدث أثناء المقرات الأخيره من الحوار السابق أن الصاب
الذى شاهدناه فى مطلع المطر يعود فينعد وتحت الأصوات
وتختفى المربيات كلها إلا تيلتيل وميتيل وهما واقعا والستار يهيم
بالرول عند شجرة البلوط الصحمة]
هو : من هنا الطريق يا ميتيل.
هي : أين بسمه النور؟
هو : لست أدري، [يضر إلى الطائر فى القفص] عجبى! لم
يبقى له لونه الأروى، أصبح أسود اللون.
هي : خذ بيدى فأنا فى سده الخوف والبرد.
[ستار]

الفصل الثالث

المنظر الرابع: قصر فحمة الليل

[هو فسيح رائع، له فخامة تطفى بالحد والصرامه ووفار الأخرجة، واشتركت مختلف المعادن في إقامته، بخيل لرائته إنه بإراء معبد إعرىمى أو فرعوى، أعمدته وعمودها وكذلك زيتته وكساء أرضه من المرمز الأسود، والذهب والأسوس، النهو على هيئة مستطيل صلعا الأفسان متواريان والأمامى أطول من الخلفى، وصلعا الحابيان عبر متوازين، درجات السلم الذى تتسلقه تكاد تشغل عرصه كله، وتقسمه إلى ثلاثة مسطحات تؤدى إلى عيانتة، الواحد منها يرتفع عن سانهه قليلاً، من الأعمده على اليمين واليسار أبواب من البرونز الداكن، وفي وسط النهو من ناحيه الخلف باب صخم من النحاس، لا يعم النهو إلا ضوء عامض كأنه مستمد في أغلغه من بريق المرمز والأنوس، وبرى عند رفع السار «فحمة الليل» على هبته امرأه رائعه الحمال ترتدى بوباً أسود طويلاً، حالسه على درج المسطح الناقى، تحف بها طفلان، أحدهما يكاد يكون عارياً شأن كوبيد رسول الحب عند الإغريق أما ثانيهما فواقف حامداً، تعطيه علاله من رأسه إلى أخمصيه، تدحل الهرة من على اليمين في مقدمه المسرح]

فحمة الليل : من القادم؟

الهرة : [وهى تنهاوى من الإعياء على درج السلم المرمى] أنا يا أمى، قد هدى التعب.

فحمة الليل : ماذا بك يا بنيتى، لقد بدا عليك السحوب والهزال وتلطنح بالطبن جسدك حتى سواربك

فهل عدت للعراك على الأسطح بين المزارب
بحت البلج والمطر؟

الهرة : ليس الشأن شأن أسطح ومزارب، بل شأن
جلل بهد السّر الذي بيننا. لقد نجح في
الهرب لحظة لأطير إليك بالخبر، ولكن أخسى
أن يكون الأمر قد خرج من بدنا.

فحمة الليل : ماذا نقولين؟ ما الذي حدث؟
الهرة : سلف لي أن حدثتك عن تبلتيل ابن الخطاب
وعن الماسة السحرية، إنه سبعضر إليك لطلب
منك الطائر الأزرق.

فحمة الليل : دعبه يجرى وراءه.
الهرة : ولكنه سيظفر به عما قريب إن لم نصنع معجزة،
سأفص عليك ما جرى، إن بسمه النور التي
تقود خطى تبلتيل ونخوننا جميعاً قد انضمت قلباً
وقالباً إلى صف الإنسان، وقد علمت بسمه النور
أن الطائر الأزرق الصادق لا الزائف والوحيد
الذي يقوى على العيش في ضوء النهار مختبئ هنا
بين أشباهه في اللون من طيور الأحلام التي
تستمدّ غذاءها من ضوء القمر ونموت حالما نرى
السّمس، وبسمه النور على علم بأن اجتياز عتبة
هذا القصر محرّم عليها ولكنها سترسل الصبيين

بدلاً منها، وإذا كنت أنت لا تستطيعين صدّ الإنسان عن فتح أبواب أسرارك فلا أدرى ما الحال. لأنه إذا حلّت النكبة وفاز الصبان بالطائر الأزرق فلا سبيل لنا إلا أن نختفى.

فحمة اللبل : يا إلهي، يا إلهي، ماذا جرى للعالم؟ في أي زمن أصبحنا نعس؟ لم أعد أنعم بالراحة لحظة واحدة وعجزت في السنوات الأخيرة عن فهم الإنسان. ما غرضه؟ أحتم له أن يعرف كل شيء؟ لقد نجح إلى اليوم في أن يهلك من أسرارى ثلثها، فالمخاوف التي أطلقها أصبح بدورها خائفة، ولا نجروا على الخروج للناس، والأسباح التي استخدمها قد هربت وأغلب الأمراض التي أنسرها قد أفعدتها العِلل.

الهرة : أعلم هذا يا أمي فحمة اللبل. وأعلم أن الزمن عصيب، إننا نكاد ننفرد وحدنا في خوض غمار المعركة ضد الإنسان، ولكن ها أنذا أسمع خطو الصبيين يقترب، فلا أجد أماناً إلا حلاً واحداً ينبغي - لأنهم في مرحلة الطفولة - أن نقذف في قلبيهما من الرعب ما يسلبهما السجاعة على المضى في سبيلهما أو على فتح الباب الكبير في نهاية البهو للوصول إلى طيور القمر التي نختفي

- وراءه. أما أسرار بنية الكهوف فهي كفيّلة بأن
تزيغ بصرهما أو تزلزل من الرهبة فليبيها.
- فحمه الليل : [وهي تسترّى السمع إلى صحنه في الخارج] ماذا أسمع؟ إن
الفاديين أكثر من اثنين.
- الهره : لا نخس شيئاً، إنهم أصدقاؤنا، الرغيف وفع
السكر، أما الماء فقد أفعدّها المرض والنار
عاجزة عن المجيء لأنها تمّت بنسب إلى بسمه
النور أما الكلب فهو وحده الذي ليس من
حلفائنا، وهيّهات لنا أن نهرب من ملاحفته.
[تيليتل وميتيل والرغيف وفع السكر والكلب يدخلون تنهيب
من اليمين عند مقدمه المسرح].
- الهره : [تسارع إلى التقدّم للماء تيليتل] من هنا، من هنا،
يا سيّدى الصغير، لقد أنبأت فحمه الليل
بمقدمكم وقد سرّها كل السرور أن تستقبلكم،
واعذروها إذا هي لم تسارع إلى باب المصّر
للحفاوة بكم فإن بها وعكة خفيفة.
- هو : طاب صباحك سيّدى فحمه الليل.
- فحمه الليل : [بصوت محو] طاب صباحي؟ هذا كلام
لا أستسيغه، وكان ينبغي أن يقول «طاب
ليلتك» أو على الأقل «طاب مساؤك».
- هو : [وهو دخل من دونه] عفواً سيّدى، كنت أجهل هذا

[يسر بأصحه إلى الطفلين الملامين لفحة الليل] أهما

ابناك الصغيران؟ ما ألطفهما.

فحمة الليل : نعم، الأول هو السبات.

هو : ولماذا هو جدّ سمين؟

فحمة الليل : لأنه يسبع من النوم.

هو : وهذا الآخر المتسر. لماذا يحجب وجهه؟

ما علنه؟ ما اسمه؟

فحمة الليل : إنها بنت، هي أخت السبات ومن الخير أن

لا أذكر لك اسمها.

هو : ولماذا؟

فحمة الليل : لأن اسمها تنفر منه الأذان، دعنا نتكلم في

مسألة أخرى، لقد انبأتني الهرّ أنك جئت

تبحث عن الطائر الأزرق.

هو : نعم سيّدتي، فهل لك إن أذنت أن تخبريني أين

هو؟

فحمة الليل : لا أعرف عنه شيئاً، يا صديقي العزيز، غاية

ما أستطيع أن أوكد لك أنه ليس موجوداً هنا

وأنني لم أراه قط.

هو : لا. لا. لقد أخبرتنى بسمّة النور أنه هنا. وهي

على ما تقول أمينة، فهل لك أن تعطيني

مفاتيحك.

فحمة الليل : ولكن يا صديقي الصغير أنت تدرك ولا ريب
أننى لا أستطيع أن أسلم مفاتيحي لأول فادم.
فإنى فبمه على كل أسرار الطبيعة وأنا مسئولة
عنها. ومحرم على كل التحريم أن أعهد بمفاتيحي
إلى أحد فما بالك إذا كان طفلاً.

هو : ليس لك الحق فى حجزها عن الإنسان إذا
طلبها، إنى على علم بهذا.

فحمة الليل : من الذى قال لك؟

هو : بسمه النور.

فحمة الليل : بسمه النور مرة أخرى، بسمه النور دائماً أبداً،
ما دخلها فى هذا؟

الكلب : أحب يا مولاي الصغير أن أنزع منها المفاتيح
عنوة؟

هو : الزم الصمت والهدوء وحسن الأدب [إلى فحمة
الليل] لا داعى للجدل سيّدى، اعطنى المفاتيح
من فضلك.

فحمة الليل : هل لديك العلامة على الأقل، أين هى؟

هو : [يلمس فمه فلتسوته] أترين الماسة؟

فحمة الليل : [وعد أسقط فى يدها] أمرك، ها هو ذا مفتاح كل
أبواب البهو، ذنبك على جنبك، إذا أصابك سرّ.
فإنى بريئة مما يحدث لك.

الرغيف : [في قلق شديد] أئمه أخطار؟
 فحمه الليل : أخطار؟ غاية القول أننى أنا نفسى لا أدرى
 كهب أسلم حين ننسئ بعض هذه الأبواب
 البرونزية عن الهوة، وراءها، فهناك حول البهو
 فى كل كهف من كهوف البازالت مجمع كل عله
 وكل بلاء وكل مرض وكل أنواع الرعب وكل
 المحن والأرزاء، وكل تدبير خفى يعانى منه
 الحياة. منذ الخليقة وليس إلا ببذل غاية الجهد
 إن استطعت حبسها فى مخائها بعون من
 «القدر»، وأؤكد لك أننى أجد أكبر المسفة فى أن
 أفرض شيئاً من النظام على هذه الكائنات
 الهوج المتمردة، فأنت سترى رأى العبن ماذا
 يحدث حين يهرب أحدها وينفلت إلى سطح
 الأرض.

الرغيف : إن بطاول عمرى وتجربتى وإخلاصى تؤهلنى
 بطبيعة الحال لأن تسند إلى حمايه هذين الصبيين،
 من أجل هذا، سيّدى فحمه الليل، اسمح لى
 أن أوجه إليك سؤالاً.

فحمة الليل : هاته.
 الرغيف : إذا حاق بنا خطر فمن أى ناحية نهرب؟
 فحمه الليل : لا وسيله للهرب.

هو : [يأخذ المفتاح ويصعد أول الدرج] لنبدأ من هنا، هذا

الباب البرونزي ما وراءه؟

فحمه الليل : وراءه الأسباح فيما أعتقد لقد مضى زمن طويل

منذ أن خرجوا حين فتحت لهم الباب آخر مرة.

هو : [يصع المفتاح في القفل] سأرى [إلى الرغبة] قفص

الطائر الأزرق. أين هو؟

الرغبة : [أسنانه تصطك] لا أقول هذا لأنني خائف ولكن

ألست ترى من الأفضل أن لا نفتح الباب وأن

نكتفى باختلاس نظره من نصب القفل؟

هو : لم أطلب مشورتك.

ميتبل : [تنفجر بالبكاء فجأة] أنا خائفة. أين قمع السكر؟

أريد أن أعود للبيت.

قمع السكر : [يمتد منها وهو مهموم لها ويحتف بها] إنني هنا بجانبك

يا آنسى، كفكفى دمعك، سأقطع أحد أصابعي

وأهيك حلوى نبون الخفير.

هو : فُضُوها وخلصونا،

[يدير المفتاح في القفل ويجذب الباب حذر وحالما يفعل تنفث

حمسه أو سته أشباح لكل منها هيئة عجيبة مختلف عن هيئة

الآخر، وتنتشر في كل جانب، يُلغى الرغبة من الرعب

بالقفص ويختبئ في غيابة البهو وتفوم فحمه الليل ببطارده

الأسباح وهي تصرح في وجه تيلتيل].

فحمة الليل : اسرعوا اسرعوا، اغلقوا الباب وإلا خرجوا جميعاً ولم نستطيع أن نقبض عليهم. إنهم في محبسهم يعانون الملل منذ أَلْف الإنسان أن يهزأ بهم [تطارد الأشباح وتحاول أن تسوقهم إلى باب محبسهم مستعينة بسوط على شكل أفعى] أعينوني، أعينوني، من هنا، من هنا.

هو : [إلى الكلب] أعنيها يا تيلو، هيا.

الكلب : [وهو يقفر وينح] نعم. نعم. نعم.

هو : الرغيف، أين هو؟

الرغيف : [من مخننه في غيابة البهو] إنني هنا، بجانب الباب حتى أمنع بقيتهم من الخروج.

[وحين يتقدم أحد الأشباح إلى ناحيته يراه يهرب منه جرياً وهو يطلق صيحات مرتعة].

فحمة الليل : [إلى ثلاثة أشباح قبضت على أعناقهم] أما أنتم فمن

هنا، [إلى تيلتل] وارب الباب قليلاً، [تدفع بالأشباح

إلى الكهف] لا خسر من بقائهم هناك، [الكلب يسوق

شبحين آخرين إلى المحبس] هيا ادخلا أنتما أيضاً، أنتم

تعلمون أن لا خروج لكم إلا يوم عيد جميع

القديسين [تقفل الباب].

هو : [يذهب إلى باب آخر] وماذا وراء هذا الباب!

فحمة الليل : وما جدوى بحبك؟ لقد فلت لك إن الطائر الأزرق لم يأت هنا قط، ولكن الأمر أمرك، افتحه إن كان هذا يروقك. ستجد من ورائه الأمراض.

هو : [والفتاح في القفل] أينبغي الاحتراس منها حين أفتحه؟

فحمة الليل : لا تتعب نفسك، إنها يا ولداه صغيرة مسكينة هادئة مستخذية لا تعرف طعم السعادة فإن الإنسان يسن عليها منذ زمن غاراته العنيفة وبالأخص منذ أن اكتشف الميكروب، فافتح إذن لترى بنفسك.

[تلتيل يفتح الباب على مصراعيه فلا يرى شيئاً].

هو : أهم لا يخرجون! : لفد سلف لى أن أخبرتك، فأغلبها قد أقعدته العلة وقلة الهمة، لأنها لم نجد في قلوب الأطباء أقل ذرة من الرحمة، فادخل لحظة فسترى بعينك.

هو : [ما يكاد يدخل حتى يخرج] لم أجد الطائر الأزرق، إن الأمراض بادية العلة لم تقو حتى على رفع رؤوسها.

[مرض صعر في مباله من نيات المنزل حف وعاءه وطافيه من
الطن مخرج ويذرع اليهو حيثه ودهاناً].

هو : انظروا، هذا مرض صغر فذ هرب، مَنْ هو؟
فحمه الليل : انه أصغرهم ولا خطر له، هو الزكام. إنه أفلهم
لقاءً للاضطهاد، وأوفرهم عافيه. [نادى الزكام]
تعال هنا يا ولدى، قد بگرت في الخروج قبل
أوانك، ينبغي لك أن تنتظر حلول الربع.
الزكام : يعطس ويسعل ويمسح أنفه ويعود إلى الكهف
فيغلق تبتيل بابيه.

هو : [يتجه إلى الباب المجاور] لنرَ حكايته، وما وراء هذا
الباب؟

فحمه الليل : احترس. وراءه الحروب، إنها بلغت اليوم ما لم
تبلغه من قبل من الضراوة والعنفوان، الله وحده
يعلم ماذا عسى أن يحدث لو هربت واحدة منها
ولكنها لحسن الحظ مفرطة البدانة من أتر
التخمة، بقلبه الحركة، فلنتساند جميعاً ونستعد
لصد الباب وأنت تواربه لتلقى نظرة عجلي إلى
ما وراءه.

[تبتيل يأخذ كل حذره وهو يوارب الباب بحيث لا ينفرح
إلا بأهل قدر يسبح له أن يصوب من خلاله نظره، فما يكاد يفعل
حتى يقوس ظهره من شدة الجهد وهو يصد الباب ويصرخ].

هو : أسرعوا أسرعوا أسرعوا، صدّوا الباب في وجوههم، قد رأيتني فأقبلت هاجمة على الباب تريد أن تقتحمه.

فحمة الليل : هيا بنا جميعا نصدّ عليها الباب بقوة، وأنت يا رغيف، ماذا دهاك؟ ماذا تفعل؟ تعال معنا نصدّ الباب جميعاً فما أسدّ فوّنها، ها قد نجحنا، إنها قد استسلمت، جاء نجاحنا في آخر فرصة، [إلى تيليل] رأييت؟

هو : نعم، ما أشدّ ضخامتها وما أبسّع منظرها، لا أظن أن الطائر الأزرق عندها.

فحمة الليل : لا ريب أنه ليس عندها، وإلا لكانت التهمته على الفور، هل قنعت الآن؟ ألس ترى أن لا جدوى من بحثك؟

هو : ينبغي أن أرى كل شيء، هذه هي وصية بسمّة النور إلى.

فحمة الليل : وصية بسمّة النور! ما أسهل الكلام على مَنْ يخاف ويقبع في داره.

هو : فلنمض إلى الباب المجاور. ما خبره؟

فحمة الليل : انني أحبس وراءه أصناف الدياجير والرعب.

هو : هل أستطيع أن أفتح الباب؟

فحمة الليل : كل الاستطاعة، فإنها على شئء من الهدوء، شأن الأمراض.

[تيلتيل يفتح الباب تتوجس ويحارف نظرة إلى ما وراءه].

هو : لا أرى شيئاً. إنها ليست وراء الباب.

فحمة الليل : [تنظر بدورها إلى الكهف] يا بنات الدياحير، ماذا تفعلن فلتخرجن إذن قليلاً، ففي الخروج متعة لكنّ تفكّ عنكن تجمّد أوصالكن، ويا بنات الرعب، لا تخشين شيئاً.

[تخرج بنات الدياحير وسات الرعب، الجماعة الأولى في ثياب سود، والجماعة الثانية في ثياب بييل لونها إلى الاخضرار، ويتلمس بذلة خطوة هن قصيرة خارج الباب فإذا صدرت من تيلتيل حركة غير متعمدة يسرعن إلى دخول الكهف]

فحمة الليل : ماذا أصابكن، تجلّدن قليلاً، فليس هو إلا صبيّ لا يخرج من يده إيذاؤكن، [إلى تيلتيل] قد بلغ التهيّب عندهن ذروته، اللهم إلا كبرياتهن اللآتي تبصرهن في غيابة الكهف.

[تيلتيل يصوب نظره إلى غيابة الكهف]

هو : ما أبشع منظرهن.

فحمة الليل : إنهن مقيدات بالسلاسل، هن وحدهن اللآتي لا يخفن من الإنسان، أقفل الباب وإلاّ نار غضبهن.

هو : [يتعل إلى الباب المحاور] هذا باب يخبم عليه الظلام،
ما خبره؟

فحمة اللبل : وراءه أصناف من الأسرار، فإذا لم تعدل عن
إصرارك فلك أن تفتح الباب ولكن إياك أن
تدخل، وكن أسد حذرا، ولنستعد نحن جميعا
لصد الباب عليها كما فعلنا مع الحروب.
[تيليل يوارب الباب بحدرد شديد ويمد بحوف رأسه من خلال
الفرجه]

هو : وئ، ما أسد البروده، إنها تلسع عيني، أسرعوا
إلى الباب فاغلفوه، صدوه لإحباط جهد من
يدفعه، [فحمة الليل والكلب والهره وبامى الزمره يصدون
الباب] آه، قد رأيت..

فحمة الليل : ماذا رأيت؟
هو : [وهو مضطرب] لا أدري، إنه سىء مرعب، كن
جميعا جالسات كالأصنام التى لا عيون لها. من
كان هذا العملاق الذى أراد إمساكى؟
فحمة الليل : أظنه هو الصمت لأنه حارس هذا الباب،
لا ريب أنك رأيت شيتا مرعبا فلا زلت
لا يفارفك شحوبك وارتعاشك.
هو : نعم، رأيت شيتا لم أكن أتصوره، شيتا لم

يصادفني فط من قبل، إن يدِّي فد جدتا من
الصقيع.

فحمه الليل : سيحيق بك عما قريب بلاء أسدّ إذا مضيت في
بحبك.

هو : [يتمل إلى الباب المحاور] وهذا الباب.. أمن ورائه
أيضاً سيء مخيف؟

فحمه الليل : كلا، ورائه خليط من أسياء كبيرة، إنى أحتفظ
وراءه بالنجوم الخامدة، وعطوري المفضلة،
وبعض أصناف من الوميض الذي أختص به
وحدي كومض السعالى ووميض الدود المنير
واليراعة المضيئة وأضم إليها أيضاً قطر الندى
وأغنيه الليل وما إلى ذلك.

هو : نعم قصدى أن أرى النجوم الخافية وأغنيه
الليل كما تزعمين، لا ريب أن هذا هو بابها.
فحمة الليل : افتحه إن شئت فليس لمن وراءه سرّ يصيب
أحدًا.

[تيلتل يفتح الباب على مصراعيه وما يكاد يفعل حتى تنقلب
المحوم من المحبس على هيئه فتيات رائعات الجمال، يجللهن
وميض منوع الألوان، وتنتشر في الهو وتؤلف على الدرج
وحول الأعمدة حلقات دات ظرف وحسن، يغمرهن ضوء مثل
صوه الغسق، ثم تبدأ في رقصة دائرية، وتلمن أيضاً عطور
فحمه الليل على هيئة أطيايف رقت حتى تكاد العين لا تراها،

وبفلت كذلك وميض السعالى والبراعة المصينة وقطر الندى
الشفاف وتنضم إلى ساقاتها، على حين تبعث من الكهف أغنية
الليل وتغوب أرجاء قصر فحمة الليل]

ميتيل : [وهى تصفق مايبهار] ما أجملهن من فتيات.
هو : ما أبرع رقصهن !
هى : وما أطيّب عرفهن !
هو : وما أحلى غناءهن.
هى : ومن هى هذه الأطياف التى تكاد لا تراها.
فحمة الليل : هى عطور ظلالى.
هو : وهاتيك اللاتى يشبهن سبائك النور الصافى، مَنْ
هُنَّ ؟

فحمة الليل : إنهن جماعة قطر الندى الذى تألفه الغابات
والسهول ولكن آن للوهن أن ينقضى،
سيتمادين فيه فلا يفرغن منه أبداً، إنهن إذا
أخذن فى الرقص فلن أفلح إلا بعد مشقة بالغة
فى سوقهن إلى المحبس من جديد [تدعوهن إلى
الانصراف بدق كفّ على كفّ] هيا هيا أسرعن
يا نجوم ليس هذا أوان الرقص فالسما قد
حجبتها سحب كثيفة، هيا هيا أسرعن ارجعن
جميعاً، وإلا ذهبت أتصيد شعاعاً من الشمس.
[النجوم والعطور تهرب فى رعب وتهرع إلى الكهف فيقتل
عليها الباب وتنقطع أغنية الليل].

هو : [يتحه إلى الباب الكبر في عيانة الهو] هذا هو الباب

الكبر، باب وسط البهو.

فحمة الليل : [بجدّ لا تفتح هذا الباب.

هو : لماذا؟

فحمة الليل : لأن فتحه مُحَرَّم.

هو : إذن فالطائر الأزرق مخبئ وراءه، هذا ما قالته

لى بسمّة النور..

فحمة الليل : [تكلمه بحان الأمّ] أنصت إلىّ يا بنى، لقد عاملتك

بطيبة ومجاملة، وفعلت لك ما لم أفعله هنا لأحد

من قبلك، كسفت لك عن أسرارى، لأننى أحبك

وأسفى على صباك وبراءتك، وها أنذا أكلمك

كلام أمّ لوليدها، انصت إلىّ، صدقنى يا بنى، كف

عن بحبك ولا تمض فيه، وإياك أن تتحدى

الفدر فتفتح هذا الباب.

هو : [وقد تزعزع كثيراً] ولكن لماذا؟

فحمة الليل : لأننى لا أحب لك أن نهلك، لا أحد، اسمع

كلامى، لا أحد ممن فتحوا هذا الباب ولو بمقدار

شعرة رجع حياً لضوء النهار، فإن كل

ما يتصوره العقل من أصناف المخاوف وكل

أنواع الهلع، وكل ما يتحدث عنه أهل الأرض

من الأهوال البسعة المنكرة لا تعدّ شيئاً مذكوراً

إذا فست حنى بأهون ما يهاجم الإنسان مها
إذا ما لمحت أول نظره له حافه الهاوية الى
لا بجرؤ أحد على تسميتها، ينبغي اتقاء هذا
الباب، حنى أنا، إن بقبت أنت على إصرارك
رغم كل تحذير لن أجسر على التصدى لهذا
الباب ولو بلمسة من طرف أصبعي، فأرجوك أن
تصبر حتى ألوذ ببرج لى منيع ليس به نوافذ،
الأمر الآن بين يديك، وفق عقلك وتفكيرك.

ميتيل : [تفجر باكية وتتوالى من الرعب صرخات لها لا ييس فى طيها
كلامها ويحاهد فى حرّ تيلتيل].

الرغبف : [أسنانه تصطك] لا تقدم ياسيّدى الصغير [يركع
أمامه] رحمه بنا، إننى أتوسلّ اليك وأنا راكع
أمامك، أنت ترى أن فحمة الليل على حقّ.
الهرة : إن حياتنا جميعاً هى التى تضجّى بها.

هو : لا مفرّ من أن أفتح الباب.

ميبيل : [بدها] ينتفض من النسبج لا أريد، لا أريد.

هو : ليأخذ كل من الرغبف وقمع السكر أختى ميتيل

من يد للهرب معها فلانى عامدٌ إلى فتح الباب.

فحمة الليل : ليهرب من فدر، سارعوا إلى الخروج، فقد آن
الأوان.

[هرب فحمة الليل].

الرجف : [يهرب في دعر] انتظر حتى نبلغ على الأقل باب
اليهو.

الهرة : [مهرب أيضاً] انتظر، انتظر.
[محتبثون وراء الأعمدة في الطرف الأدنى من اليهو ويصيح
تلتيل وحده مع الكلب بحاب الباب الكبير].

الكلب : [لهث ويلحفه الفواى وهو يحاهد في كتم هلعه] أما أنا
فسأبقى، سأبقى، لست بخائف، سأبقى، سأبقى
إلى جانب مولاي الصغر سأبقى، سأبقى.

هو : [يرتب عليه] أحسن، أحسن، تعال يا تيلو
قبلنى، ها نحن قد أصبحنا لا نال لنا فلنتجلد،
وإلا فالويل لنا.

[يصع المفتاح في القفل فتبعث صرجه رعب من الطرف الأدنى
لليهو حيث لاد الهاربون، وما يكاد المفتاح يلمس القفل حتى
يشق الباب الكبير من وسطه وينزل مصراع إلى اليمين
ومصراع إلى اليسار ويختميان داخل حدار الباب فتتن هجاء
حديده مدهسه كأنما أبدعتها أروع الأحلام وجللتها بضياء
الغسق، جاوزت في حمالها حد كل تصديق وكل فيد وكل وصف
بالكلام، يحلق بها خلال الكواكب والحووم سروب من طيور
ررى كأنها الحور تضيء كل شيء تلمسه وهي لا تنفك في
طراسها تلم بجوهرة إثر جوهرة وتنفل من شعاع إثر شعاع من
أشعة القمر، وهي يحوم دوماً وفي اسجام حتى تبلغ حد الأفق،
أصبحت من كثرتها يطن أنها أنفاس هذه الحديقه المدهشه

وسماؤها الزرقاء، بل يطر أنها هي الحديقة داتها، تيلتيل وافئ
يغمره ضوء الحديقة وهو منبهر في دهول].

هو

: ما أبدعها من سماء [يلتمت ناحية الهارين] أسرعوا،
تعالوا، الطيور الزرق هنا، بعينها وذاتها، لمد فزنا
بها أخيراً، آلاف من الطيور الزرق، بل ألف
ألف منها، عندنا منها هنا أكثر من مطلبنا بكير،
تعالى يا ميتيل، تعال يا تيلو، تعالوا جميعاً،
أعينونى [يندفع نحو الطيور] إنها فى متناول اليد.
طبعة لا ترهبناء، تعالوا من هنا [تسرع إليه ميتيل
يرافقها الآخرون ويدخلون إلى الحديقة المدهشه ولا تتخلف
عهم إلا فحمه الليل والهرة] انظروا، انظروا، ما أوفر
عددها، إنها تتهاوى على أكتافنا، انظروا، إنها
تأكل ضوء القمر، ميتيل، أين أنت اذن، من
كثرة الأجنحة الزرق وريسها المتساقط
أصبحت لا أتبين شيئاً سواها، إياك أن تعضها
يا تيلو، لا تؤذيها تناوئها برفق.

ميتيل

: [تحف بها الطيور الزرق] اقتنصت سبعة منها. كم
تصفق أجنحتها، إن يدي لا تفلح فى القبض
عليها.

هو

: وأنا كذلك، فقد أمسكتُ منها بعدد أكثر من ملء
يدي، ها هي قد هربت، ها هي قد عادت، ونيلو

كذلك فد أمسك ببعضها، إنها تجرفنا معها وتكاد
نحملنا إلى السماء، تعالوا نخرج من هنا، إن
بسمه النور تنتظرنا، ما أسد سرورها حين ترى
غنيمتنا، من ههنا، من ههنا.

[يعادرون الحديقة في لهفه وأيديهم ملأى بطيور ورق تصفق
أحسحتها ويحترقون النور وسط موحة من أحسنه مضطربة
ويخرجون من ناحية اليمين من حيث دخلوا من قبل، وراءهم
الرغيف ومعهم السكر ولم يمك أحداهما بطائر وتبقى فحمة
الليل والهرة وحدهما فتصعدان إلى غيابة النور تتأملان الحديقة
بعلق].

فحمة الليل : أتراهم قد فازوا بالطائر الأزرق؟
الهرة : كلا، فإني أراه فوق شجاع من أسعه القمر لم
تطله أيديهم لأنه جاوزها بارتفاعه.

[وهبط الستار فلا تلت أن تدخل سسمه النور من اليسار
أمامها في عين الوقت الذي يدخل فيه من اليمين أمام الستار
كل من تيلتيل وميتيل والكلب وهم يندفعون وأيديهم منفلة
بالطيور الزرق ولكنها أصحبت حنناً هامده، رؤوسها متدلّية
وأحسحتها. محطمه]

بسمه النور : هل ظفرتكم بطائر أزرق؟
هو : نعم، نعم، بفدر ما نوّد، بل بألف منه إن سئنا،
ترحل هي ذى أمامك، هل ترينها؟ [يظرون إلى
الطيور وهم يمدّون بها إلى سسمه النور فيبتشون أنها فارق

الحياه [ماذا جرى، إنها ماتت، ماذا فعلوا بها؟
 طيورك أنب يا ميتيل، أميته هي أيضاً طيور تيلو
 ميته كذلك [يُلقي وهو محقق بجنت الطيور] مستحيل
 أن أصدق، يا للبساعة! من الذى قتلها، إننى
 جدّ عيس. [محمى رأسه فى إبطه وينتفص بدنه بالنشيع].

بسمة النور : [محضنه بحنان الأم] لا تيك يا بنى، إنك لم نفسك
 بالطائر الأزرق الذى يفوى على العيس فى
 ضوء النهار. لقد أفلت منا، ولكننا سنجده
 ولا ريب.

الكلب : [يتأمل حث الطيور] أتصلح للأكل ؟ [مخرجون جميعاً من
 اليسار].

[ستار]

المنظر الخامس

الغابة

[العابه، والوقت ليل، والقمر مصيء، وأسحار هرمة من أصاف مختلفه، من أثرها
سجرة سديان، وزان، ودردار، وخور، وصوبر، وسرو، وريرون، وفسطل إلح
إلح..].

[تدخل الهرّة].

الهرّة : [وهى تحنى رأسها بالتحية والتوفير أمام كل شجره] إلى كل
سجرة هنا، نحية وسلاماً.

الأنسجار : [وأوامها همس] نحية لك وسلاماً.
الهرّة : يومنا هذا يوم أغرّ، فإن عدونا سيأتى ليفكّ
عفالكن ويسلم إليكن رقبته، إنه تلتيل ابن
الخطاب الذى طالما نالكن بالأذى، إنه ييحب
عن الطائر الأزرق الذى مخفينه عن الإنسان
منذ بدء الخليقة، والذى يعلم وحده سرّنا، [همس
أوراق الشجر] ماذا تقلن؟ آه! إنها سجرة الحور
التي تتكلم، نعم إنه يملك الماسة السحربة التي
تكسف عن سريرتنا، إنه فد يرغمننا على أن

ندفع له بالعصفور الأزرق، ونصبح جميعاً بعدئذ
 أسرى في قبضة الإنسان وتحت رحمته، [هس
 أوراى الشجر] من تتكلم؟ أنب يا سجره
 السنديان؟ كف حالك؟ [هس أوراى شجره
 السديان] لا يفارئك الزكام أبداً؟ هل كفّ
 الليمون عن علاجك؟ تسكين دائماً من
 الرومانزم؟ سبيه - صدّقيني - هو هذه
 الأعشاب الكيره التى تفرطين فى لفّ فديمك
 بها، هل الطائر الأزرق ما يزال عندكن؟ [هس
 أوراق شجره السندان] ماذا تقولين؟ نعم، لاجبال
 للتردد، هذه فرصة متاحه لنا نبغى أن نمتنصها
 لا بدّ من القضاء على الصبى [هس أوراى الشجر]
 ماذا تقلن؟ نعم، إنه مع أخيه، نبغى أن نموت
 هى أيضاً، [هس أوراق الشجر] نعم، الكلب
 يرافقهما أيضاً، هبهات أن نبعده عنهما، [هس
 أوراى الشجر] ماذا تقلن؟ نقدم إليه رسوة؟ هذا
 مستحيل، لقد جرّبنا كل حبله فلم نفلح، [هس
 أوراق الشجر] ها أنت با سجره الصنوبر
 تكلمين. اعددن أربعة ألواح من الخشب
 لأربعة نعوس، فتلتيل ترافقه أضاً النار وفع
 السكر والماء والرغيف، إنهم جميعاً فى صفنا

اللهم إلا الرغيف فهو غير مضمون، بسمه
النور وحدها لها ولاء للإنسان ولكنها لن تأتى
فقد فمت بإقناع تيلتيل وأخته بالتسلل خفية
حين نامت، هذه فرصة فريدة [هس أوراق الشجر]
هأنذا أسمع صوت سجرة الزان، نعم، الحق
معك، نعم، ينبغي إيلاخ الخبر إلى الحيوانات،
هل الأرنب ما يزال يملك طبلته؟ إنه عندكن؟
فليدق على الطبله لينادى جميع الحيوانات،
هاهم أصحابنا قد أتوا.

[يتعد صوت دق الطبله، يدخل تيلتيل وميتيل والكلب]

: أهذا هو المكان؟

تيلتيل

[الهرة تسرع فى اهتمام إلى لقائهما وتفطر فى مطاهر الاحترام
لها والحفاوة بها].

: ها أنت ذا قد أتيت يا سيدى الصغير، ما أجمل

الهرة

طلعتك وأبهى عافيتك هذا المساء، لقد سبقتك
لأعلن عن مقدمك، كل سىء على ما يُرام،
سنظفر بالطائر الأزرق هذه المرة، إنى واثقة من
ذلك، لقد بعثت بالأرنب يدق طبلته مناديا أكابر
حيوان هذه المنطقة، إنها متهيبة لا تجسر على
الاقترب [ضجة أنواع مختلفة من الحيوان من بينها نر

وحاموس وحنازير وجياد وحمير إلح إلخ. الهرة تتحى لتيتليل
جائناً وتهمس له [ولكن لماذا جئت بالكلب ؟ لقد
سلف أن قلت لك إنه على خصام مع الجميع
حتى مع الأسجار، وأخشى أن يفسد كل شيء
برفقته الكثيبة.

هو : لم أستطع التخلص منه [إلى الكلب مهذباً] هل لك

أن تغرب عني أيها اللعين !

الكلب : مَنْ ؟ أنا ؟ لم ؟ ماذا فعلت ؟

هو : قلت لك اغرب عن وجهي، أصعب عليك أن

تفهم ؟ المسألة بسيطة، لسنا في حاجة إليك،
أنت تضايقنا بإصرارك وقد نفذ صبرنا.

الكلب : سألجم لساني، سأتبعكم من بعيد فلا يراني أحد،

هل أقف لك على ساقتي وقفة المستجدي ؟

الهرة : [تهمس لتيتليل] هل تصبر على هذا العصيان ؟

اضربه بعصاك مراراً على أنفه، إنه حقاً
لا يُطاق.

هو : [يصرب الكلب] هذا درس يعلمك المسارعة إلى

الطاعة.

الكلب : [يصرح من الألم] أئى، أئى، أئى.

هو : ماذا تقول ؟

الكلب : ينبغي أن أقبل اليد التي ضربتني، ضرب

الحبيب كأكل الزبيب، [الكل يغالى فى التمسح

بتيلتل ويرشقه بقبلاات حارة].

: رسادك، أحسنت أحسنت، وهذا يكفى،

فاغرب الآن عن وجهى.

: كلا كلا، أريده أن يبقى، إني أخاف من كل

شئ فى غيبته.

[يبت الكلب إلى ميتل حتى يكاد يوقعها ويفيص حماسه ولهفه

وهو يرت عليها]

هو

ميتل

: نعم الفتاة الطيبة القلب، ما أجملها! ما أطيبها،

ما أجملها وأرقها، ينبغي أن أقبلك مرة وأخرى.

: يا له من غرّ مافون، لنضع هذا لما بعد،

ولا نضع الوقت، [إلى تيلتل] أدر الماسة.

: أين ينبغي لى أن أقف؟

: تحت هذا الشعاع من القمر، إذ تحته نحسن

الرؤية، نعم هكذا، أدر الماسة برفق.

الكلب

الهرة

هو

الهرة

[تيلتل يدير الماسة فما يكاد يفعل حتى تدب رعشه فى الفصوص

والأوراق وتنشق جذوع الأشجار التى هى أكثر هراً وصخامة

لتلفظ سرائرها المكونه وكل سريره تطابق شحرنها فى الطبع

والهيئة، فسريه شجرة الدردار مثلاً على هيئة فزم بمسوح

أكرش لا ينفك يلهث من فرط بدائته، وسريه شجرة

الريزفون مطمئنة ذات إلف وشاشة، وسريه شجرة الزان

أنيعه خفيفه الحركه، وسريه شجرة التاول بيضاء البشره

متحفظة قلقة، وسريرة شجرة الصفصاف مدكوكة مشعنة الشعر
نواحة، وسريرة شجرة الصنوبر هيفاء ممشوقة القائمة ذات تكتم
وصمت، وسريرة شجرة السرو دات شحن يوحى بجو مأساة،
وسريرة شجر القسطل دات عرور وحديقة، وسريرة شجرة
الخور دات مرج وبروات وثرثرة، بعض السرائر تخرج من
جذوع الأشجار متناقلة محمدة الأوصال فتمطى كأنما تنقلت
من قيد أو كرى طال دهوراً، وبعضها يحرح قفزاً في شطاط
ويقطة وعجلة، وتلزم كل سريرة ما أمكها جوار الشجرة التي
ولدتها]

شجرة الخور : [وهي أول من ينطلق وتصرخ بصوت عال] جاءنا أناس،
جاءنا أناس في سنّ الصبا، سيتاح لنا أخيراً أن
نتكلم، قد انتهى عهد الصمت، انتهى، من أين
أتيا؟ ما شأنهما؟ من هُما [تتقدم شجرة اليزفون على
مهل وهي تدخن عليها هدهد] أتعرفينها أنت
يا شجرة اليزفون؟

شجرة اليزفون: لا أذكر أنني رأيتها من قبل.
شجرة الخور : كيف؟ رأيتها من قبل ولا ريب فأنت تعرفين
الناس جميعاً فمقامك دائماً بجوار بيوتهم.
شجرة اليزفون: [تنهض الصيغ] أؤكد لك أنني لا أعرفها، فهما
لا يزالان صبيين، إنني لا أعرف إلا العشاق
الذين يأتون لزيارتي في ضوء القمر، السكارى
الذين يشربون الجعة تحت غصوني.

شجرة القسطل : [في أفنة وهي تُحكم في كريات مصطبة وصع نظارتها الفرد فوق
عين لها] ما الذي أرى؟ إنها من الفقراء، من
الفلاحين.

شجرة الحور : بعض هذا التعاظم يا ذات الصون والعفاف،
هذا دأبك مذ ترفعت إلا عن سكنى الشوارع
الفسيحة في العواصم.

الصفصاف : [تتقدم وهي نواحة، في قدمها حقان من خشب] يا إلهي،
يا إلهي، لقد عاد الإنسان مرة أخرى ليقطع
رأسى وأوصالى ويحملها حطباً له.

شجرة الحور : اصمتي، ها هي شجرة السنديان تخرج من
قصرها، إنها عليلة هذه الليلة، ألا ترونها قد
ساخت؟ كم يبلغ عمرها في ظنكن؟ تقول
شجرة الصنوبر عنها إن عمرها أربعة آلاف
سنة، ولكنى واثقة أنها تغالى، انتبهن، إن شجرة
السنديان ستفضى لنا بخيرها.

[تتقدم شجرة السديان هدوء، لا مثيل لهرمها إلا في تهاويل
الأساطير والحرافات، على رأسها تاح النباتات، وعلى بدنها
ثوب طويل أحصر مراكش بالأعشاب، هي عمياء، شعرها
الأشعث متهدل حول وجهها، تعتمد يد لها على عصا معقدة،
ويد أخرى على شجرة سديان صغيرة تقود حطاها، الطائر
الأررق حاطط على كتفها، وحين تقترب تصطف بقية الأشجار
وتنحى لها تبيجلاً واحتراماً].

تيلتيل : الطائر الأزرق عندها [إلى شجرة السديان]

اسرعى، اسرعى، تعالى من هنا، اعطنى الطائر.

الأسجار : اصمت، إنها شجرة السنديان.

شجرة السنديان : [تيلتيل] من أنت؟

هو : أنا تيلتيل يا سيّدى، متى أستطيع أخذ الطائر

الأزرق؟

شجرة السنديان: تيلتيل ابن الخطاب؟

هو : نعم سيّدى.

شجرة السنديان: قد أصابنا على يد أهلك سرّ كبير، فقد صرع

من أسرى ستمائة من أبنائى، وأربعمائة وخمسة

وسبعين من أعمامى وعمّامى، وألفاً ومائتين من

أولادهم، وبلانمائه وثمانين من زوجات أبنائى

واننى عسر ألفاً من أحفادى.

هو : لا أعرف هذا يا سيّدى، غير أنه لم يصرعهم

عمداً.

شجرة السنديان: ماذا جئت تفعل هنا؟ ولماذا أطلق سرائر

الأسجار من مكانها؟

هو : عفوا سيّدى إذا كنت قد أزعجتكن، هى الهرة

التي قالت لى أننى سأعرف منكن أبن هو

الطائر الأزرق.

شجرة السنديان: نعم، أعلم هذا، أنت تطلب الطائر الأزرق وهو

السِّرّ الأعظم للأشياء كافه، وهو سرّ السعادة
أيضاً، وبذلك يتاح للإنسان حين مملكه أن يستد
في تطويقنا بأغلال الأسر والعبودية.
هو : كلاً يا سيدنى، وإنما أطلبه لبن الساحره
غرباويه فإنها جدّ مريضة.

سجرة السنديان: [تومئ إليه أمره بالصمت] كفى، مالى لا أسمع
الحيوانات؟ أين همّ فإن حكايتك نهمهم كما
تهمنا، وينبغى إذن أن لا يفع على عاتق
الأشجار وحدها اتخاذ الفرارات الخطيرة الى
يتطلبها الموقف، فلو علم الناس ما نحن
مقدمات على فعله لانتفموا منا بفسوة، فينبغى
إذن أن تكون خطتنا مرسومة باتفاق الجميع
ليصحّ تعهد الجميع بكتمان السِّرّ والتزام
الصمت.

سجرة الصنوبر: [مد نظرها وهى تعلو بقية الأشجار] الحيوانات قادمه
وراء الأرنب، هذه هى سريره الجواد والنور
والجاموسة والبقرة والذئب والحمل والديك
والعنز والحمار والدبّ، وكلما ذكرت سجرة
الصنوبر اسما لحيوان دخلت سريره نم نجمعت
السرائر وجلست بين الأشجار، اللهم
إلا سريره العنز فإنها أخذت تتوانب هنا

وهناك وإلا سريرة الخنزير فإنها عمدت إلى
نبش جذور الأشجار.

شجرة السنديان: هل حضر الجميع؟
الأرنب : الدجاجة اعتذرت بأنها رافدة على بيضها،
والأرنب البري بأن وراءه مشواراً، والغزالة بألم
في قرنيها، والثعلب بأنه مريض، وأرسل شهادة
بذلك من طبيبه، أما الأوز فلم تفهم، والديك
الرومي انفجر غاضباً.

شجرة السنديان: تخلف هؤلاء يؤسف له لكل الأسف، ولكن عدد
الحاضرين كاف لعقد الاجتماع. يا أخواتي
أنتم تعلمون المسألة. هذا الصبي الذي أمامكم
يستطيع أن يضع يده على الطائر الأزرق بفضل
طلسم اختلسه من قدرة الأرض وبذلك ينتزع
منا السر الذي حوصنا على إخفائه منذ بدء
الخلقة. ونحن على علم بالإنسان بحيث
لا يخامرنا أقل شك في المصير الذي ينتظرنا،
إذا تملك هذا السر. من أجل ذلك فإن كل تردد
من جانبنا هو في نظري جرم وحقاقة، الساعة
خطيرة، وينبغي القضاء على الصبي قبل فوات
الوقت.

تيلتيل : ماذا تقول؟

- الكلب : [يدور حول سجرة السديان وهو مكتّر عن أبياته] هل
 ترين أسناني أبتها العجوز الكسيحه ؟
 سجرة الزان : [في حو] إنه يهين سجره السندان.
 شجرة السنديان: أهذا هو الكلب؟ اطرده، ينبغي لنا أن
 لا نصبر على اندساس خائن بيننا.
 الهرة : [تهمس إلى تيليل] أبعد هذا سوء تفاهم دعه لي
 فإني سأعالج الأمر، ولكن ينبغي أن تسرع في
 إقصاء الكلب.
 هو : [إلى الكلب] ألا تنصرف ؟
 الكلب : دعني أمزّق خفيّ هذه الكسحانه وسنضحك
 مما يجذب لها.
 هو : احترس وانصرف، انصرف يا وفح. يا فيل
 الدم.
 الكلب : طيّب طيّب، سأنصرف وسأعود حين نحتاج إلى.
 الهرة : [تهمس إلى تيليل] من الأحوط أن تقيّده وإلا عاد
 لحماقاته، إن الأسجار بغضب وتكون العوافب
 وخيمة.
 هو : ماذا أفعل ؟ لقد أضعت سلسلته.
 الكلب : [وهو يرمح يهدد شجرة السديان] سأعود، سأعود
 يا مقطوعة النفس يا فريسة الربو، تباً لكن
 من أسجار كسيحات في سن اليأس، إن الهرة

هى رأس المؤامرة، سأصفى الحساب معها ذات
يوم، فيم همسك ووسوستك يا خائنة، يا لئمه،
[ينحها].

الهرة : [لتلتيل] أرايب كيف يهين الجميع؟
هو : هو حقا لا يطاق، إنه يسوس علينا فلا نسمع
ما يقال، سبدي اللبلاب، هل لك أن تفدّه؟
اللبلاب : [يتقدم بحذر إلى الكلب] هل بعض؟
الكلب : [وهو يرمح] على العكس، على العكس، إن
الكلب سيقبلك انتظر فسوف ترى ما يحدث
لك. اقترب. اقترب قليلاً أيها الوغد بأحاييلك
العتيفة.

هو : [يهدده بالعصا] تيلوا
الكلب : [يحجم تحت دمي تيلتيل ويهز ذيله] ماذا تريد مني أن
أفعل يا مولاي الصغير؟
هو : ارفد على بطنك وأطع اللبلاب ودعه يفيدك
والأ..

الكلب : [يرمح واللبلاب يقيده] أوصالك خيوط مزقه
يا حبل المستنمة، يا مفودالنور، يا سلسلة
الخنزير، انظر يا مولاي الصغير، إنه سلوى
ساقى.

هو : حزاءً وفاقاً، فهذا ما كنت تطلب، اخساً واهداً،
فأنت لا تطاق.

الكلب . لا أبالي، ولكنك مخطيء، إنهم يضمرون لك
أسوأ النيات فاحترس يا مولاي الصغير،
ها هو يكتم فمى فلن أستطيع الكلام.

اللبلاب : [وعد كورّ الكلب بعد شدّ وناقه] أين أمضى به؟ لقد
أحكمت وناقه ولن يفتح فمه.

سجرة السنديان: اربطه باحكام وراء جذعى وسده إلى أضخم
جذورى، وسندبر مصيره فيما بعد.

[يستعن اللبلاب شجره الحور ويحملان الكلب ويصعانه وراء
حذع شجره السديان]

سحرة السنديان: هل فرغنا؟ حسن، الآن وقد تخلصنا من هذا
الساهد المعلق، هذا الخائن، فليستساور
فيما يفضى به الحق والعدل في نظرنا، لا أخفى
عليكم ما أحسّ به فى أعماقى من احتياج
مُضن، فهذه أول فرصة يتاح لنا فيها أن نحاكم
الإنسان، وأن نسعره بسطوتنا، أظن أن
الإنسان بعد كل الذى ذفناه على يديه من
الشرور ومن المظالم الفادحة لا نخامره أدنى
شكّة فى الجزاء الذى يستحقه.

كل الأسجار : نعم، نعم، هو يعلم الآن علم اليقين، إلى المسنفة،

وكل الحيوانات إلى الموت، لظالما ظلمنا، وظالما سدر في غلوائه،
لقد نفذ صبرنا، فلنسحبه ونلتهمه، فوراً، فوراً..

هو . [للهره] ماذا جرى لهم؟ إنهم غاضبون.
الهره : لا ننزعج، إنهم غضاب لأن الربيع قد تأخر
ودومه دع الأمور لي، وسأعالجها جميعاً.

شجرة السنديان: كان حتماً أن يصدر حكماً باجماع الآراء، وبقي
علينا أن نعرف إذا شئنا تجنب بأر الإنسان
كيف يختار من بين طرائق القتل أحكمها
وأسهلها وأسرعها وأضمنها وأقلها دلالة على
التهمة إذا ما عر الناس على جسي الصبيين في
الغابة.

هو : ما هذا كله؟ ما هدفهم؟ لقد بدأت أضيق ذرعاً
بهم، ما دامت شجرة السنديان عندها الطائر
الأزرق فلتسلمه إلى.

الور : [يتقدم إليه] أيسر طرائق الموت وأحكمها أن
أطعنه بقرني في بطنه، فهل تريدون أن أنطحه؟
شجرة السنديان: من الذي يتكلم؟

الهره : إنه الور.
البهرة : الأفضل لي أن أنأى عن المتاعب فلا دخل لي
في هذا الموضوع، وإني منصرفه إلى أكل هذا
العشب كله في المراعي التي ترونها في زرقة

التمر، إن ورائي عملاً طويلاً يسغلني.
الجاموسة : وكذلك أنا، وإنى على كل حال أقرّ مقدماً كل
سوء تفعلونه.

شجرة الزان : إني أقدم أعلى فروعى ليسبق عليها.
اللبلاب : وأكون أنا حبل المسنفة.
شجرة الزان : وأدّكم أنا بالواح للنعوس الأربعة الصغيرة.
شجرة السرو : وأهيبّ أنا لهم قبرهم الأبدى.
شجرة الصفصاف : أسهل الطرائق أن نعرفهم في أحد الأنهار
التي أطلّ عليها، دعوهم لى.

شجرة الزيزفون: [وهى عهد للصالح] رسادكم رسادكم، أحتم أن نلجأ
للعنف، إنها لا يزالان في نضارة الصبا، ونحن
نفدر بسهولة أن نغلّ أيديهما عن السرّ بأن
نقيهم أسرى داخل سياج أتولى أنا بنفسى
إقامته من ضلوعى.

شجرة السنديان: مَنْ التي تتكلم هكذا؟ [يدلنى صوها المعسول أنها
شجرة الزيزفون].

شجرة الصنوبر : صدق.
شجرة السنديان: إذن نكبنا كالحبوان باندساس خائن بيننا، لقد
ظفرنا إلى اليوم بولاء جميع الأشجار اللهم
إلا أشجار الفاكهة وهى على كل حال لا تعدّ
في الحقيقة أشجاراً بمعنى الكلمة.

الخنزير : [يدير مفلتس صغيرتين همتس] أما أنا فأظن أنه ينبغي
أولاً أن نلتهم البنث الصغيرة فلا بُدَّ أن لحمها
طريّ.

تيلتيل : ماذا بفول هذا الأحق؟ انتظر قليلاً يا...
الهرة : لا أدري ماذا دهاهم، إن مسلكهم لا يبشر
بخير.

شجرة السنديان: سكوت! المسألة الآن هي أن نعرف من ينال
شرف توجهه أول طعنة ومن يزيح عن هامتنا
أكبر خطر يتهددنا منذ ولد الإنسان.
سجرة الصنوبر: هذا السرف حق لك فأنت أُمنا وسببتنا.
شجرة السنديان: أهذه شجرة الصنوبر التي تتكلم؟ إنني مع
الأسف عجوز طاعنة في السنّ، عمباء عليلة،
وأصبحت أوصالي من الخدر تأبى أن تطعني،
كلّا، بل أنتِ يا أختي يا شجرة الصنوبر دائماً
مخضرة، مسنقمة لا تعرف الانحراف، شهدت
عينك مولد أغلب هذه الأسجار، أنت أحقّ
بدلي بمجد نحريرنا جميعاً.

سجرة الصنوبر: شكرًا لك يا أُمّي المبجلة، ولكن ما دمت قد
نلت أنا شرف إعداد قبر لهذين الصغيرين فإنني
أخسى إذا وقع اخبارك على أن أدير غبره
زملائي، وأظن إذا نحينا نحن الاثنين عن هذا

السرف فإن الجديرة بعدنا هي سجره الزان،
لأنها تفوفنا عرافه، نم إن ضربتها أسدّ لأنها
أصلبنا عودًا.

سجرة الزان : لا يغيب عنكم أن السوس قد نخر أوصالى وأن
ضربتي لم تعد مُحكمة، أما سجره الدردار
وسجرة السرو فلها سلاح ماضٍ.

سجرة الدردار : ليس أسهى على من نوال هذا السرف ولكنى
أكاد لا أحسن صلب عودى، وقد فرض فأر
هذه الليلة إيهام قدمى.

سجرة السرو : أما أنا فعلى استعداد، ولكنى على غرار أحنى
سجرة الصنوبر إذا فاتنى سرف إعداد القبر
فإنى سأحظى على الأقلّ بميزة الانفراد بذرف
الدموع على هذا القبر وليس من العدل أن
أجمع بين وسامين. وأسألا سجره الحور.

سجرة الحور : أنا؟ هل اتجه ذهنكما إلى؟ ولكن خسبى طرىّ
سأن لحم الأطفال، سم إنى لا أدري ماذا دهافى،
إنى أرتجف من الحمى، انظروا إلى أوراى، لا بُد
أن البرداء أصابتنى اليوم عند الفجر.

سجرة السنديان: [تنفخ عاصه] أنت ترهبين الإنسان حتى هذين
الصبيين الغريرين، وكلاهما مضيع أعزل من
السلاح، إنها ينفخان فى قلبك بهذا الرعب

الخفّي الذي طالما طوّفنا بما نحن فيه من دُلّ
ورق، إني أرفض هذا الكلام، كفى، ما دام
الأمر كذلك وما دامت الفرصة المتاحة هي
فرصة العمر فسأَمْضِي أنا وحدي، أنا العجوز
الكسيحة المربسة العمياء للاقتصاص من
عدونا الأزلي. أين هو؟

[تتهادى بحذر على عصاها وتتقدم نحو تيلتيل].

هو : [يستلّ السكين من حيبه] مني وحدي تريد أن تمص
هذه العجوز أم الثبوت الضخم.

[تند من بعينه الأشجار صرجه فزع لرؤيه السكين، هي في يد
الإنسان سلاح محارون في سره، بتار لا يفار، فيتوسط بين
الاثنتين ويسكن سحره السنديان].

الأسجار : السكين! احترسي، السكين.
سجرة السنديان: [وهي تدافعهن] اتركني، فما الجدوى، إن نجوتُ
من السكين فلن أنجو من البلطة، مَنْ التي
غمسك بي؟ أأنتن جميعاً هنا؟ ماذا؟ أهذا اتحاد
منكن على نية واحدة. [تذف عصاها] إذن لتكن
منسيئتك، والعارُ لنا جميعاً، لن ينقذنا بعد
إلا الحيوان.

النور : نعم هو هذا، أنا لهما، فبنطحه واحدة من فرني
[تعمد النفرة والحاموسة إلى شدّه من دبله].

- البقرة والجاموسة: لماذا تحشر نفسك، إياك والحماقة، هذه مسألة
وخيمة العواقب سندفع نحن غُرمها، دعها إذن
للحيوانات الضارية فهذا هو شأنها.
- النور : كلا كلا بل سأنى أنا، اصبرا فتريا، ولكن إذا لم
تمسكا بي فقد تقع نكبة.
- تيلتيل : [إلى ميتيل وقد اسعنت منها صرخة حادة] اختبئي ورائي،
لا خوف وهذه السكين في يدي.
- الديك : سجاعة هذا الصبي يا لها من شجاعة..
- هو : هل قرّ قراركم؟ الاقتصاص منى أنا؟
- الحمار : أكيد يا بنى، كيف تطلب فهمك للحقيقة مثل
هذا الوقت الطويل.
- الخنزير : لك أن تصلى، فافعل، فقد حانت منيتك، ولكن
لا تحجب عنا صبيتنا الصغيرة، أريد أن أمتع
عيني بالنظر إليها فإنها هي أول من سألتهم.
- تيلتيل : وهل أنا أجرمتُ في حقكم؟
- الشاة : لا سمح الله.. ما الاجرام في أنك أكلت وليدي
وأخى وأختى وأعمامى الثلاثة، وعمتى، وأبى
وأُمى، صبرا صبرا، حين يُطرح بك أرضا
سترى أن لى أنا أيضا أنيابا وأضراسا.
- الحمار : وأن لى ظلفا حادّا قوى الشكيمة.
- الحصان : [يمحص الأرض بقوائمه مرهوا] ستري ما ستري،

فل لى، أيها أحب إليك؟ أن أنهنسك بأسنانى أم
أبططك بحوافرى [يعدم بخيلاء نحو تيليل فيتصدى له
ويشهر السكن فى وجهه فصاب الحصان محاً بالذعر وبولى
الأدبار وينطلق كالسهم] يا للداهية، لس هذا بعدل،
لبس هذا من أصول اللعب، أن بدافع عن
نفسه..

الديك : [وقد عجز عن كتمايو إعجابه] لا سك أنه صبي
جسور.

الخنزير : [للذب والذب] فلنهم عليها جميعاً وسأسندكما
من خلف سنطرحهما أرضاً، ونفتسم الصبيّة حين
تقع.

الذب : سناغلها من أمام، على حين أفوم أنا بحركة
التفاف [ويدور حتى يحى خلف تيليل ويهجم على طهره
ويكاد يطرحه أرضاً].

هو : يا خائن! ينهض معتمداً على ركه واحده ملوفاً بالسكين،
حامياً أخته قدر طاقته وهى تولول من الفزع وحين يتشّن
للأشجار والحيوان أنه يوشك أن يقع على الأرض تمترت
جميعها منه تحاول كل منها أن تصيبه بصره، بخيم الظلام فجأة،
تيليل يستنجد باضطراب [النجدة النجدة تيلو، تيلو،
تيلو، أين الهرة؟ تيلو، تيلو، تيلو. أسرع إلى
أنت والهرة.

الهره

: لا أستطيع فهد التوت فدمى.

هو

: [يتحاشى الضربات ويدافع عن نفسه قدر جهده] النجده
النجده، لقد خارت فوائى، إنهم أكر منى عدداً،
الدبّ والخنزير والذئب والحمار وسجره
الصنوبر وسجرة الزان.

[بحر تيلو حاله المنقطعه بعد أن وثب من وراء جدع شجرة
السديان ويشق طريقه مراحماً الشجر والحيوان حتى يلحق
بمسه أمام تيلليل ويدافع عنه بصراوه]

الكلب

: [وهو يهش بهوه ميمناً ويساراً] لبيك لبيك يا مولاي
الصغير لا تخف، إن فكى جبّار، خذْ، هذه لك
أما الدب، فى عجيزتك الضخمة، أين من يريد
منكم ملها؟ وهذه للخنزير وهذه للحصان،
وهذه لذيل البور، تمام تمام، هأنذا قد مزفت
سروال شجرة الحور وإزار شجرة السنديان
أما شجرة القسطل فقد هربت، أف أف، الدنيا
حرّ..

هو

: [متصعصعاً] خارت قوى منذ ناولتني سجره
السرو ضربة شديدة على نافوخى.

الكلب

: إنها ضربة من سجره السرو وقد كسرت أيضاً
فدمى.

هو : ها هم يعودون للهجوم، كلهم معاً، فد جاء دور الذئب هذه المرة.

الكلب : انتظر، سترى كيف أعالجه بهجومى عليه.

الذئب : أيها الغبي، بيننا أخوة فأنت من سلاتنا،

أنسيت أن أهله أبوا تربية صغارك فأغرقوها.

الكلب : وحسناً فعلوا فقد كانت تشبهك.

كل الأشجار : أيها العاقّ لجنسك، أيها الخائن والغرّ الأبله،

وكل الحيوانات انفض يدك منه، ألا ترى أن الموت محقق به،

انضم إلينا.

الكلب : [في نشوة من الحت والإحلاص] كلا كلا، سأقف

وحيداً ضدكم جميعاً كلا كلا، سأظل وفياً لمن

ينتمى لهم مولاي، إنهم أفضل منكم وأجلّ

قدراً، [لتلليل] احترس، هذا هو الدبّ، خذ بالك

من الثور، سأثب إلى حلفه، أيّ أيّ، هذه رفسة

من حافر، لقد هشمّ الحمار سنين من فكيّ.

هو : هدّئ الإعياء، تيلو، أيّ أيّ، هذه ضربة من

شجرة الدردار، أنظر إلى يدي يسيل منها الدم،

إنه الذئب أو الخنزير.

الكلب : سلامتك يا مولاي الصغير، دعني أقبلك، هذه

هي لعقة طيبة من لساني ستريحك، قف ورائي

ولا تتحول، فلن بجراً أحد منهم على مهاجمتك..

بل. نعم. نعم سبجراون، فها هم قد عادوا.

الخطر كبير هذه المرة فلصمد لهم..

: [يتهاوى إلى الأرض] لم تبقى لى قدره على المفاومه.

: أصدقاؤنا فادمون، تنبئنى بهم أذنى وأنفى.

هو

الكلب

: من أين؟ ومن يكون القادم؟

هو

: من هناك، إنها بسمه النور، لقد اهدتدت إلى

الكلب

مكاننا، فد نجونا يا مولاي، يا مليكى الصغر،

قبلنى، نجونا، نجونا، أنظر إلى أعدائنا، إنهم

يتوجسون سرا ويتفرقون مرتعبين.

: يا بسمه النور، يا بسمه النور، أهدمى

هو

وأسرعى، لقد بارت ضدنا الأسجار والحيوانات

وتألبت علينا.

[تدخل سسمه النور، وكلما تقدمت يتوالى إسرائى المخر على

الغاه حتى يعمها الصياء].

بسمه النور : ما الخبر وماذا جرى، كيف غلبك الضلال

يا مسكن. أدر الماسة فإنها ستعبدهم إلى عالم

الصمت والظلام ولن تتجلى لك بعد سريرتها.

[يدير تيلتيل الماسة فتهرع كل سريره إلى جذع شجرها

وتدحله فينطبق عليها ويحفى أيضا سرائر الحيوان ويرى من

بعيد نمره وشاه ترعيان العشب فى سلام إلخ إلخ وتستعيد

الغاه براءها].

- هو : [يتلفت حوله من فرط دهشته] أين هم، ماذا كان قد جرى لهم؟ ف هل كانوا جميعاً قد أصيبوا بالجنون؟
- بسمّة النور : كلا، هذه هي حقيقتهم دائماً، ولكننا لا نعلمها لأننا لا نراها، وقد حذرتك من قبل من خطر إيقاظها في غيبى.
- هو : على كل حال لولا الكلب، ولولا أن كان عندي سكين.. لم أكن أتصور من قبل أنهم على مثل هذه السراسة.
- بسمّة النور : ها أنت ذا ترى أن الإنسان يفف وحيداً ضد الجميع في هذه الدنيا.
- الكلب : [لتيتل] عسى أن لا يكون قد نالك أذى كبير يا مولاي.
- تيتل : مسألة بسيطة، أما عن ميتيل فقد عجزوا عن لمسها ولكن أنت يا عزيزي تيلو، حدثني عن نفسك، فد سال الدم على فكك وانكسرت قدمك.
- الكلب : إصابة هينة لا تستحق الذكر، من غد سلتهم الجرح وينجبر الكسر ولكن كم كانت حاميه هذه المعركة!
- الهرّة : [خارحه من غيل وهي تعرج] معركة حامية ولا ريب،

فقد طعننى العجل بفرنه فى بطنى، لا ترى العبن
أبر الطعنة ولكنها تؤلمنى، أسد الألم، وسجرة
السنديان كسرت قدمى..

الكلب : أحب أن أعرف أن قدمى هى ؟
متيل : [ترب على الهرة] تيليت يا مسكينة، أحفًا
ما تقولين؟ إذن أين كنت فى لم ألمحك.
الهره : [سافقه] أميمنى، قد جرحت من فورى حبن
هاجمنى الخنزير القذر الذى أراد التهامك
فناولتنى حبنئذ شجرة السنديان ضربة دوختنى.
الكلب : [وهو يهمس بالكلام من بين أسنانه المطبقة] أنت ! فليكن
فى علمك أنه سيكون بينى وبينك حساب، ولن
يفيدك الانتظار سيئًا، فجزأوك لن يتغير.
ميثيل : [للكلب] دعها فى حالها يا لعين.
[ويخرج الجميع].

[ستار]

الفصل الرابع

المنظر السادس: أمام الستار

[يدخل بيلتيل وسمه النور والكلب والهره والرعرع والبار وفع السكر والماء واللبس].

بسمه النور : تلفيق رسالة عاجلة من الجنية غرباويه نخبرني
فبها أن الطائر الأزرق موجود هنا في أغلب
الاحتمال.

تيلتيل : في أي مكان هنا؟
بسمه النور : هنا، في المقبرة التي وراء هذا الجدار، يبدو أن
أحد الموتى في هذه المقبرة يخفيه في قبره، يبقى
علبنا أن نعرف أيهم هو، لذلك ينبغي المرور
بالموتى واحدًا واحدًا.

هو : واحدًا واحدًا؟ وكيف نفعل؟
بسمه النور : المسألة بسيطة، ننتظر منتصف الليل، لثلاث نفرط
في إزعاجهم، ثم تدير أنت الماساة فإذا بهم

مخرجون من الأرض، وأما الذين لا يخرجون
فسنظلّ عليهم في فبورهم.

هو : ألن يجنفهم عملنا هذا؟

بسمّة النور : لن يجنفهم، بل لن يبينوا أن خروجهم بإرادتنا،
حفا إنهم لا يحبون أن يفلهم أحد، ولكن من
عادتهم على كل حال أن يخرجوا في منتصف
الليل فلا إزعاج لهم.

هو : لماذا سحب لون الرغيف وجمع السكر واللين
ولماذا خرس لسانهم؟

اللبن : [وهو يترج] أحس أننى سأصاب بالخورة.

بسمّة النور : [همس لتيلتل] لا تسغل بالك بهمومهم، فما بهم
إلا الخوف من الموتى.

النار : [تطوف حطى لاهيه] أما أنا فليست خائفه، فقد
ألفُ أن أخرقهم، كنت أحرفهم جميعاً في
الماضى فكانت لى متعة لا أجدها فى أيامنا هذه.

هو : ولماذا يرتجف تيلو؟ هل هو خائف أيضاً؟

الكلب : [رأسانه تصطك] أنا؟ إننى لا أرتعس، أنا
لا أخاف أبداً، ولكن إن بركتم هذا المكان
فسأتركه معكم.

هو : وما للهرة لا تنبس بكلمه.

الكلب : [فى غموض] ليس علمى علمكم.

هو : [لسمة النور] هل ستأتين معنا؟
 بسمة النور : كلا، فمن الأفضل أن أبقى عند باب المقبرة مع
 الأسياء والحيوان، لم يأت وقني بعد، فربه النور
 غير فادرة للآن أن تنفذ إلى دور المولى،
 سأتركك وحدك مع ميتيل.

هو : هل يمكن إذن لتيلو أن يبقى معنا؟
 الكلب : نعم، نعم. سأبقى هنا، أحب أن أبقى مع مولاي
 الصغير.

بسمة النور : هذا مستحيل، إن أوامر الجنية صريحة، ومع ذلك
 فليس هناك شيء يخشى منه عليهما.
 الكلب : طيب طيب، ما باليد حيلة، إذا وجدتهم أنسرار
 يا مولاي الصغير فما عليك إلا أن تفعل هكذا
 [يصفر] وسترى، سأسعدك كما أسعدتك في الغابة
 [يسح وا وا وا].

بسمة النور : هيا بنا، وداعا يا صغرى العزيزين، لن أكون
 بعيدة عنكما، [تعاق الصبيان] أن الذين يحبوننى
 والذين أحبهم سيجدوننى دائماً [للأسياء والحيوان]
 أما أنتم فمن هنا.

[مخرج مع الأسياء والحيوان ويبقى الصبيان وحدهما وسط
 المسرح فتتفتح الستار على المنظر السابع]

المنظر السابع

المقبرة

[بالليل في نور القمر، ممره ريفيه، سور عديدة، رى محضره، صلبان من الخشب،
كسوه معابر من الرحام إلح إلح].
[بيلتل وميتيل وافمان بالقرب من نصب على هيئة عمود مستقيم].

هى : إلى خائفه.
هو : [ناطمشان مرعع] أما أنا فلا أخاف أبداً.
هى : هل الموفى أسرار؟ فل لى؟
هو : كلا، كيف يكونون أسراراً وهم غير أحياء؟
هى : هل رأيت من قبل واحداً منهم؟
هو : نعم، مرة واحدة، منذ زمن بعيد، أيام أن كنت
صغيراً جداً.
هى : كيف هو؟ فل لى..
هو : شخص كله بياض، هادئ جداً، بارد جداً،
ولا يتكلم.
هى : هل سنراهم؟ قل لى..
هو : ولا ريب، فهذا هو ما وعدتنا به بسمه النور.

| | |
|-----|---|
| هـى | : أين مكانهم هؤلاء الموقى؟ |
| هو | : هنا تحت العشب أو تحت هذه الأحجار المسله |
| هـى | : أهذا هو مكانهم على مدار العام؟ |
| هو | : نعم. |
| هـى | : [مُسْبِرَه إلى الأحجار فوق المقار] أهذه أبواب بيوتهم؟ |
| هو | : نعم. |
| هـى | : أىكون خروجهم حين برقّ الهواء؟ |
| هو | : أنهم غير فادرين على الخروج إلا بالليل.. |
| هـى | : ولماذا؟ |
| هو | : لأنهم لا يرندون إلا الفمصار.. |
| هـى | : وهل يخرجون أيضًا فى المطر؟ |
| هو | : إذا أمطرت السماء لزموا بيوتهم. |
| هـى | : هل بيوتهم جميلة؟ قل لى.. |
| هو | : يقولون إنها ضيقة جدًا. |
| هـى | : هل معهم أولاد صغار؟ |
| هو | : طبعًا، معهم كل من موت. |
| هـى | : ما هو غذاؤهم؟ |
| هو | : إنهم بأكلون جذوع الأشجار. |
| هـى | : وهل سنراهم؟ |
| هو | : لا ربب، فإن إدارة الماسة سنجعل كل سىء |
| | بنكشف لعوننا. |

- هى : وماذا سيفولون؟
هو : لن يفولوا شيئاً لأنهم لا يتكلمون.
هى : ولماذا لا يتكلمون؟
هو : لأنه ليس لديهم سىء يقال؟
هى : ولماذا لبس لديهم سىء يقال؟
هو : وجع لى دماغى [متره صب].
هى : منى مدير الماسة؟
هو : بسمه النور أوصنا بانتظار منتصف الليل. هذه
ساعة لا يزعجهم الخروج فيها إلا قليلاً.
هى : ولماذا يقل انزعاجهم عند الخروج فى هذه
الساعة؟
هو : لأنها ساعة الخروج لتنسم الهواء.
هى : هل حلّ نصف الليل؟
هو : ألا ترين ساعة الكنبسه؟
هى : نعم، بل أرى العقرب الصغير.
هو : إذن برين أنها على وسك أن ندق انتقى عسرة
مرة، ها هى تدق، أسمع؟
[تسمع الدفاب الاثنتا عشرة]
هى : أريد أن أعود.
هو : لم نحن العودة بعد، سأدير الماسة.

- هى : كلا كلا، لا تفعل، أريد أن أعود، إننى خائفة
يا أختى. أنى متعبه جدًا.
- هو : ولكن ما من خطر علينا.
- هى : لا أريد أن أرى الموتى، لا أريد أن أراهم.
- هو : لك ما تريدن، أفعلى عنيك فلا ترينهم.
- هى : [تشبه شيا به] تلتل، لا أستطيع، مستحيل، إنهم سيخرجون من تحت الأرض.
- هو : لا ترتجفى هكذا، إنهم لن يخرجوا إلا لبرهة وجيزة.
- هى : ولكنك أنت أيضًا ترتجف. هل سيكون منظرهم مرعبًا؟
- هو : أزف الوقت، فقد أصبحنا فى منتصف الليل.
- [يدير تيلتيل الماسه، لحظة مرعبه من الصمت والهمود ثم يحدث سطر ترنج الصلبان واشمافى الأرض فى الربوه المخضره وارتفاع المحاره عن المبور].
- هى : [وهى تحتوى حوضن أحبها] إنهم يخرجون، ها هم أمامنا.
- [حينئذ ينعث شيئًا فشيئًا من المبور المفتوحه لفيف زهور نابته، هى أول الأمر رفيقه متهيبة، إنها كسحانه من البحار، ثم تتحول إلى بياض كوساح البكر، ويرداد درجه بعد درجه التفاضها وعلوها وفيضا وبهاؤها ويحلل شيئًا فشيئًا وسلطان لا يقاوم كل الأشياء فتحيل المصره إلى حديقة ملائكية توحى بالطهاره،

ثم لا يلبس الفخر أن يرف إليها أول صيائه فيتلاها لدى،
تفتح الأسحار والأرهار، ويوسوس السيم من أوراق العصور
يطن السجل، تستميط الطيور فتملاً سواكير سوتها أرحاء
الكون أناشيد فرحها بالشمس والحياه، تيلتيل وميتيل تتملكهما
الدهشه والإعجاب، يده ممسك يدها، ويملان الخطى من الزهور
بحناً عن آثار الفور]

: [هى تبح في العشب] أين هم هؤلاء الموفى؟
: [يبح ملها] ليس هناك موفى.

هى
هو

[ستار]

المنظر الثامن

أمام ستار يمثل سحباً جميلة

[يدخل يليل وميتيل وبسمه النور والكلب والهرة والرغيف والبار وشمع السكر والماء واللس]

بسمه النور : في اعنفادي أن يدنا سنقع هذه المرة على الطائر الأزرق وكان ينبغي أن أدرك هذا مند أول مرحلة في رحلتنا ولكن لم يحدث إلا في هذا الصباح حين جدد الفجر فواى أن أسرق هذا الإدراك على ذهني إسرافى سماع من السماء، نحن الآن عند مدخل الفردوس المسحور حيث يجتمع في حراسه القدر كل ما يعرفه الإنسان من شخوص البهجة والهناء.

ييلتيل : وهل هناك كبر منهم، أليكون لنا منهم نصب أبينهم صغار مثلنا أيضاً؟

بسمه النور : فبهم الكبير والصغير، والجلف والرفيق، فبهم من له أكبر حظ من الجمال وفيهم من هو أقل

لطفاً، أما أسوأهم طبعاً ففند سبق طردهم من
هذا الفردوس فوحدوا ملجأ لهم في ديار
سخوص البؤس إذ ينبغي أن لا يغيب عنكم
أن سخوص البؤس يفيمون في مسكن مجاور
نافذ على فردوس الهناء، لا يفصل بينهما
إلا حاجز كأنه البخار أو كأنه ستار خفيف
نزاح كلما هبت عليه رياح من علماء العدالة أو
من فاع الأبد، يحسن بنا أن نعمل بنظام وأن
نتخذ بعض تدابير الحبطة، فسخوص الهناء هم
في العادة خثرون إلا أن منهم من هو أسد من
سخوص البؤس خطراً وحداعاً.

الرجف : عندى فكرة، ما دام سخوص الهناء لهم ميل
هذا الخطر والخداع أفليس من الأفضل أن
نبقى جميعاً عند الباب حتى نحمل الصبين
بسواعدنا إذا اضطرا للفرار بعد دخولهما؟

الكلب : كلا كلا، أريد أن أكون مع مولاي ومولاي أينما
بذهبان فليبقى بالباب كل من برنجف قلبه من
الرعب، فليس لنا حاجة إليه [نظر إلى الرعب]
ولا إلى الجبناء [نظر إلى الهره] ولا إلى الخائنين.
النار : أما أنا فذاهبه معها، يقال إن في غيبان هذا

الفردوس متعه كبيره وأن أهله لا ينقطعون عن
الرفص.

الرجيف : وعن الأكل أيضا؟
الماء : [تنهد] لم يدخل حياقي قط هناء ولو صغير وأود
أن أعرفه اليوم.
بسمه النور : اعفدوا ألسنتكم، لم يسألکم أحد رأيکم، إليکم
قرارى، الكلب، والرجيف وفتح السكر
يصحبون الصبيين، والماء لا تدخل لأنها سديده
البرودة، ولا النار لأنها مفرطه فى الاضطراب،
وأناسد، اللين أن يلزم الباب لأنه سريع التأثر،
أما الهرة فهي حرّة.
الكلب : إنها خائفة.

الهره : إذن سأصرف فأسلم فى طريقى على بعض
سرخوس البؤس فيبنى وبينهم صداقة قديمه، فهم
يسكنون بجوار سرخوس الهناء.
هو : وأنت يا بسمة النور، ألا تأتين معنا؟
بسمه النور : لا أستطيع أن أدخل كما أنا على سرخوس
الهناء فإن أكرهم لا يحتملوننى، ولكن لدى
الوساح الغليظ الذى أغطى به إذا زرت
السعداء، [تمرّد وشاحاً كبيراً تلقه حولها بإحكام] ينبغي

أن لا يزعجهم سماع من نوري، إذ أن من
شخص الهناء من يعبس في وجل محروماً من
السعادة أما إذا دخل هكذا فلن بخشائي أحد
حتى أقلهم جمالا وأقلهم لطفاً.

[يفتح الستار على المطر التاسع]

المنظر التاسع فردوس الحياة الدنيا

[يفتح الستار عن ردهه مقامه في مدخل الفردوس رسمها أعمده عاليه من المرمر، تتدلى بينها أستار من المحمل الثميل الأرحاوي، تعدها حبال ذهبيه، بحسب محجب عيانه المنظر، طرار الساء يوحى بذروه ما نلعه يوما عصر الهضه في السندهه والأراضي الواطئه من استعراى في الملدات الحسيه والترف كما تسهد به لوحات الرسام فيروبيرى وروبانر، أكائل ومائم وحدائل وزهران وعاسل ورنه ذهبيه مسوره سخاء، في وسط الردهه مائده بفيله فحمه من حجر الشب المرخرف بالسيفساء، تردهم عليها سمعدانات وأكواب من الللور وآبيه من الذهب والفضه، بمص بأطعمه فاحره، مجلس حول المائده سخوص الترف في الأرض وهم نأكلون وسربون وسدفعون في الهتاف والعباء، فيهم المريح وهو وسنان، وفيهم المسعرون في اليوم، وبس أكذاس من لحم الوعل وفاكهه مهوله ابعلت الأناربي والأكواب على المائده، كل واحد منهم مفرط في البدائه، محتس الوجه، في ملاس من القطعه، على الرأس تاح محلى بالذهب واللؤلؤ والأحجار الكرمه، فبان فاتناب لا تفك عن السعي نأطاي مزينه وسراب مسعسع، وموسيقى تنم عن دوى فح ماجس بح الصخب بعل فيها عرف الآلات الحاسيه. المسرح عارو في صوء أحر نميل

تلتل ومييل والرعيه وفمع السكر بعلهم سىء من الدهسه والانهار أول الأمر بم سحلفون على النمن في مقدمه المسرح حول سمه النور، وبمضى الهره دون أن بسس بكلمه إلى عيانه المسرح، من الناحه اليمى أنصاً - وترفع سياره قائمه اللون وبمضى]

هو : من هم هؤلاء الساده الضخام الذين يلهون
وبلهمون كل هذه الأطعمه السهبه؟

بسمة النور : إنهم سخوص الرف في الأرض، ممن تراهم
العبون، ومن الجائز - وإن كان الاحتمال
ضئيلاً - أن يكون الطائر الأزرق فد سرد
فتريب عندهم قليلاً، لذلك لا تتعجل إداره
الماسه، وعلينا الآن دفعاً لوهم النقص أن
نستكشف هذا الجانب من الردهه.

هو : وهل نستطيع الاقرب منهم؟
بسمه النور : نعم ولا ريب، فهم غير أسرار وإن كان فيهم
من هو جلف، ومن هو سئ الأدب.
هى : عندهم فطائر لذيده.

الكلب : ولحم صد طري ومفدّد، وأزناد خراف وأكباد
عجول، هذا أطيب طعام في الدنيا، لا يفضل
طعام آخر، فلا سئ يفضل أو يمايل كبد
العجل.

الرجف : إلّا الخبز المصنوع من خالص دقيق القمح،
عندهم أفخر صنف منه ما أجمل أرغفهم!
ما أجمل أرغفهم، انها أضخم منى.

قمع السكر : عفواً عفواً ومائه مرة عفواً! اسمحوا لى،
اسمحوا.. لا أريد أن أخرج شعور أحد ولكن
أنسيتم أن الحلوى هى مجد هذه المائدة فلها من
الرواء البديع ما يفوق - إن جاز لى هذا

التعبير- كل شيء لا في هذه الردهة وحدها
بل ربما في أى مكان آخر.

هو : يا لسمه الرضى والسعادة البادية عليكم،
لا يكفّ لهم هتاف وصحك وغناء، أظن أنهم قد
رأونا.

[ويقوم فعلاً من المائدة يمر من شخوص الترف ويحطون
بصعوبه مسدين أكراسهم بالأكف، ويتقدمون نحو تيلتيل
وصحته].

بسمه النور: : [لتيلتيل] لا بخس سيئاً، انهم أهل حفاوة وكرم
ضيافة وأظن أنهم سبدعونك للعشاء معهم فلا
تقبل دعوه ولا طعاماً، لئلا تنسى مهمّتك.
هو : ماذا؟ حتى ولا فطيرة واحدة صغيرة؟ إن
فطائرهم نبدو نهية طازجة مسكره، محسوة
بالفاكهة، عامره بالقسدة.

بسمه النور : إن عواقبها وخيمة فهي ستحطم إرادتك
وينبغى أن تعرف كيف تضجى ببعض الأشياء
في سبيل أداء الواجب. فافرض بأدب، ولكن
بحزم، ها هم فادمون.

[زعيم الترف مد يديه إلى تيلتيل]

زعيم الترف : مرحباً بك يا تيلتيل، أهلاً وسهلاً.
هو : [ددهسه] أتعرفنى إذن؟ مَنْ أنت؟

زعيم الترف : أنا زعيم الترف، أنا النراء، إننى فادم نيابه عن أخوتى، أدعوك أنت وصحبك لتسرف مآدبتنا التى لا انقضاء لها، وستجد نفسك بين من هم أفضل وأصدق شخوص الترف فى هذه الأرض، واسمح لى أن أقدم لك أهمهم، هذا هو صهرى ترف الحيازة والتملك، وبطنه على هيئة الكمثرى، وهذا هو ترف الغرور والاكتفاء بالنفس، إنه يزهو بأوداجه المنتفخه، وهذا هو ترف الشرب حين لا عطس، وهذا هو ترف الأكل حين لا جوع وهما توأمان وأقدامهما من عيدان المكرونة، [يومان بتحية تيلتيل وهما يترحان] وهذا هو ترف الاستغناء عن كل علم، وهو أصم كالصخر، وهذا هو ترف الاستغناء عن كل فهم، وهو أعمى كجرذ الجحور، وهذا هو ترف الترفع عن كل عمل، وهذا هو ترف الاسترسال فى النوم بعد الشيع منه، ولهما أيد من لباب الخبز وعيون من مُربى الخوخ، وهذا ترف الضحك الغليظ، إن فمه مسعوق حتى الأذنين، ولا أحد يقاوم عدواه.

[يوم بتحيه تيلتيل وبدنه يرتج ويتلوى من الضحك]
هو : [يشير إلى ترف آخر منتح حاساً] وَمَنْ هذا الذى

لا يجرأ على القدم ويدبر لنا ظهره ؟
 زعيم الترف : لا يلح في السؤال، انه في خجل، إذ لا يليق
 تقديمه للصغار [عسك يد تيلتل] ولكن تعال إذن،
 سنبدأ المأدبة من جديد، لقد تكررت عشرين
 مرة منذ الفجر، ولسنا في انتظار أحد غيرك،
 هل تسمع كل الضيوف يهتفون بدعوك،
 لا أستطيع أن أقدمهم لك جميعاً فهم عدديون،
 [مع دراعه للصين] اسمح لي أن أفودكما إلى
 مقعدى السرف.

هو : سكرأ سدى زعيم الترف، يؤسفني أسد
 الأسف أنني غير قادر في هذه اللحظة أن ألبى
 دعوتكم، إننا في عجلة، فنحن نبح عن
 الطائر الأزرق. فلعلك تعرف صدفه أين هو ؟
 زعيم الترف : الطائر الأزرق؟ انتظر إذن، نعم. نعم. أذكّر
 الآن، لقد سمعتُ عنه من قبل، إنه فيها أظن
 طائر لا نؤكل، على كل حال إنه لم يمل فوق
 مائدتنا، ولكن لا نجهد نفسك، فلدينا أساء
 أخرى أفضل منه، فنعال لتساركنا حياتنا
 وتسهد كل ما نفعل.

هو : وماذا يفعلون ؟
 زعيم الترف : كل فعالنا أن لا نفعل شيئاً، فنحن لا نرتاح

ولو دفيعة، إذ ينبغي أن نأكل وأن نسرب وأن
ننام، وكل هذا يستنفد وفتنا كله.

هو : وهل في ذلك متعه؟

زعم الررف : من كل بُدّ، فلس في الأرض متعه سواها.

بسمة النور : أهذا هو اعماذك؟

زعم الترف : [همس إلى تيليتل مشيراً إلى سمة النور] مَنْ يكون هذه
السابة السيئة الأدب؟

[وأساء الحوار السابق محتفياً سحوص نابويه من الترف
بالكلب وفتح السكر والرعيّف ويفودوهم إلى المأدبة الصاحبه
وفحاه بلحط تيليتل صحبه وقد جلسوا على المائدة في إحاء مع
بفيه الصوف، يأكلون ويشربون ويتربحون]

هو : [لسمة النور] أنظري! إنهم على المائدة.

سمة النور : نادهم وإلا كانت العاقبة وخيمة

هو : تيلو! تيلو! تعال هنا، تعال هنا حالاً، سامع؟

وأنت يا قمع السكر، وأنت يا رغيّف من سمح

لكما بالاببعاد عني، ماذا تفعلان هناك بغر إذن

مني.

الرغيف : [وفمه محشواً] ألا سسطع منادانا بلهجه أكر
أدباً.

هو : يا للعجب! منذ مني نعلّمت هذه الجرأة على؟

ماذا دهاك! وأنت يا نيلو. أهذه هي الطاعة

عندك؟ هيّا، تعال هنا، اركع اركع وبأسرع
مما تفعل.

الكلب : [بصوت واطى ومن طرف المائدة] أنا حين آكل
لا أجيب أحداً ولا أسمع شيئاً.

قمع السكر : [بلهجة معسولة] اعذرنا، إننا لا نستطيع أن نخذل
أصحاب بيت لهم مثل هذا الظرف.

زعيم الترف : حلمك حلمك، إنهم بضربون لك المل،
فالضيوف ينتظرونك ونحن لا نقبل الاعتذار،
سنرغمك بلطف على الجلوس، هبا يا سخوص
الترف، ساعدوني، ادفعوه دفعاً إلى المائدة حتى
ينعم بالسعادة رغم أنفه.

[تتقدم سخوص الترف وهي تترج وتتماسك قدر جهدها
ومهلل في فرح ويحذب الصيين وهما يماومان، بينما يلف ترف
الصحك الغليظ ذراعه على حصر سمة النور]

بسمه النور : [إلى تيلتيل] أدر الماسة فقد آن الأوان.

[تيلتيل يستحيب لها، ما يكاد يدبر الماسة حتى يعمر المنظر
ضياء لا وصف ولا حد لنفائه، كأنما تعكس عليه الملائكة لون
أجنحتها الوردية، صاف رفرا، تنفك ويحتفى عن مقدمه المنظر
رحارقه الثميلة وأستاره الصفيقة الأرواحانية، فتكشف عن
حديفه باعمه كأنها من عالم الجرافة، سودها دعه وسكينه، هي
أشبه نساء بصرح أهامته مملكة الباب، ترتاح العن لانسجام
خطوطه وأبعاده، إنها حديفه ثرية بأغصان فتيه تترفق عليها
الصياء، ملتفه ومتشاكه بلا فوضى، الزهور سكرى بطهارها،

ومياه صافيه تنطق بالحدل وهي تصب وتسيل وتصلق في
حداول حاريه، كأنما بمد رحاب الهباء إلى حدود الأفق، تهد-
مائه العريده ولا يبقى لها أثر، ستائر المحمل والحريز وتيجان
سحوص الترف ما تكاد تتلقى أوائل أنفاس هذا الصياء
المشعشع الذي يعمر المطر حتى ترتفع وتمرق وتتهوى،
وكذلك الأفنعة الصاحكة الملقاة تحت أقدام الصيوف وقد
عرتهم الدهشة، ويسمط انتماح سحوص الترف تناعاً على
مرأى العين انشعاط منانه انفجرب، يتبادلون الطراب
وأجفانهم تطرف من أثر هذا الصياء المجهول الذي تعسى له
أبصارهم، وحيثما تتحلى لهم حميقتهم ويرون أنفسهم سحوصاً
دميمه، رحيه، تبيع منهم صيحات الحجل والوحل، تتين
الأذن بوصوح من بينها صيحه ترف الصحك العليط سب
علوها على صيحات الآخرين، وترف الاستعناء عن كل فهم
يظل ساكناً كل السكون، على حين يصطرب رملؤه وقد
أحسوا بالضياح، يتلمسون وسائل الهرب بالاحتفاء في الأركان
للتسر بعتمتها فيما يأملون، ولكن ساء الحدة الرائعه لم يترك
بها أثراً لطل، فيعمد بعضهم في يأسهم من النجاه إلى افتحام
بذير الستاره المائلة في ركن على اليمين، المنعقدة فوقها سقيفه
باب كهف سخوص النؤس، وكلما هم كل واحد منهم في رعيه
بإزاحه الستاره قليلا اسعت من أغوار الكهل سيل من الساب
والمعات والشتائم، أما الكلب والرعيه وقمع السكر فقد
مخاذلوا وتدلج آذانهم وانضموا إلى صحة الصييين واختنوا في
خجل وراءهما].

تلتيل : [وهو يرقب فرار سخوص الترف] ما أبسع دماقتهم.
إلى أين فرارهم؟
بسمه النور : جُن جنونهم ولا ريب، أنهم يلجئون إلى

نسخووس البؤس وأخسى أن يحتجزوهم عندهم
إلى الأبد.

هو : [يلتف حوله مسحورًا بما يرى] ما أجملها من حديقه،

ما أجملها من حديقه، ولكن أين نحن؟

بسمه النور : لم يتبدل مكاننا، إنما التبدل في نظرة العيون،

نحن الآن نسهد حقيقه الأسباب، سرى

سخووس الهناء النى تتحمل سناء الماسه.

هو : ما أبهى هذا المنظر وما ألطف هذا الهواء، بجبل

إلى أننا فى اعتدال الربع، ما الذى أرى؟ من

الفادمون علينا من هناك، لعلهم سيعنون

بأمرنا.

[وتبدأ الحديقه فعلا بالالاء بسخووس ملائكيه كأنما انعلت

من سيات طويل ويحذر باسحام خلال الأسجار، عليها

ملاس يشع منها صرله أطياف ترمح العن لتناسفها

وبهاثفها، تتفتح الزهر فى الحديقه، ويعبر نغر الحداول، ويسرى

سواء فحر وليد، وتتلأأ الندى].

بسمه النور : ها هى ذى فئنه من سخووس الهناء فادمة إلبناء،

بدفعهم حـ، الطلع، ولكنهم أهل ظرف

وسماحه، سنعلم منهم الخبر.

هو : وهل تعرفينهم؟

بسمه النور . نعم، أعرفهم جميعًا فىأى ألم بهم مرارًا دون أن

بدركوا من أنا.

هو : ما أكرههم، ما أكرههم، إنهم فادمون من كل صوب.

بسمه النور : كانوا أكر عدداً من قبل، فقد أضر بهم سخوص الترف.

هو : لا ضير عليهم فقد بقى منهم عدد لس بالليل.

بسمه النور : وسترى كسراً غيرهم كلما طاف صياء الماسه بالحديقة، فإن سخوص الهناء في الأرض أكر مما يظن، ولكن أغلب الناس لا ينتبه إليهم.

هو : ها هم صغارهم يتقدمون إلنا، فلنجر للفائهم.

بسمه النور : لا تتعب نفسك، فكل من بعيننا أمره سبمر من هنا ولا ينسع وقتنا لمعرفة الآخرين.

[صغار سخوص الهاء تونب وتتضاحك بلاء الأمواه، تقدم من مؤخره الحديفه وترقص متحللة حول الصبي].

هو : ما أوسمهم، ما أوسمهم، من أين أتوا؟ ومن هم؟

بسمه النور : إنهم سخوص هناء الأطفال.

هو : هل لي أن أكلهم؟

بسمه النور : لا داعى للكلام فهم لا يعرفون إلا الغناء

والرقص والضحك، أما الكلام فلم يتعلموه

بعد.

هو : أهلاً أهلاً [إلى بسمه النور] انظري إلى هذا الطفل

السمن الضاحك ما أجمل خدودهم وما أبهى
ملابسهم. أكلهم أرياء؟

بسمه النور : كلاً، هنا كما في كل مكان يزيد الففراء على
الأغنياء.

هو : وأين الففراء بهم؟
بسمه النور : لا تتبينهم العين لأن هناء الأطفال ملفوف في
أجمل كساء في الأرض أو في السماء.

هو : [وهو لا يستقر في مكانه] أريد أن أرفص معهم.
بسمه النور : هذا مسنحيل، فليس لدينا وقب، أنى أرى أن
الطائر الأزرق ليس عندهم، وهم فوق ذلك في
عجلة، فأنت تراهم قد أخذوا في الانصراف.
وهم أيضاً وقتهم قليل فلا يُضبعونه هدرًا، فأمد
الطفولة قصير.

[مهرج إلى الحديفه فئه من شخوص الهناء أطول من السامن،
يتعالى غناؤهم وهم يهتفون: ها هم قد أتوا، ها هم قد أتوا، اهتم
يرونا، ثم يرفضون مروح حول الصبيين وعند نهاية الرفصه
يتقدم من هو في الظن زعيم هذه الفئة الصغيره نحو تبلتيل وعدم
له يده]

الهناء : أهلاً بك يا تبلتيل.
هو : مرة أخرى أجد من يعرفني، [إلى بسمه النور] قد
بدأت أن أكون معروفاً لدى الجميع هنا، [إلى
الهناء] من أنت؟

الهناء : أنت لا تعرفني؟ أراهنك أنك لا تعرف أحدًا منا هنا.

هو : [بلا حرج] فعلاً، لا أعرف أحدًا، فلا أذكر أنني رأيته من قبل.

الهناء : [لزملائه] أتسمعون؟ كنت وانفًا أنه سيقول أنه لم يرنّا، [تفجر بنية شحوص الهناء بالضحك] ولكن يا عزيزي تيلتيل، أنت لا تعرف أحدًا غبرنا، نحن دائماً من حولك، في صحبتك، نأكل ونشرب ونصحو ونتنفس ونعيس.

هو : نعم. نعم أنت على حق، أدرك الآن صدق ما تفعله، فإنني تذكرت ولكني أود أن تنبئوني بأسمائكم.

الهناء : أرايت أنك لا تدرك شيئاً، أنا هنا بيت الأسرة، بيتك، وزعيم كل هنا آخر يسكنه.

هو : أفي البيت أشكال أخرى من الهناء؟
[يفج شحوص الهناء بالضحك]

الهناء : هل سمعتم؟ يسأل أفي البيت هنا آخر، البيت يا بنيّ مكتظ بأشكال من الهناء حتى تكاد تفيض من سدود أبوابه ونوافذه، ونحن نرحمه بالضحك والطرب والفرح حتى لتكاد الجدران تتراجع أمامنا وحتى يكاد السقف يطير، ولكن

مهيا بذلنا من أنفسنا لك فأنت لا برانا. أرجو
 أن ترجع عقلك لرأسك قليلاً من فادم، وإلى أن
 يحدث لك هذا تعال صافح أعاننا حتى إذا
 رجعت لبيتك سهل عليك تبينهم نم نعرف في
 نهاية يوم سعيد كيف تسجعهم بابتسامه منك
 وتسكرهم بكلمه طيبة، لأنهم يبذلون كل
 جهدهم من أجل أن تنعم بحياة حلوة خفيفه
 الحمل، دعني أهدم لك نفسى أولاً، خادمك
 المطبوع: هناء المتمتع بالصحه والعافيه، ولعل
 جمالى لا يفوق جماهم بريقاً، ولكنى أهمهم،
 أتعرفنى الآن؟ وها هو هناء المتمتع بالهواء
 الطلق، إنه يكاد يكون سفاقاً، وها هو هناء تتمتع
 الولد بمحبته لأبويه، ينمّ لون نوبه الرمادى عن
 حسمته ولا يسلم من حزن طفيف لأن العيون
 فلما تأبه به، وهذا هو هناء المتمتع بالسما
 الزرفاء، نوب أزرق بطبيعته الحال، وهذا هو
 هناء المتمتع بالغابه، ونوبه أخضر بطبيعته الحال
 أيضاً، ستراهم جمعاً إذا جلست إلى النافذه،
 وهذا هو هناء المتمتع بإسراق الشمس، له لون
 الماس، وهذا هو هناء المتمتع بالربيع، إنه فى
 لون الزمرد وبه طيس.

هو
الهناء

: هل لكم هذا الجمال كل يوم؟
: أى نعم، فكل الأيام يوم عيد فى كل البيوت،
إذا عرف أهلها كيف يفحون عيونهم، ثم إذا
حل المساء وأتاك أصحابى هؤلاء، دعنى أقدمهم
لك، هذا هو هناء التمتع بالغروب، وهو أبهى
من كل ملوك الأرض، ثم يتبعه هناء التمتع
بطلوع النجوم وببابة من ذهب كآلهة الأقدمين،
ثم إذا تكاثرت السحب وأتاك صاحبى هذا، إنه
هناء التمتع بالمطر وبوبه مطرز باللؤلؤ، ومعه
هناء التمتع بمدفأة الشتاء الذى يسدل على
الأيدي المنسلجة وساحه الفرمتى، ولكنى لم
أحدثك عن أفضلنا جميعاً لأنه يكاد يكون أختاً
سقيفاً للنعم الكبرى الصافية التى سراها
قريباً، وأعنى به هناء التمتع بفكر طاهر رىء،
وهو أكثرنا نقاءً، وها هو هناء آخر، ولكن
ما أكر من احتاج إلى تقديمه إليك، ولو فعلت
لما انتهيت، فينبغى لى أن أنبىء بمقدمكم النعم
الكبرى المشرفة علينا هناك، فى آخر الحديفة،
بالقرب من باب السماء، فإنها لا تعلم بعد أنكم
قد أتيتهم، سأبعب إليهم بهناء التمتع بالجبرى
على قطرات الندى بأقدام حافية، فهو أخفنا

حركة [مخاطب الهباء الذى وقع عليه اختياره، فيتقدم مسرعاً
فى الترحيب بالحركة والتوب - ويستطرد الهباء قائلاً له]
هياً، طِرْ إلى حيث أرسلتك.

[يتقدم فى هذه اللحظة هناء آحر، عارٍ إلا من سر أسود على
خاصرته، يراحم بفيه سحوص الهباء وهو يهمهم بكلمات عر
مهمومه، ويفترب من تيلتيل وهو يتوب، فيعانه بوضع كفه
على الأنف وتلعيب أصابعه، محاولاً صفعه أو ضربه بالقدم، وإذا
هم تيلتيل بصدده قلص منه].

هو : [وقد علت له الدهشة والحنق] من هذا المتوحّس ؟
الهناء : أمرى لله، لا مفرّ من أن أهدمه لك، إنه هناء
العفرتة، وقد هرب من كهف سخوص البؤس،
لا ندرى أين نحتجزه، فإنه يهرب من كل
محبس، بل إن سخوص البؤس ترفض إيواءه.
[بتمادى هناء العفرتة فى معاكسة تيلتيل الذى يحاول عثا صده
عنه، ثم إذا به ينفجر فحاًه بضحكة عاليه ويصرف بلا دافع
كما أقي].

هو : ماذا به ؟ هل أصابه مسّ من الجنون ؟
بسمه النور : لست أدرى، والظاهر أن حالك يكون كحاله
حين تتحامق وتركب رأسك، ولكن بقى علينا
أن نسأل عن الطائر الأزرق فلعل زعيم هناء
البيت لا يجهل مكانه.

هو : [يسأل الزعيم] أين الطائر الأزرق ؟

- الهناء : صاحبنا لا يعرف الطائر الأزرق.
[يضع كل سخوص هناء اليب بالصحك]
- هو : [اى غضب] نعم، لا أعرف أين هو، وليس فى هذا
مدعاة للضحك.
- [صحكاب أخرى]
- الهناء : حلمك، لا تغضب، [ثم إلى بقية سخوص الهناء]
دعونا الآن نتكلم بجِدٍّ، إنه صادق فى قوله إنه
لا يعرف ابن الطائر الأزرق. وما العجب فى
ذلك؟ إنه ليس بأقلَّ غفلة عن بفيه الناس،
ولكن ها هو هناء التمتع بالجري على فطرات
الندى بأقدام حافية قد نقل النبأ إلى النعم
الكبرى وها هى ذى تتقدم إلينا.
هو : ما أجملهن، لماذا لا يضحكن. أهّن غير
سعيدات؟
- بسمّة النور : لا يكون الضحك دائماً دليلاً على فرط السعادة.
تلنيل : مَنْ هُنَّ؟
- الهناء : هى النعمُ الكبرى.
- هو : أتعرف أساءهن؟
- الهناء : أعرفها بطبيعة الحال، فلطالما لعبت معهن، ها
هى ذى أولاً وفى مقدمه الباقيات، نعمة الفدره

على العدل، وهى تبتسم كلما رأب انتصاراً على ظلم، وأنا لصغر سنى لم أرها ببسم بعد، وم رائها نعمة طيبه القلب، هى أكرهن سعادته وإن كانت أكرهن أسى، ونحن لا نحتجزها إلا بمسقه عن مضها لسخوص البؤس الذين تود أن تواسبهم، وعن السمين نعمة الراحة فى إنجار العمل، بجانبها نعمة الفكر، ثم نعمة الفهم، وهى تبحث دائماً عن سفيقها: برف الاسغناء عن الفهم.

: ولكنى رأيت سفيقها، إنه ذهب إلى سخوص البؤس مع سخوص النرف.

: كنت وانما من ذلك فإنه أصبح ضالاً أحمى من فرط معاسرته لقرناء السوء، فأصيب طباعه بالسذوذ، ولكن حذار من أن نجى سيرته على لساننا أمام شقيقته وإلا مضت تبحث عنه وفقدنا بذلك وجود نعمة كبرى بيننا، وهى ذى أيضاً واحده من النعم الكبرى إنها نعمة رؤيه الجمال أينما كان، إنها بضى كل يوم مزيداً من بهاء أسعتها على الضوء الذى بغمر هذا المكان.

: ومن هى المانلة هناك، بعداً، بين السحب

هو

الهناء

هو

الوردية، لا أراها إلا إذا سبب غابه جهدى
على أصابع قدمي.

الهناء : هذه هي نعمه الفدره على الحب، ولكن هبها

لك أن تتبينها كل البين فأب ما زلت صغيراً.

هو : وَمَنْ هُنَّ الواففات إلى الخلف، بمنعهن الهب

عن البقدم إلينا، ولماذ وجوههن محبه؟

الهناء : هي النعم التي لم يعرفها الإنسان بعد

هو : وماذا بدره الأخريات لنا، وما هن قد انسفن

صفن؟

الهناء . لاسمبال نعمه أخرى فادمه، لعلها أكر النعم

طهاره وصفاء.

هو : وَمَنْ نكون؟

الهناء : ألم تتبين بعد؟ فأمعن النظر إلها، وافنح عينك

لبطل مهبها قلبك أيضاً. هذه النعمه قد رأنا، قد

رأناك، إنها نجرى نجرى فأنحة لك ذراعها، إنها

نعمه الأمومه متملة في أمك، وإن نعمه الأمومه

لبس كمنلها نعمه أخرى.

[تراحم النعم حول نعمه الأمومه وترحب بها بم تصطف من

يديها وتلرم الصب توفيراً لها]

نعمه الأمومه : تبلسل وأب با مبنيل، كيف أجدكما هنا؟ لم

أكن أبوقع لواءكما، إذ كنت أعانى من الوحده

في البب، فإذا بكما تعرجان إلى السماء حب
سألق بالسرور أرواح كل الأمهات، ولكر
لتبادل العناق والقبلات، قبال كسره، قدر
ما نستطيع، ارغما في حضني فليس في العالم
سعادة أكبر من هذه السعادة، لماذا لا ببسم
من البسر با تلسل، وأنت كذلك يا متبل،
ألا تبنتان حب أمكما، انظرا إلى يامعان،
ألا ترمان عني وسفني وذراعي.

هو : نعم، نعم، إنني أبينها ولكني لم أكن أدري، لك
صوره أمنا ولكنك أجمل منها.

نعمة الأمومة : هذا حق لأنني أصبح لا أنفدم في
السبخوخة، وكل يوم بمضي بمنحني فبضا من
القوة والسباب والسعادة، وكل بسمه منكما
ترفع مما مضى لي من عمر سقل كاهلي سنة
بأكملها، لا يبين لكما هذا في البب ولكن كل
شيء هنا منبين على حقيقه.

هو : - بأخذه الدهسة وبتأمل أمه ويحضنها ويعانفها
بدوره - ما هذا التوب الجميل، من أي نسبيج
هو؟ أهو من حربر أو من فضة أو من لؤلؤ..
نعمة الأمومة : كلا، إنه من حنو النظرات والقبلات
واللمسات، فكل قبله نهبه شعاعا من القمر أو

من الشمس.

هو : هذا عجيب، فلم أكن أحسب قط أنك على
مل هذا النراء، فأين إذن كنت تخفبن هذا
الوب الجميل، أفي الصوان الذي مفتاحه مع
أبي؟

نعمة الأمومة : كلا، كنت ألبسه كل يوم، ولكن العين لا تراه
لأنها لا ترى شيئاً إذا كانت بلا بصيرة فكأنها
مغمضة؛ هذا الرء لكل أم تحب أولادها،
فقيره هي أم دميمة أم عجوز، فإن حبّ الأم
لأولادها هو من بين النعم الكبرى أكثرها
جمالاً وبهاء وكل سحابة من الحزن على وجه أم
يكفيها لكي تنقنع وتتبدد قبلة واحدة تهبها
أوتناها وتصيح الدموع نجوماً تتلأأ في
محجريها.

هو : [يطر إليها في دهسه] نعم، هذا حق، فأبي أرى
نجوماً تتلأأ في محجريك، إنها عيناك كما
عرفتها ولكنها الآن أكثر بهاء، وها هي ذي
يدك أيضاً، وها هو ذا خاتمك، بل ها أنذا أرى
أنر المحرق الذي أصابها ذات يوم وأنت تشعلين
المصباح، ولكن زاد بياض هذه اليد وزاد صفاء
بشرتها، كأنما يفيض منها النور. أهي تعينك الآن

في العمل كما كانت تفعل سابقنها في البيت؟
نعمه الأمومه : نعم، فهي يد واحدة لم تتبدل، أفلم تكن تراها
في البيت تتألق بالبياض ويفج منها النور كلما
ربتت عليك بعنان؟

تيلتل : هذا عجيب يا أمي، هذا هو صوتك بعينه،
ولكن كلامك هنا أجمل من كلامك في البيت.
نعمه الأمومه : أنسبت كثرة مناسلي في البيت وزحمة العمل،
ولكن إحساس القلب يغني عن شهادة الأذن
والآن وقد أبصرتني فهل ياترى ستتبين صورتي
هذه إذا عدت للكوخ غداً ورأيتني في بيابي
الممزقة؟

هو : لا أريد أن أعود مادمت أنت هنا، فإني أحب أن
أكون معك طوال بقائك في هذا المكان.

نعمه الأمومه : الأمر سيان، لا فرق بين بقائنا معاً هنا وبين
بقائنا معاً في البيت، أنت وأنا، أنت لم تأت
هنا إلا لتدرك وتعرف في أية صورة نبغى لك
أن ترائي حين ترائي في البيت. أفاهم أنت
يا تيلتل؟ أنت تحسب أنك الآن في عالم
علويّ، ولكن هذا العالم العلويّ لم يكن
ينقصنا من قبل كلما تبادلنا العناق والميلات،
ومعنى الأم لا يقبل الننية، فليس لك أم

سواى، لكل ولد أم واحده لا تتبدل، هى
عنده دائما أجمل الأمهات ولكن ينبغى له أن
يدرك حقيقتها ويعرف كيف يراها، ولكن فل
لى كيف فعلت حى وصلت إلى هذا المكان
ووجدت طريقا ظل الإنسان يبحث عنه منذ
أن سكن الأرض؟

هو : [مشيرا إلى سمه النور] هى التى قادتنى [تراجع سمه
النور متحشمة].

نعمة الأمومة : ومن تكون هى؟

هو : إنها بسمه النور.

نعمة الأمومة : إذن هى صاحبتك التى سمعتُ عنها، يقولون
إنها تحبك كثيرا، وإنها طيبة القلب. ولكن لماذا
تتجنب؟ ألا تسفر عن وجهها أبدا؟

هو : نعم نعم، ولكنها تخشى أن يتزلزل الهناء إذا
تجَلَّتْ له الحقائق بفضلها.

نعمة الأمومة : ألا تدرى صاحبتك إذن أنها هى التى ننتظرها
دون أحد سواها، [تنادى على بقية النعم] أقدمن
يا أخواقى، أقدمن جميعكن، هذه هى بسمه
النور جاءت أخيرا لتزورنا.

[تريط النعم وهلل وهى تعترب].

النعم : بسمه النور هنا، بسمه النور هنا.

- نعمة الفهم : [تزيح كل أحواتها لتتفرد بمعانمه سمة النور] لم نكن ندرك أنك بسمه النور، فأنت أذن هي، لقد لبنا ننتظرك زمنا طويلا، أتعرفنني؟ إنني نعمة الفهم الى طالما بحسب عنك، إنني في غاية السعادة وإن كنت لا أرى أبعد من أنفى..
- نعمة العدل : [تعانفها بدورها] هل تعرفنني؟ إنني نعمه العدل التي طالما ناسدتك البعون، إنني في غاية السعادة وإن كنت لا أرى أبعد من ظلي.
- نعمة الجمال : [تعانفها كذلك] إنني نعمة القدرة على رؤية الجمال التي طالما هامت بك، إنني في غاية السعادة وإن كنت لا أرى أبعد من مسرى أحلامي.
- نعمة الفهم : كفى كفى يا أخواني وإلا طال انتظارنا، نحن لا نقصنا ببات القوة، ولا تنقصنا سلامة الطوية، [مخاطبة سمة النور] هيا، انزعى كل الأحجة التي تخفى عنا بقية الحقائق، وبفيه النعم، ها أنت ذى ترين كل أخواني راكعات عند قدميك، فأنت مليكتنا، وأنت نوابنا.
- سمة النور : [وهي تفس في حجب وجهها] أخواني، أخواني، الجميلات، إن لي مولى أطعمه، لم يحن الوقت بعد، لعله يحين فيما بعد، حينئذ سأقبل عليكين بلا خسبة، منفلة من حجب الظلال، فوداعا،

انهضن نتبادل العناق، مرة بعد أخرى، سأن
سفيقات اجتمعن بعد فراق، انتظاراً منا للوم
الموعود.

نعمة الأمومة : لن أنسى كرم رعايتك لولديّ الحبيبين.
بسمة النور : إنني سأرعى دائماً كل أناس يحب بعضهم بعضاً.
نعمة الفهم : لتكون آخر قبلاتك قبلة على جيبني.
[تشادلان العاي طويلاً ثم تمصلاً وإذا العيون دموع
تترقرو].

هو : [دهشة] لماذا تبكين؟ [ينظر إلى بقية العم] وأنتن
أيضاً، لم البكاء، لماذا لم تبقي واحدة لم تترقرو
في عينيها الدموع؟
بسمة النور : اسكت يا بنى...
[ستار]

الفصل الخامس

المنظر العاشر: عالم الغد

[بهو فسيح في قصر الأثير، حيث يقيم الأطفال الذين لم يولدوا بعد، على مد النظر أعمده من الياقوت تسند عقوداً من الزمرد، كل ماى البهو من سوء وعتبات لازوردية، وشعشعه سياه البهو حيث تتراوح الأعمده، وتنهم أواخرها. كل الأشياء كبيرها وضئيلها محلها علالة من زرعه لطيمه كأها من عمل السحر أو من سح الخيال، سند عن ذلك فواعد الأعمده وتيجانها والأحجار واسطه العقود وبعض الكراسى والمقاعد الدائره فإنها من الرعام أو المرمر، إلى اليمين، بين الأعمده أبواب ضخمة من العقيق، هذه الأبواب الى سيفتحتها الدهر قبل حتام المنظر فتتكشف الحياه على الأرض ومطانع الفجر، يتناثر تناسق في كل أرجاء البهو حشد من الأطفال، يلسون نباتاً في زرعه السماء، بعضهم يلعب، وبعضهم يتمشى، وبعضهم مستغرق في الحديث أو الأحلام، وكبر منهم في سباب، وكبر مهم أيضاً يشتعلون بين الأعمده تتجارب تسمر عن محترعات الغد، ما يصنعونه من أدواب وعدد وأحجرة، وما يزرعونه أو يحنونه من نبات وزهور وفاكهه تلفها جميعا علالة من الزرعة السماوية التي يحلل البهو كله، يحوس بن الأطفال في صمب سخوص كأنها من ملائكة، لها قامة مديده، وبهاء رائع مطمئن.

يدخل من اليسار، وكأن الدخول حلسة، بالتسحب حلف الأعمده في مقدمه المسرح كل من تيلتيل وميتيل وبسمه النور فينور لدخولهم بين الأطفال هرح ومرج، ثم يهرعون إليهم من كل صوب، ويتحلفون حول هؤلاء الروار الأغراب وينظرون إليهم

دهشة]

مسئل : أين قمع السكر والهرة والرغيف؟

بسمه النور : ليس من شأنهم الدخول هنا، فلو تركناهم
يدخلون لعرفوا المستقبل ورفضوا الطاعة.

ميتيل : والكلب؟
بسمه النور : بحسن أيضًا أن لا يعلم ما ينتظره على مرّ
القرون، لقد جمعهم كلهم في قبو الكنيسة.

هو : وأين نحن؟
بسمه النور : نحن في عالم الغد، بين الأطفال الذين لم يولدوا
بعد، وبما أن الماسه ستتيح لنا أن نبصر هنا
بوضوح كل ما يعجز الإنسان عن رؤيته فإننا
في أغلب الاحتمال سنعر هنا على الطائر
الأزرق.

هو : عسير أن لا يكون أزرق اللون، فهذا هو لون
كل شيء هنا (يتأمل فيما حوله) ما أجمل هذا
المشهد.

بسمه النور : أنظر إلى الأطفال الذين يجرون إليك.
هو : هل أغضبهم حضورنا؟
بسمه النور : كلا، فأنت ترى أنهم يبتسمون ولكنهم في
دهشة.

الأطفال الزرق : [يجرون إليهم وقد تكاثر عددهم] أحياء صغار، تعالوا
وانظروا الأحياء الصغار.
هو : لماذا يسموننا بالأحياء الصغار؟

بسمه النور : لأنهم لم يصبحوا بعد من الأحياء.

هو : وماذا يفعلون إذن؟

بسمه النور : إنهم ينتظرون ساعه مولدهم.

هو : ساعه مولدهم.

بسمه النور : نعم، فهنا يتجمع كل الأطفال الذين يولدون في

الأرض، وكل واحد منهم ينتظر ساعه، وحين

يود الأباء والأمهات أن يرزقوا بأطفال فإن

هذا الباب الكبير الذى تراه هناك، على اليمن،

ينفتح ويخرج منه هبتهم من الأطفال.

هو : ما أكثر عددهم، ما أكثر عددهم؟

بسمه النور : وهناك كثير أيضا غيرهم، فنحن لا نراهم

كلهم، نحيل عدد الأطفال الذين سيعمرون

الأرض إلى آخر الدهر، لا أحد يفوى على

إحصائهم.

هو : ومن هى تلك الشخصوس الزرق؟

بسمه النور : لا يدرى أحد أمرها على وجه التحقبق، يقال

إنها الحارسات الحفظه، وعهدا بالأرض نأى

بعد عهد البشر، غير أنه لا يجوز لنا أن

نستجوبها.

هو : ولماذا؟

بسمه النور : لأن ما عندها هو سر الأرض.
هو : وما الفول في الصغار؟ هل نستطيع أن نكلمهم؟
بسمه النور : نعم، وينبغي أن نتعارف، انظر، ها هو ذا واحد
منهم أسد من الآخرين تطلُّعا إليك فاقترب منه
وكلمه.

هو : وماذا أقول له؟
بسمه النور : ما شئت، كأننا نتحدث إلى رفيق.
هو : وهل لي أن أصافحه؟
بسمه النور : بطبيعته الحال. فهو لن يؤذيك، ولكن عجباً لك،
لم هذا التهيب، سأترككما وحدكما لتجد راحتك
معه، نم لأبد لي من أن أتحدث مع السخوص
الزرق.

هو : [يعترب من الطفل الأزرق ويعد له يده] أهلاً وسهلاً،
[يلمس بأصبعه نومه الأزرق] ما هذا؟
الطفل الأزرق : [يلمس بجذّ قنعه تيلتيل] وما هذه؟
هو : هذه هي فبعتي، أليس لك فبعة؟
الطفل الأزرق : لا، وفيّمْ لبس القبعات؟
هو : خلعها يعني الإشارة بالتحبه، ثم إنها تنفع في
البرد.

الطفل الأزرق : ما هو البرد؟
هو : حين يرنجف جسّدك هكذا [يمد تيلتيل حركه ارتجاف

المقروء] وحين تنفخ في كفيك وتطوح بذراعيك

هكذا [يطوح تيلتل بذراعيه].

الطفل الأزرق : هل في الأرض برد؟

هو : نعم، في فصل الشتاء، حين لا حطب في المدفئة.

الطفل الأزرق : ولماذا لا يكون فيها حطب؟

هو : لأنه غالى الثمن ولا بد من نفود لسرائه.

الطفل الأزرق : ماهى النفود؟

هو : هى السوء الذى ندفع به.

الطفل الأزرق : فهمتُ.

هو : وبيننا من عنده نقود، وبيننا من ليس عنده

نفود.

الطفل الأزرق : ولماذا؟

هو : لا نقود إلا عند الأغنياء، هل أنت غنى؟ كم

عمرك؟

الطفل الأزرق : سأولد عما قريب، بعد عشر سنوات، كيف

وجدت أنت الولادة، هل طببت بها؟

هو : نعم وسررت أيضًا.

الطفل الأزرق : وماذا فعلت لتناها؟

هو : لم أعد أذكر، ففد مضى عليها وقب طويل.

الطفل الأزرق : سمعنا كلامًا كثيرًا عن جمال الأرض وجمال

الأحياء.

هو : صدفت، فأنا لا أشكو من سىء، فعندنا طيور
وكعك ولعب، بعض الأولاد عندهم كل هذا،
ومن ليس عنده يستطيع أن يتمتع برؤيتها فى يد
الآخرين.

الطفل الأزرق : سمعنا أن الأمهات يفنن بالأبواب لمراقبتنا،
يفال إنهن طيبات القلب، أحقّ هذا؟

هو : نعم، الأمهات أبدع سىء فى الأرض، والجدّات
أيضاً، غير أن الموت بتخطف الجدّات سريعاً.

الطفل الأزرق : تقول الموت؟ ما هو الموت؟

هو : رحيل ذات مساء بلا عودة.

الطفل الأزرق : لماذا؟

هو : لا أحد يدري، لعلّ الدافع على الرحيل هو
طلب النجاه من الأحزان.

الطفل الأزرق : وهل رحلت عنكم من تسميها جدتك؟

هو : نعم، وكانت طيبه القلب جدّاً.

الطفل الأزرق : ماذا جرى لعبتك، إنها تذرفان لؤلؤاً.

هو : ليس لؤلؤاً.

الطفل الأزرق : ما هو إذن؟

هو : لا شىء سوى أُر انبهار بصرى من انتشار

الزرفة حولى.

الطفل الأزرق : وما اسمه؟

- هو : اسم ماذا ؟
- الطفل الأزرق : هذا الذى بنفرو فى عنك.
- هو : ما هو إلا فطرات من الماء.
- الطفل الأزرق : وهل ينبع من العينين ؟
- هو : نعم، أحياناً، عند البكاء.
- الطفل الأزرق : تقول البكاء ؟ ما هو البكاء ؟
- هو : إننى لم أبك، الذنب ذنب الزرقة من حولى، ولو بكيت لكان حالى أيضاً كما نرى.
- الطفل الأزرق : وهل سيكون عندكم كبيراً ؟
- هو : الصبيان لا يبكون، أما البنات... وهل عندكم أنتم بكاء ؟
- الطفل الأزرق : كلا، ولا أعرف كيف أبكى.
- هو : صبراً! سنعرف فيما بعد، بماذا تلعب، ما هذه الأجنحة الكبيرة ؟
- الطفل الأزرق : هذه ؟ إنها من أجل الاخراج الذى سأقوم به فى الأرض.
- هو : أى اختراع هو ؟ هل اخترعت شيئاً ؟
- الطفل الأزرق : نعم، أفلا تدري ؟ حين أحلّ بالأرض ينبغى لى أن أخترع الشيء الذى يهب السعادة.
- هو : أهو سىء لذيذ أكله، أم سىء له ضجيج ؟
- الطفل الأزرق : كلا، لا حسّ له.

- هو : يا للخسارة..
- الطفل الأول : إننى أسغل به كل يوم، وأكاد الآن أنجزه، هل تريد أن تراه؟
- هو : طبعاً، أن هو؟
- الطفل الأزرق : هناك، بين عمودين، يمكنك أن تراه من هنا.
- [يقترّب طفل أزرق آخر من تيلتيل ويشده من كفه]
- الطفل الثانى : هل تريد أن ترى اختراعى أنا أيضاً؟
- هو : نعم، وما هو؟
- الطفل البانى : الوصفات الأربع والأربعون لإطالة الحياه، إنها فى هذه الزجاجه الزرقاء.
- طفل بالب : [مخرج من الحشد] أما أنا فأسأسلط نوراً لا يعرفه أحد [يسطع جسمه بنور عجب] أليس هذا بغريب؟
- طفل رابع : [يشد تيلتيل من ذراعده] تعالَ لكى ترى الآله الى اخترعها، إنها تخلق فى الهواء كأنها طائر بلا جناح.
- طفل خامس : صبراً صبراً، تعالوا أولاً لتروا اختراعى أنا، إنه يكسف الكنوز المخبوءة فى الفم.
- [يتزاحم الأطفال الزرق حول تيلتيل وميتيل ويناسدهما كل واحد منهم بالدم برؤيه احراعه أولاً، ويختلط الأصوات فيقول صوب «إنه أحمل اختراع» ويقول صوت «إنه أعجب اختراع» ويقول صوب «إنه متشكل من السكر» ويقول

صوب «إن سر اختراعى هو فى بساطته» ويقول صوب «لقد
سرفوا مئى فكرى»

وفى هذا الضحيح يشدون تيلتيل وميتيل إلى ناحيه المعامل
الررى حيث يدور كل طفل آله المدهشة فتدور فى حو أرق
عجلا واسطوانا وتروس وأشياء عحيه لم تحد لها اسماً إلى
اليوم، كأنها فى عالم من صبع الخيال، آلات كثيرة عريه مجهوله
السر تطلق ويحوم أعلى البهو أو ترحف على الأرض حول
الأعمده على حين يشغل بعض الأطفال الررى بسط لعائف
الخرائط والرسوم وتقلب صفحات الكتب وإراحة الستار عن
تماثيل زرى ونناول زهور ضحمة وفواكه هائله الحجم وكأنها من
ياقوت ورمرد].

الطفل الأزرق : [وهو رازح نحب حمل زهره زرقاء صحمه] انظروا إلى
أزهارى.

هو : ما هذه الأزهار؟ لا عهد لى بها.

الطفل الأزرق : إنها من زهور الربيع.

هو : مستحيل، إنها كبيرة كعجلة الفطار.

الطفل الأزرق : وما أذكى عطرها؟

هو : [يشمها] هائل جداً.

الطفل الأزرق : ستكون الأزهار هكذا حين أنزل إلى الأرض.

هو : متى إذن؟

الطفل الأزرق : بعد ثلاث وخمسين سنة، وأربعه سهور، وتسعة
أيام.

[ويأتى اثنان من الأطفال الزرق يحملان عنقوداً عجيباً من
العنب، حسانه في حجم الكمثرى وكأنه ثريا للوردة ضخمة]

أحد الطفلين : وما رأيك في فاكهتي؟
هو : أهو عنقود من الكمثرى؟
الطفل : كلا، إنه عنقود من العنب، وسيصبح كل عنب
هكذا حين أبلغ الثلاثين من عمري، فقد
اكتسفت السرّ.

طفل آخر : [ينوء بحمل قفص به تفاح في حجم الطيخ] انظرني أنا.
هل ترى تفاحي؟

هو : إنه بطيخ لا تفاح.
الطفل : كلا، إنه تفاحي، وهو ليس أفضل ما عندي،
كل تفاح سيكون هكذا حين أصبح بين
الأحياء، فقد اهديت إلى السرّ، وسأكون
بستانى الملك صاحب الأفلاك التسعة.

هو : الملك صاحب الأفلاك التسعة؟ أين هو؟
الملك : [يتقدم بحياء، عمره أربع سنوات فيما يبدو] لا يكاد
يملك الوهوف على ساقيه الصغيرتين المعوجتين،
هو أنا.

هو : ولكنك غير كبير السنّ.
الملك : [بلهجة ملؤها الجذ والعتاب] غير أن كل الذى
سأفعله سيكون كبيراً.

- هو : أى سىء ستفعل ؟
 الملك : سأؤسس الاتحاد العام للأفلاك السماويه.
 هو : [ملحاً فى السؤال] حقاً ؟
 الملك : كلها ستصبح أعضاء فى الاتحاد ما عدا
 المسترى وأورانوس ونيبتيون فهى على بعد
 مهول يجلب عن الفياس.
 هو : سىء بديع.
 طفل أزرق : هل ترى هذا الطفل هناك ؟
 هو : أيهم ؟
 الطفل : هناك، الطفل الصغير النائم عند قاعدة عمود.
 هو : وما خبره ؟
 الطفل : إنه سيهب الفرَح للأرض.
 هو : وكيف ؟
 الطفل : بأفكار لم تتولد بعد.
 هو : وهذا الطفل السمين الذى يدس أصبعه فى أنفه،
 ماذا سيفعل ؟
 الطفل : سيكسف النار التى تستمد منها الأرض دفئها
 إذا ما وهنت حرارة الشمس.
 هو : وهذان الطفلان اللذان لا يكفان عن تبادل
 العناق وقد شدَّ كل منهما على يد الآخر. هل هما
 أخ وأخت ؟

- الطفل : كلا، إنها طفلان نحن في حيره من أمرهما، إيهما هما العاسقان.
- هو : وما معنى عاسق؟
- الطفل : لسب أدرى، هكذا سميها الدهر، من قبل السحريه بهم، لا عمل لهما طول اليوم إلا بادل النظرات والقبلات وتهذاب الوداع.
- هو : ولماذا؟
- الطفل : لأنهما لن ساح لهما فيما يبدو أن ننزلا إلى الأرض معاً.
- هو : وهذا الطفل أبو الخدين الموردين الذى مص إيهامه وقد بدت عليه إمارات الجد. من هو؟
- الطفل : إنه - فيها يبدو - المكلف بمحو المظالم من على وجه الأرض.
- هو : حقاً؟
- الطفل : يقال إنه عمل ساق.
- هو : وهذا الطفل الأسفر الذى تمسى وكأنه لا يرى شيئاً، هل هو مصاب بالعمى؟
- الطفل : لم يصبه للآن ولكن سبصبيه فيما بعد، تأمله جيداً، إنه فيها يبدو المكلف بالانتصار على الموت.
- هو : ماذا سيعمل؟

الطفل : لست أدري على وجه النقص، ولكن يقال إن عمله سيكون هائلاً.

[يسر تيلتل إلى أطفال نائم عند فواعد الأعمدة، وهو الدرج وعلى المقاعد]

هو : وكل هؤلاء النائم، وما أكر النائم هنا، ألن يكون لهم عمل؟

الطفل : إن ذههم هو الذى يعمل الآن.

هو : من أجل ماذا؟

الطفل : إنهم لا يدرون بعد، ولكن ينبغي لهم أن يمنحوا الأرض شيئاً فممنوع علينا هنا أن نخرج إلى الأرض وجعبتنا فارغة.

هو : ومن الذى يمنعكم؟

الطفل : إنه الدهر الذى بفف بالباب وسرى حين ففتح أنه لا نرفق بنا.

[طفل بحرى من مؤخره الهوى يسوق الحسد].

الطفل : أهلاً يا تيلتل.

هو : عجباً، كيف عرفت اسمى.

الطفل : [وهو يلهو وبرش تيلتل وميتل صلات حارة] أهلاً

بكما، كيف حالكما، نعال يا تيلتل عاننى، وأنت أيضاً يا مييل، ليس من العجب يا تيلتل أن أعرف اسمك إذ أننى سأكون

أخاك، لم أسمع إلا الآن بمقدمك، كنت في نهاية
البهو منشغلاً بجمع أفكارى وحزمها، قل لأبى
إننى مستعد.

هو : كيف؟ أعازم أنت على المجئ عندنا؟

الطفل : طبعاً، السنة القادمة، في عيد الفصح، أرجوك أن

لا تعذبني كثيراً أثناء طفولتي بينكم، ويسعدنى
أن استطعت عناقكما مقدماً، وقل لأبى أن يصلح
المهد، هل الأحوال عندكم طيبة؟

هو : لا بأس بها، وأمى طيبة القلب جداً.

الطفل : والطعام؟

هو : أنت وبختك، وقد تأكل في بعض الأيام فطائر

حلوة، أليس كذلك يا ميتيل.

هى : فى الأعياد وأمنا هى التى تصنعها بيدها.

هو : ما هذا الذى وضعته فى كيسك. ما الذى ستأتى

به إلينا؟

الطفل : سأتى ومعى ثلاثة أمراض : الحصبة، والسعال

الديكى والحمى القرمزية.

هو : كفاية كفاية، نم ماذا أنت فاعل بنفسك بعد

ذلك؟

الطفل : بعد ذلك سأرجل.

هو : لم يكن هناك إذن داع للمجىء.

الطفل : وهل لنا خيار؟
[يعلو في هذه اللحظة ثم ينتشر صوب الملورى له دذبة متصله
قوية ينبعث فيها يبدو من الأعمده والأنواب العفيقيه وقد غمرها
نور أشد سطوعاً].

هو : ما هذا؟
الطفل : هذا هو الدهر، إنه يوسك أن يفتح الأبواب.
[يشيع الهرج والمرج من الأطفال، يترك أغلهم آلاهم
وأعمالهم، النائم منهم يستيقظ، وبحول الجميع أنصارهم نحو
الأنواب العفيقيه نم يفتربون منها].

بسمه النور : [وقد عادب إلى تيلتيل] هيّا نحاول الاختفاء وراء
الأعمده، إذْ ينبغي أن لا يكتشف الدهر
وجودنا هنا.

هو : من أين ينبعث هذا الصوت؟
الطفل : إنه الفجر وقد أوشك أن يطلع، إنها الساعه التي
ينزل فيها إلى الأرض كل طفل سبولد اليوم.

هو : وكيف ينزلون؟ هل هناك سلم؟
الطفل : ستري، انظر إلى الدهر، إنه يسند المزلاج.

هو : ومن هو هذا الدهر؟
الطفل : إنه رجل شيخ، ينادى الأطفال النازلين.

هو : وهل هو سرير؟
الطفل : كلا، لكنه لا يسمع لنا قولاً فإنه رغم التوسّل

يصد كل راغب في النزول إذا لم يكن قد أتى دوره.

هو : وهل يسعدهم هذا النزول للأرض ؟
الطفل : على كل حال لا يسعدنا البقاء هنا إذا حرمانا من النزول للأرض. غير أننا حين نزل نسعر بمسحة من الحزن.. انظر انظر، هذا هو الدهر يفتح الأبواب.

[تنفتح الأبواب على مصاريعها ببطء، وتصل إلى الأسماع من بعيد ضحة الأرض كأنها أنغام موسيقية].

الدهر : [في هيئة شبح له لحية طويلة يحمل مجلاً وساعة رملية، يظهر عند الباب ثم تلوح أطراف أشعره بيض وذهبية لسفن راسية على أرصفة معمه من أنفاس الفجر الندي، يتكلم وهو على عتبة الباب] هل استعدّ كل من دُف ساعده ؟
[يهرع إليه أطفال زرو وهم يشقون الحشد من كل جانب].

الأطفال : مستعدون، مستعدون، مستعدون.
الدهر : [في صوب أجش عضوب، يقول للأطفال وهم يمرون أمامه استعداداً للنزول] واحداً واحداً، لقد تقدم منكم عدد أكبر مما ينبغي، الحال لا يتغير، ولكن هيهات أن يستغفني أحد، [يصد طملاً] ليس هذا دورك، عد، فموعدك غداً، وأنت كذلك مبله، إن موعدك بعد عشر سنوات، ماذا؟ أراع آخر

يريد النزول، إنه الثالث عشر ولا يلزمنا
إلا اثنا عشر فقد انقضى عهد الرعاة، وهذا
حسد من الأطباء، سبق أن نزل منهم أكبر
مما يلزم أهل الأرض حتى جأروا بالسكوى.
وأين المهندسون؟ هناك حاجة لرجل أمين
بينهم، رجل واحد، يكون بمثابة المعجزة في
الأرض، فأين هو هذا الرجل الأمين؟ [يشير إلى
طفل قائلاً] أنت؟ [تعيد هزة من رأس الطفل إنه يقول
نعم] ولكنك نحيف، ولن تعيش طويلاً وأنتم
[مشيراً إلى أطفال يتزاحون على النزول] أنتم هناك،
لا تسرعوا هكذا، [إلى طفل] وأنت ماذا ستحمل
للأرض؟ لا شيء؟ يدك خلو؟ إذن لا نزول
لك، عليك أن تعدّ لأهل الأرض شيئاً حتى ولو
جريمه كبيرة إذا شئت، أو عدوى وباء، فالأمر
لا يعنيني، وسيان عندي هذا وذاك، ولكن لا بد
أن تحمل لهم شيئاً إن أردت النزول، [يقع بصره
على طفل يدمعه الآخرون للأمام وهو يغالهم بجهد] وأنت
ماذا بك؟ أنت تعلم حق العلم أن الساعة
ساعتك فهناك طلب لبطل يحارب الظلم، فأنت
من يجب عليه النزول.
: إنه لا يريد النزول يا سيّدنا.

الأطفال

الدهر : كيف؟ لا يريد النزول؟ أين يحسب نفسه هذا
المسخ؟ ألا يعلم أن لا شفاعة ولا سفيح هنا؟
[إلى الطفل] هيا هيا، فليس لدينا وقت.
الطفل المتأبى : لا. لا. لا أريد، أحب أن لا أولد، أفضل البقاء
على النزول هنا.

الدهر : لا دخل هنا لحبك أو لكرهك، إذا أزعج
الساعة فليس منها مفر، هيا، إلى الأمام،
أسرع...

طفل آخر يتقدم : دعوني أمر، سأخذ دوره، فقد سمعت أن أبوي
عجوزان وأنها تنتظرانني منذ أمد طويل.
الدهر : دعنا من هذا، فالساعة هي الساعة، والدهر هو
الدهر، لو أصغت لكم لما فرغت، هذا يريد
وذاك لا يريد، هذا متعجل، وذاك متباطئ [يريح
عن عتبه الباب كل الأطفال المتزاحمين عليها] لا تفتربوا
كثيراً يا أولاد، إلى الورااء كل فضولي، من لم
يأت دوره لا شأن له بما وراء الباب، أنتم الآن
تتلهفون على الخروج وحن يجيء دوركم إذا
بكم تنكصون في خوف انظروا، ها هم أربعة
أطفال يرتعسون كورقة في مهب الريح [إلى طفل
لم يكذبهم بالخروج حتى عاد أذراحه] ماذا بك؟

الطفل : نسيت الصندوق الذى وضعت فيه الجربتين اللتين سأرتكبيهما فى الأرض.

طفل آخر : ونسيت أنا الفمقم الذى وضعت فيه الفكرة الى ستبى للناس طريقهم.

الطفل البالى : ونسيت أنا البذرة الى ستطرح أجمل الكمرى.

الدهر : أسرعوا وأتوا بها، لم يبق أمامنا إلا اثنان وسبعون نائبة، إن سفينة الفجر هز سراعها دلالة على أنها ستعجلنا، إذا تأخرتم أفلعت دونكم ولم تولدوا، هيا هبا، انزلوا الى السفينة [عسك بطفل بمحاول المروى من بين ساهيه ليركب السفينة] ماذا أفعل بك؟ لقد عيل صبرى، هذه نالت مرة بمحاول فيها أن تولد قبل دورك احذر أن تمع يدي عليك مرة أخرى وإلا سيكون انظارك أبدى، ويكون مقامك فى جوار أخى الأزل، وأنت تعلم أنه مقام عصب، دعوى الآن لعملى، هل نحن جميعاً مستعدون؟ هل كل واحد منا فى مكانه؟ [تستعرض نظرتة الأطفال الذين جمعوا على الرصيف أو جلسوا فى السفينة] ينقصنا واحد، يختبئ كما يساء فى لآبد واجده رغم الزحام، فهيهات أن يستغفلنى أحدا فهيا، أنت هناك،

أنت الذى يسمونه بالعاشق، قل وداعاً
لعشيقتك وتعال [زوج العشاى وهما فى عناق طويل، لكل
مهما وجه محقق يائس يتقدمان نحو الدهر ويركعان أمامه].

: دعنى يا سيدى أرحل معه.

البنت

: دعنى يا سيدى أمس معها.

الولد

: مستحيل، لم يبق أمامنا إلا ثلاثماية وأربع
وتسعون ثانية، وليس لأحد منكم خيار هنا.

الدهر

: سيدى، سيكون نزولى إلى الأرض بعد فوات
فرصة اللقاء.

البنت

: لن أكون هناك حين تنزل هى.

الولد

: لن تتاح لى رؤيته بعد اليوم.

البنت

: سيعيش كل منا فى الأرض وحيداً.

الولد

: كل هذا لا يعنينى، قدّما التماسكها إلى الحياة
أما أنا فأجمع وأفرق تنفيذاً للأوامر، (بمسك
بالولد ويقول له: تعال.

الدهر

: لا. لا. خذها هى أيضاً.

الولد

: [تتشبث بشباب الولد] دعه لى، دعه لى.

البنت

: رسادكما! إننى لا أقوده للموت! بل للحياة [يجر
الولد فائلاً له: تعال تعال].

الدهر

: [مد يدها يأس نحوه] اجعل لى علامة، علامة، فل
لى كيف ألقاك؟

البنت

الولد : سأحبك إلى الأبد.
 البنت : سأكون سقيمه من الحزن، وهذه هى علامى
 التى ستعرفنى بها.
 [تسقط وتظل منظره الأرض]

الدهر : تجملّى، فهذا أفضل لك، والآن قد انتهينا [يسطر
 إلى ساعته الرملية] لم يبنى أماننا إلا نلاب وستون
 نأبئة.

[يشدد آحر هرج ومرج للأطفال الراحلين والباقيين، تبادل
 لعناى الوداع فى عجله «إلى اللماء يا بير» - «إلى اللماء
 يا جان» «هل أخذت كل ما يلزمك؟» - «نشر بأفكارى» -
 «ألم تنس شيئاً» - «لا تنس أن تلمأى هناك» - «سأهتدى
 إليك» - «إياك أن تمعد فكرتك» - «احذر أن يميل كثيرًا
 وأنت تظل من حافه السفينة على الفضاء» - «أبعث لنا
 بأخبارك» - «أحبرنا هل الحال طيب هناك» - «ستجدنى فى
 لعائك» - «سأولد على عرش الخ الخ»].

الدهر : [وهو يهز منجله ومماتيحه] كفى كفى، رفعت السفينة
 أنجرها وأوشكت على الإقلاع.

[يمر شراع السفينة ثم يخفتى، ونسمع نهليل راكبيها وهى
 متاعدة. «الأرض» الأرض، إلى أراها إنها جميله» إنها مضينه،
 إنها كبيرة، ثم تبعث وكأما من فرار سحيق أعنية تأى من بعد
 كلها مرح وترقب]

هو : [إلى سمة النور] ما هذه الأغنية؟ إنها لبسب

فما يبدو من غناء الأطفال الراحلين، فالصوت
مختلف.

بسمه النور : نعم، فهذه هي أغنية الأمهات المتطلعات للقاء
الأطفال.

[يعلو الدهر الأنوار العقيمة ثم يلتفت ليلقي آخر بصره على
الهُو فإذا به يفاحاً تلتيل وميتيل وسمه النور]

الدهر : [في دهسه وغصب] ما هذا؟ ماذا تفعلون هنا؟ من
أنتم؟ لماذا لونكم غبر أزرق؟ من أين دخلتم؟
[يتقدم إليهم مهدداً بمحله]

بسمه النور : [إلى تيليل] لا تردّ عليه، إن الطائر الأزرق
معي، أخفيه نحى وساحي، فلنهرب من هنا، أدر
الماسه وسرى أنه سيعجز عن افتتاح أنرنا.
[يسلكون من الأعمدة إلى اليسار ويخرجون]

[ستار]

الفصل السادس

المتنظر الحادى عشر الوداع

[المسرح غل حدارًا يشمه باب صعر، الوقت . طلوع الفجر، يدحل تلتيل وميتيل
وسمة النور والرغيف وممع السكر والبار واللين].

بسمه النور : ما هذا المكان فى تخمينتك ؟ سنعجز عن الإجابة
ولا ريب ؟

تلتيل : طبعًا لا أستطيع أن أجيب وكيف أعرفه وأنا لم
أره من قبل ؟

بسمه النور : ألا يتبين لك هذا الجدار وهذا الباب الصغير ؟
هو : هذا جدار أحمر وباب صغير أخضر

بسمه النور : ألا يذكرك هذا الباب بسىء ؟
هو : يذكرنى بالباب الذى خرجنا منه هربًا من

الدهر.

بسمه النور : ما أغرب حال الناس حن بعيشون فى
الأحلام، يدهم أمامهم يرونها ولكنهم
لا يعرفوها.

هو : من الذى يحلم؟ أهو أنا؟
 بسمه النور : لعله أنا، من يدري، ومع ذلك فهذا الجدار يسوّر
 بيتا أنت رأيته مراراً منذ مولدك.

هو : تفولين إننى رأيته مراراً؟
 بسمه النور : صبح النوم، هذا هو البيت الذى غادرناه ذاب
 مساءً منذ عام فى مل هذا اليوم، لا قبل
 ولا بعد.

هو : عام كامل؟ سم ماذا حدث؟
 بسمه النور : لا تجحظ عيناك من الدهسه كأنها بحيرتان من
 الياهوت، إنه هو البس، بب والدك.

هو : [يعتر من الباب] نعم، أظنه هو، نعم، بخيل إلى،
 هذا الباب الصغير، عرفت الآن مزلاجه، هل
 سأجد أهلى داخله؟ هل نحن الآن بالمرب من
 أمى؟ أود أن أدخل فوراً، وأعلنفها توأ.
 بسمه النور : انتظر لحظة، إنها غاربان فى سباب عميق.
 ينبغى أن لا نوفظهما فجأه، سم أن الباب
 لا يفتح إلا إذا دقت الساعة.

هو : أية ساعة؟ وهل سطول انتظارى؟
 بسمه النور : كلا مع الأسف، ما هى إلا دقائق قليله.
 هو : ألا يسعدك الدخول معى؟ ماذا بك يا بسمه

النور، أنك شاحبه اللون حى لبقال إلك
مريضة.

بسمه النور : أنا بخير يا بنى، ولكنى أحس بمسحه من الحزن
لأننى سأفراقكم.

هو : تفارقيننا؟

بسمه النور : لا مفر من ذلك. لم يعد لى ما أعمله هنا. لقد
حال الحول، فإن الجنيه ستعود وتطالبك بالطائر
الأزرق.

هو : ولكن الطائر الأزرق لس معى، فإن طائر عالم

الذكريات قد اسودّ لونه، وطائر عالم الغد قد
احمر لونه، وطيور فحمة اللبل قد ماتت ولم
أستطع افتناص طائر الغابة، هل الذنب ذنبى
إذا بدلت الطيور ألوانها أو ماتت أو طارت من
يدى وهل ستغضب الجنيه، وماذا عساها تقول؟
بسمه النور : فعلنا كل ما قدرنا عليه، لا مفر من الاعفاد
بأن الطائر الأزرق لا وجود له إذ أنه ببدل
لونه إذا دخل الففص.

هو : وأين الففص؟

الرعف : ها هو ذا يا سيدى، لقد كلفت بحمله والحرص

عليه خلال هذه الرحلة الطويلة المليئة
بالأخطار، والآن وقد انتهت مهمتى فإنى أعبده

إليك سلياً محكم الإغلاق كما تسلمته، [يتخذ لهجة
الخطيب] والآن، باسم جميع الحاضرين أستاذكم
في أن أضيف كلمتين.

: لم يأذن له أحد بالكلام.

النار

: سكوت. سكوت.

الماء

: هذه المقاطعات الخبيثة من عدوٍ حقير أو من

الرجيف

منافس حقود (يرفع صوته) لا تمنعني من أداء

واجبي حتى النهاية، لذلك، نيابة عن الجميع

أقول..

: من أذنك أن تتكلم نيابة عني، أليس لي لسان؟

النار

: [مستراً] نيابة عن الجميع أقول، تعبيراً عن

الرجيف

عاطفة لا يمنعها اضمارها من أن تكون صادقة

وعميقة، أننا نودع الآن الصبيين الصغيرين

اللذين اختارهما المدر، بعد أن تمَّ اليوم

مهمتنا، فإذا قلنا لهما اليوم وداعاً فإنما نعبر عن

حزننا ومودتنا وتقديرنا المتبادل...

: ماذا؟ تقول وداعاً؟ أتركنا أنت أيضاً؟

هو

: لا مهر من ذلك مع الأسف، نعم، سأفارقكما

الرجيف

ولكنه فراق في الظاهر، فلا يجدد إلا أن آذانكم

لن تسمعن أتكلم.

: لحسن الحظ!

النار

- الماء : سكوت. سكوت..
- الرغيف : [لا يبالي بالمقاطعة وى لهجه حاده] إننى أنجاهل هذه المقاطعة، أعود فأقول ان آذانكم لن تسمعنى أتكم، لن ترونى فيها بعد نابضاً بالحياة، ستعمى عيونكم عن رؤية سريره الأسياء، ولكنى سأكون هناك دائماً، فى صندوق الخبز، وعلى الألواح وعلى المائدة، بجانب قدر الحساء، فى بن أطمعة الانسان - أن جاز لى الفول - أنسدها اخلاصاً له وأقدمها صحبه.
- النار : مهلا. مهلا وأنا؟
- بسمه النور : رشادكم، الوقت يمر، والساعه توشك أن تدق، حينئذ تدخلون عالم الصمت فاسرعوا بمعانفة الصغيرين.
- النار : [تسرع إليهما] أنا أولاً، أولاً أنا [تعانها بحراه وعاطفه ملتفه] وداعا ياتيلتل، وداعاً يا ميتيل، وداعا يا عزيزى، اذكرانى إذا حدد ذات يوم أن احتجتها إلى من يشعل لكما ناراً..
- هو : أى أى، إنها تحرقنى.
- هى : وتلهب أنفى.
- بسمه النور : رشادك يا نار، بعض هذا الاندلاق! إنك لا تعانفين مدفئة..

الماء : يا لها من غيبه.
 الرغف : وقليله الأدب.
 الماء : [تقترب من الصيين] عناقي لكما كله ود ولا أذى منه.

النار : احرسا فإنها ستبللكما.
 الماء : إننى عطوف رفيقه، سائغة للسارين.
 النار : وما قولك فى الغرمى؟
 الماء : أوصيكما بحب النافور، وأصغيا إلى خرير الجداول فإنى سأكون هناك.
 النار : أهو كلام أو طوفان؟
 الماء : فإذا جلستما مساءً على ضفاف الجداول، والغابة هنا مليئة بها - فأصيخا لها السمع لتفهما ماذا تريد أن تقوله لكما، إن الدموع مخنفتى ومنعنى عن الكلام.

النار : لا يطابق حالها قولها.
 الماء : واذكرانى إذا رأيتهما الإبريق، وستجدانى أيضاً فى الكون، والبئر، والمرش، والصنبور.
 قمع السكر : [وهو يبالغ بطعمه فى الرفه والتحمل] وإذا بقى ركن ولو صغير فى ذاكرتكما فلا تنسيا أن صحبتى كانت أحياناً حلوة، لكما، لا أستطيع أن أقول أكر

من ذلك، فإن الدموع غر موصوفة لطبعي،
وإذا سقطت على قدمي أذابتها.

: يا منافق!

الرغيف

: [مقلدة صوت الباعة] سكر نبات، ملبس، كراميلًا.

النار

: وأين اختفى تيلو وتيليت. ماذا يفعلان؟

هو

[تسمع صرحات عالية تبعث من القهوة].

: [في انزعاج] هذه تيليت تنهه، هي في سدة من
الألم.

هي

[وتدخل الهرة حريًا، انتفش شعرها وتلد، تمزقت ثيابها، تصع
مدنيًا على حدها كأنما تتوحج من أصراسها، تتوالى لها تهديدات
لا تحلو من غصب، والكلب يزيقها ويخطبها برأسه ويده
وقدمه].

: [وهو يصرب الهرة] خذي أيكفك هذا أم تريدين
المزيد خذي.. خذي.

الكلب

[سمة الور تيليتل وميتيل يسارعون إلى فصلها: تيلو!
أحسنت؟ المحب لك أرقد ألا تنتهي؟ من يصدق؟ كفى
كمي] [يفصلون بين الاثنين همة].

بسمه النور : ما هذا؟ ما الذي حدث؟

: [تتباكي وتفسح الدموع] إنه هو الذي اعتدى غلي

الهره

يا سيدى بسمه النور، لقد أهاننى وشتمنى
ووضع المسامير فى حسائى وشدّ ذيلى وانهال

على ضرباً وأنا لم أفعل له شيئاً.
الكلب : [يقلدها ساخراً] لم أفعل له شيئاً! [يعيظها بوضع كفه
على أذنه وتلعيب أصابعه] لا يهمني الآن شيء، فقد
ضربتك، وضربتك ضرباً موجعاً، وسأضربك.
هى : [تأخذ الهرة في حصارها] تيليت يا مسكينة. أريني
موضع الألم، إننى سأبكي أنا أيضاً..
بسمة النور : [تزجر الكلب] مما يزيد في حماقتك أنك اخترت
لحظة هى في ذاتها مؤلمة لتعرض علينا هذا
المشهد المشين، ألا تعلم أنها لحظة الوداع؟
الكلب : [وقد هدأ محاة] أهو وداع للصبيين؟
بسمة النور : نعم، فالساعة التى تعرفها ستدق وسنرتد إلى
عالم الصمت فلا نستطيع بعد ذلك أن نكلمهما.
الكلب : [تندّد عه ولولة صادقة ملؤها اليأس ويرتمى على الصبيين
ويرشقهما بقلات حارة هوحاء] كلا، كلا، أبداً أبداً،
سأظل أكلمهما، أنت تفهمنى الآن يا مولاي،
أليس كذلك؟ نعم. نعم. سأقول لك كل شيء،
وستقول لى كل شيء، لن تشكو بعد من سوء
أدبى، وسأتعلم القراءة والكتابة ولعب الدومينو،
وسأكون دائماً نظيفاً، ولا أسرق شيئاً من
المطبخ. أتريد أن أريك لعبه من ألعابي
المدهشة؟ أتريد منى أن أعاق الهرة؟

هى : [للهه] وأنت يا تيلس، ليس عندك ما تفولينه

لى ؟

الهه : [وهه أهرج وهى تتكتم بياتها] سلفيان منى الهب

ما دمنما جديرين به.

بسمه النور : الآن جاء دورى يا عزيزى لأفبلكما للمره
الأخيرة.

[تيلتيل وميتيل يتشبنان بيباب بسمه النور، كلا كلا، يا سمه
النور ابهى هها معنا، أنوبا لن يعترض وأما سنقول لها إنك
كنب فى غابة الطيه معنا

بسمه النور : لا أستطيع مع الأسف فإن هذا الباب موصل
دوننا وينبغى لى أن أفارقكما.

هو : وأين تذهبن وحدك؟

بسمه النور : غير بعهد با عزيزى، سأكون هناك.. فى عالم
الصمت.

هو : لا. لا. لا أريد فراقك، سنذهب معك، وسنقول
هذا لأمى.

بسمه النور : لا تهكيا يا عزيزى، ليس لى مل ما للهاء من

صوت، فليس عندى إلا ضيائى وهو سىء
لا بسمعه الإنسان. ولكنى سأظل ساهرة على
هذا الإنسان إلى الأبد، واذكرا دائماً أننى هى
من تكلمكما فى كل شعاع من القمر، وفى كل

بسمه من نجم، في كل فجر يبرز، في كل
مصباح نوفد، في كل خاطرة خيره بريئة في
فلببيكما، [تدو الساعة حلف الحدار بماى دقات] انصبا،
دفت الساعة، فوداعاً، الباب ينفتح، ادخلا،
ادخلا، مع السلامة، مع السلامة.

[تدفع الصنين عر الباب الصغير الذى ينفتح نم يعلق
عليهما مسح الرعيف دموغاً مغلقة، أما قمع السكر والماء
فينحيطان في البكاء نم يتفرق الجميع سراعاً كأنهم يهرون
ويجرحون إلى اليمين وإلى اليسار.

يسمع ساح الكلب من ناحية، ويطل المسرح حالياً رهة
قصيره نم يشق من الوسط منظر الحدار والباب الصغير
ليكشف عن المنظر الأخير]

المنظر الثانى عشر اليقظة

[هو عين المنظر الأول، ولكن كأنما مست يد سحرية كل الأشياء، الحو والحدران، فإذا بها تتم عن الصفاء والبشر والسعادة، يبعد صوء النهار من خصائص النافذة ويشير البهجة، تيلتيل وميتيل غارقان فى النوم فى مهديهما على اليمين فى آخر الحجرة، والكلب والهرة وناقى الأشياء تلم الوصع الذى كات عليه فى المنظر الأول قبل دخول الحية]

[تدخل الأم تيل]

الأم : [وهى ترحر الصيين فى حوّ واشراح] هيا هيا، على أقدامكم يا كسالى، ألا تخجلان؟ لقد دوت الساعة الثامنة وعلت الشمس أشجار الغابة، يا له من نوم عميق [تنحى وتقلها] على وجناتها صبغة الورد، ويفوح منها عطر الزهور، [تقلها مرة أخرى] ما أسعدنى يا أولادى ! ولكن ينبغى أن لا أطيل نومكما حتى الظهر وإلا شبيتما على الكسل، ثم إنى سمعت أن طول النوم مُضر بالصحة، ها هما يستيقظان. ماذا بك ؟ [إلى تيلتيل] كأنما عشب عيناك.

هو : [وهو يترك عييه] أمي. أمي، أنت الى أرى..
 الأم : نعم بالطبع، أنا أمك، لم يتبدل وجهي هذه
 الليلة. ماذا بك حتى تنظر إليّ بمل هذه
 الدهسة؟ هل انقلب أنفي فأصبح يحته فوفه.
 هو : ما أسعدني برؤيتك، كأنني لم أرك منذ زمن
 طويل. ينبغي أن أعانقك فوراً، مره بعد مره،
 أحفا أن هذا هو فراسي؟ أحفا إني في البيت؟
 الأم : ماذا دهاك، ألم تستنظ بعد؟ هل أنت مريض؟
 دعني أرى. احرج لسانك، هيّا، فم والبس
 يياك.

هو : عجباً، أرى أنني لا ألبس إلا قمصى..
 الأم : طبعاً، أنت لا تلبس غيره عند النوم، هيّا،
 البس سنرتك وسروالك، إنها هناك فوق المفعد.

هو : هل كنت ألبسها أثناء الرحله؟
 الأم : عن أيّ رحله تتحدث؟
 هو : رحلي في العام الماضي.
 الأم : العام الماضي؟
 هو : نعم، في عبد الميلاد، حينما حرجت من البيت.
 الأم : خرجت من البيت؟ إنك لم تغادر هذه الحجرة،
 لقد وضعتك في الفراش أمس وها أنذا أجذك

فيه هذا الصباح، هل رأيت في الحلم كل
ما تفوله لى؟

هو : أنت لا نمهمن، رحلة العام الماضى

حينما خرجت مع ميتيل والجنية وبسمه النور -
على فكره، بسمة النور ست طيبة جداً - وكان
معنا الرغيف وفتح السكر والماء والنار ولم
ينقطع بينهما السجار. هل أغضبك رحيلي، هل
أحزنك كثيراً، وماذا قال أبى؟ لم أستطع أن
أرفض الرحيل فتركت رسالة أسرح فيها...
: ما هذا الهراء، لا ريب أنك مريض أو أنك
لا تزال غارفاً فى النوم [ترى عليه حمار] هيا،

الأم

استيقظ، هل وعيت لنفسيك؟
: أؤكد لك يا أمى.. صدّقنى، لعلّ المستغرفى فى
النوم هو أنت.

هو

: كيف أكون مستغرفة فى النوم، إننى مستيقظة
وأعمل منذ الساعة السادسة، فنظّفت البيت
وأسعلت النار فى المدفأة.

الأم

: اسألى ميتيل وسترين أننى لا أكذب، كم رأينا
من مغامرات؟

هو

: ميتيل أيضاً؟ هذه حكاية طويلة.

الأم

: إنها كانت معى، ورأينا جدى وجدّتى.

هو

- الأم : جدك وجدتك؟
هو : في عالم الذكريات، كان في طريقنا، هما بين الأموات ولكن صحتها حسنة، وقد صنعت لنا جدتي فطيرة تفاح بديعة ورأبنا أخوتنا روبير وجان ومعه نحلته، ومادلين وبيريت وبولين نم ريكيث.
- هى : ريكيث تحبو ولا تمشى.
هو : أمّا بولين فدمّلها لا يزال على أنفها.
هى : ورأيناك أنت أيضًا يا أمى مساء أمس.
الأم : لا عجب في ذلك فقد أرقدتكما مساء أمس.
هو : كلا كلا، إنما رأيناك في فردوس الأرض، وكنت أبهى جمالاً ولكن نسبك لم يتغير.
الأم : فردوس الأرض؟ لست أعرفه!
هو : [يتأملها ويعانقها] كنت أمس أبهى جمالاً ولكنى أحبك كما أنت الآن.
هى : [تعانقها] وأنا أيضًا..
الأم : [وقد روى لها قلبها ولكن الفلق لا يزال يساورها] يا إلهي! ماذا دهاهما، سأفجع فبهما كما فجعنا في أخوتهما، [تنزعج فجأة وتنادى] بابا تبل، بابا تبل، تعال سريعا، أولادنا مرضى.
- الأب : ماذا جرى؟

هو وهى : [بحريان إليه ويعاناه في مروح] هذا هو بابا، هذا هو بابا، صباح الخير يا بابا، هل كانت السنة الماضية سنة رخاء؟

الأب : لم الانزعاج؟ ما السبب؟ لا أراها مريضين، بل هما في أحسن صحة.

الأم : [وعساها دمعان] لا تخدعك الظواهر، فلعلّ حالها هو حال أخوتها وقت أن فجعنا فيهم. كانوا في أتمّ صحة إلى آخر يوم. ثم توفاهم الله إلى رحمته، لا أدري ماذا جرى لهما، لقد أرقدنها أمس في الفراس وهما في أحسن حال، ما أيقظنها هذا الصباح إذا هما في أسوأ حال، أصابها الهذيان ولا كلام لهما إلا عن رحلة موهومة، رأيا خلالها بسمه النور وجدهما وجدتهما، يفولان إنها بين الأموات ولكن صحتهما حسنة.

هو : جدى لا تزال له سافه الخسبة.

هى : وجدنى لا تزال تسكو من الروماتزم.

الأم : هل سمعت. اجر لتنادى الطبيب.

الأب : لا. لا. وهل هما يحتضران حتى أناديه؟ صبراً لننظر ماذا سيحدث لهما. (يسمع دق على الباب) ادخل..

الجارة : صباح الخير، وكل عيد وأنتم جميعاً في صحة وسلامة.

هو : هذه هي السبت غرباوية.

الجارة : جئت لآخذ قليلاً من الحطب، لأطبخ عليه حساء العيد، فالجو بارد هذا الصباح، صباح الخير يا أطفال. كيف الحال؟

هو : يا ست غرباوية، لم أجد لك الطائر الأزرق. ماذا يقول؟

الأم : مصيبة يا ست غريبة، انها يهذيان، هذا هو حالهما منذ أن استيفظا، لا سك أنهما أكلا شيئاً أضرّ بهما.

الجارة : طيّب يا تيلتيل، ألا تعرف السبت غريبه، جارتك السبت غريبة؟

هو : نعم أعرفك، أنت السبت غرباوية. أغاضبه أنت منى؟

الجارة : غرباوية؟

هو : غرباوية.

الجارة : تريد أن تقول غريبة؟

هو : غرباوية، غريبه، كما تسأين، إن كنتم في سك فاسألوا متيل.

الأم : الداويه السوداء أن ميتيل هذى أيضاً.

- الأب : كلام فارغ، سينقطع الهذيان وسأناول كلا منها
صفعة على خدّه لتنبهه.
- الجارة : لا تفعل، لا لزوم للصفع، فإني خبيرة بهذه
الحالة هي أضغات أحلام تلم بكل من يرفد في
ضوء القمر، وابتقى المريض حالها هكذا في
أغلب الأوقات.
- الأم : على فكره، كيف حالها الآن؟
- الجارة : نصف نصف، إنها لا تفوى على مغادرة الفراش
ويقول الطبيب إنها مسألة أعصاب، ومع ذلك
فإني أعلم أين دواؤها وقد طلبته منى في هذا
الصباح ليكون هديتها يوم العيد. إنها على يقين
من أنه دواؤها السافى. هكذا يحدها نفسها.
- الأم : نعم، أعلم يقينها هذا، تؤمن أن لا دواء يشفيها
إلاّ عصفور تيلتيل، فهي لا تنفك تطلبه. إذن
يا تيلتيل، ألم تطب نفسك بعد بإهدائه إلى هذه
الفتاة المسكينة؟
- هو : هو لى فكيف أهديه يا أمى؟
- الأم : هو لى، هو لى، ولكنك لا تعنى به. بل لا تلقى
عليه نظرة فهو من شدة الحسرة بوسك أن
يموت منذ زمن طويل.
- هو : نبّهتنى يا أمى، الآن تذكرت عصفورى. أين

هو؟ ها هو القفص. ميتيل! أترين القفص؟
هو الذى كان فى يد الرغيف. نعم، هو بعينه،
ولكن ليس به إلا عصفورى، فأين الآخر،
الطائر الأزرق، هل أكله عصفورى؟، انظرى
انظرى! يا للعجب، فى القفص طائر أزرق،
وما هو إلا عصفورى، هو بعينه، وإن كانت
زرقته قد زادت، إنه الطائر الأزرق الذى طالما
سعينا وراءه فلم ننجح فى اقتناصه، على حن
أنه كان موجوداً فى بيتنا طول الوقت، هذا
سوء مدهش، هذا سوء بديع، ميتيل، أترين
العصفور قد عرفنا الآن أنه الطائر الأزرق.
ماذا كانت تقول بسمه النور لو رأيته؟ سأنزل
القفص. [يمس على الممد ويُرل القفص ويعطيه للجارة].
ها هو العصفور يا سب غريبة، إن كان فى
زرقته الآن نصف فإنه سيستكملها فيما بعد،
وسترين، ولكن هيا، احمليه سريعاً إلى بنتك.
: أجاد أنت؟ حقاً ما تقول؟ تعطيه لى هبه منك؟
من فورك، وبلا عوض؟ رب، كم ستسعد
هديتك ابنتى.

الجارة

: اذهبى بسرعة، فبعض الطيور تبدل أحياناً
لونها.

هو

- الجارة : سأعود لأخبرك بما قالت ابنتي..
[مخرج]
- هو : [يطيل التأمل فيما حوله] بابا، ماما، ماذا فعلتما بالبيت؟ إنه عين البيت ولكنه أكبر جمالاً.
: كيف زاد جماله؟ الأب
- هو : نعم، كأنما زادت عليه يد بطلاء جديد، وبالرسم والإصلاح، فكل شيء لامع ونظيف، لم تكن هذه حاله في السنة الماضية.
: السنة الماضية؟ الأب
- هو : [يذهب إلى النافذة] وهذه الغابة التي أراها، ما أكبرها، ما أجملها، إنها تبدو لعيني كأنها غابة جديدة أراها لأول مرة، ما أسعدني هنا، [يذهب ليعتص صندوى الحزن] أين الرغبة؟ إنه راقد باطمئنان، ثم أين تيلو؟ مرحبا يا تلو. والعراك في الغابة. هل تذكره؟
- هي : وتيليت عرفتني ولكنها لا تكلمني.
هو : سأكلم الآن الرغبة، [يلمس جبهته] عجباً، لم تعد الماسة معي، فمن الذي أخذ فبعتي الصغيرة الخضراء؟ لا بأس فإني لست في حاجة إليها.
[ينظر إلى المدفئة] آه! هذه هي النار. ما ألدّ جوارها، إنها تثز وهي تضحك لتغيظ الماء [يجري

إلى الصور] يا ماء! أهلا بك، ماذا تقول؟ إنها

ماضية في الكلام ولكني لم أعد أفهمها بوضوح.

: وأين قمع السكر فأني لا أراه.

: ما أسعدني هنا. ما أسعدني.

: وأنا أيضا، وأنا أيضا.

: ماذا بهما ليدورا في البيت هكذا..

: أما أنا فقد أحببت بسمه النور بالأخص، أين

المصباح؟ هل أستطيع أن أضيئه؟ [وهو متماد في

التلفت حوله] كل ما أرى جميل، ما أسعدني!

[يُسمع دق على الباب]

: ادخل.

[تدخل الحارة الست عربية ممسكة بيد ست صغيرة شقراء هية

الحمال تحض عصفور تيلتيل الأزرق]

: أرايتم المعجزة؟

: من يصدق؟ إنها تمسى!

: تمسى، وتجري، بل ترقص.. حين رأب العصفور

نهضت من فراشها إلى النافذه قفزة واحدة

لتتبين في النور هل العصفور الذى جئتها به هو

حفا عصفور تيلتيل، وإذا بها تنطلق فجأة إلى

الطريق، كأنها ملاك يطير، لم أستطع اللحاق بها

إلا بعد جهد شديد.

هى

هو

هى

الأم

هو

الأب

الجاره

الأم

الجارة

هو : [يقترب منها وينظر إليها دهشه] ما أسببها ببسمه

النورا

هى : ولكنها أضال منها جسماً.

هو : حقاً، غير أنها ستتمو..

الجارة : ماذا يقولان؟ ألم يفلعا عن الهديان؟

الأم : هما الآن أحسن حالاً وسمراً الأزمنة، وسبسفان

من الهديان حين يتناولان الفطور.

الجارة : [تدفع انتها لتعاس تيلتيل] اذهبي إليه با بنى

واسكريه.

[تيلتيل يعلبه الحبل وتراجع خطوه].

الأم : ماذا بك با تيلتيل؟ أتستحي من هذه البنب

الصغيرة؟ قبلها قبلة كبيرة. [يمسها فله صغيره]

قبلها أفضل من هذا. أين جرأتك المعهودة؟

قبلة أخرى. ولكن ماذا بك؟ كأنك ستبكي..

[تيلتيل بعد أن يمس الفتاه بخجل يظل واقفاً أمامها برهة

وحيره، يتبادلان النظرات في صمت ثم يرب تيلتيل على رأس

العصور].

هو : هل قنعت بزرقته؟

البنب : نعم، أنا راضية به.

هو : رأب طيوراً أسد منه زرقة، أما الطائر الذى

كملت زرقه فلم نستطع افتناصه رغم ما بذلناه
من جهد.

البنت : لا ضير، فعصفوري جميل.

هو : وهل أكل؟

البنت : لم يأكل بعد، وما أكله؟

هو : كل سيء، جبّ الفمح والأذره والسعبر وفتات
الخبز.

البنت : وكيف يأكل؟ فل لي.

هو : بمنفاره، تعالى أريك كيف يأكل.

[مد يده ليتناول العصفور الأرق من يد البنت فتمانع مدفوعة
بغريزه حب التملك فويئته العصفور الأرق لحطة ارتباكها
فيفلب ويطير]

البنت : [تندّ منها صرحه يائسة] ماما، لقد طار.

[ثم تنخرط في السكاء].

هو : لا تنزعجى، لا تبكى، فإنى سأقتنصه لك من
جديد.

[مخطو نحو مقدمه المسرح، ويحاطب الجمهور - إذا عثر عليه
واحد منكم فليتكرم بإعادته إلينا فكلانا أنا والست الصغيرة
في حاجه إليه لننعم بالسعادة معاً حين نكبر].

[ختام]

| | |
|-----------------------|----------------|
| ١٩٨٧ / ٥٥٥٠ | رقم الإيداع |
| ISBN ٩٧٧-٠٢-٢١٥٢-٢٢-٢ | الترقيم الدولي |

١ / ٨٤ / ٣٩٣

طبع مطابع دار المعارف
General Printing and Publishing House (GOAL)
Alexandria, Egypt

